علم الدلالة

تأليف

الدكتور / أحمد مختار عمر
أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة



٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٢٦٤٠١

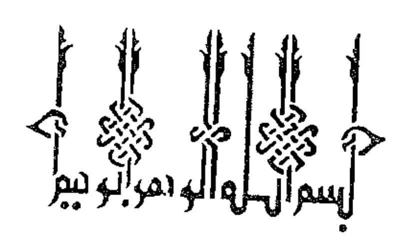
علم الدلالة

تأليف

الدكتور/ أحمد مختار عمر
أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة



٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة ت: ٣٩٩٢٦٤٠١


بسم الله الرحمن الرحيم

عِلْمُ الدَّلالَة

الطبعة الأولى ١٩٨٥
الطبعة الثانية ١٩٨٨
الطبعة الثالثة ١٩٩١
الطبعة الرابعة ١٩٩٣
الطبعة الخامسة ١٩٩٨

مقدمة

لم يعد علم الدلالة الآن في حاجة إلى من يدافع عن وجوده ، أو يبرر الاهتمام به . فقد تخطى هذه المرحلة منذ نصف قرن أو يزيد ، وصار الآن يلقى من الاهتمام والدراسة في كل أنحاء العالم ما يلقاه سائر فروع علم اللغة .

ولسنا هنا في مجال الدفاع عن هذا الفرع من علم اللغة أمام القارىء العربي فسيدرك هو بنفسه مدى أهميته حين يمضي في قراءة الكتاب . ولكننا نحب فقط أن نشير إلى حقيقة واضحة قد تغيب عن بعضهم ، وهي أن الموضوع الأساسي لهذا العلم هو « المعنى » . ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة للغة حتى قال بعضهم إنه بدون المعنى لا يمكن أن تكون هناك لغة ، وعرف بعضهم اللغة بأنها : معنى موضوع في صوت .

إن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فقط فهمها من خلال فهم المعنى . ويلعب المعنى دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي بدءا من التحليل الفونيمي ، بل يلعب دورا كبيرا في تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال ، وتعليم اللغة ، والترجمة ، ودراسة اكتساب اللغة .

وإذا كانت قضية المعنى قد تناولها في الأعوام الأخيرة علماء مختلفو الثقافة متنوعو الاهتمام ، واشترك في مناقشتها الفلاسفة ، والمناطقة ، واللغويون ، والأنثروبولوجيون ، وعلماء النفس ، ودارسو الفن والأدب . . فقد اقتصرت في هذا الكتاب على دراسة وجهة النظر اللغوية ، وإن كنت قد عرضت من المادة غير اللغوية ما أحسست أنه وثيق الصلة بالهدف الرئيسي .

ورغم كثرة ما كتب ويكتب بغير العربية في « علم الدلالة » ومناهج دراسة المعنى من وجهة النظر اللغوية فالمكتبة العربية فقيرة أشد الفقر في هذا النوع من الدراسات . فمنذ أن صدر كتاب المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس « دلالة الألفاظ » (عام ١٩٥٨) حتى الآن لم تقدم للقارىء العربي أي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللغوي ، تستفيد مما جد من نظريات ، وما قدم من أبحاث ، وما ظهر من نتائج . ولا يغني في هذا المقام كتاب الدكتور كمال بشر : « دور الكلمة في اللغة » والدكتور مراد كامل « دلالة الألفاظ العربية وتطورها »(١٩٦٣) ، فأولهما ترجمة لكتاب صدر في فترة مبكرة من تاريخ العلم (١٩٥١) والثاني يعالج زاوية واحدة من زوايا العلم الكثيرة .

ويكفي لإثبات فقر المكتبة العربية في هذا المجال أن نلقي نظرة على أهم ما نشر باللغة الإنجليزية ـ وحدها ـ في السنوات العشرين الأخيرة ، وقد أوردنا بعضا منه في قائمة المراجع آخر الكتاب .

وبعد . . . .

فإن القضايا المطروحة في علم الدلالة ليست مما يمكن الإلمام به أو عرضه في كتاب واحد ، وبخاصة منذ تداخلت مناهجه مع مناهج النحو بعد مقالة Katz و Fodor الرائدة (١٩٦٣) التي قادت إلى دمج الفرعين داخل إطار القواعد التحويلية ، وتوسعت اهتمامات هذا العلم لتشمل التراكيب وتحليل الجمل ببيان علاقات كلماتها بعضها ببعض ، وإظهار كيفية ارتباط الجمل منطقيا بالجمل الأخرى .

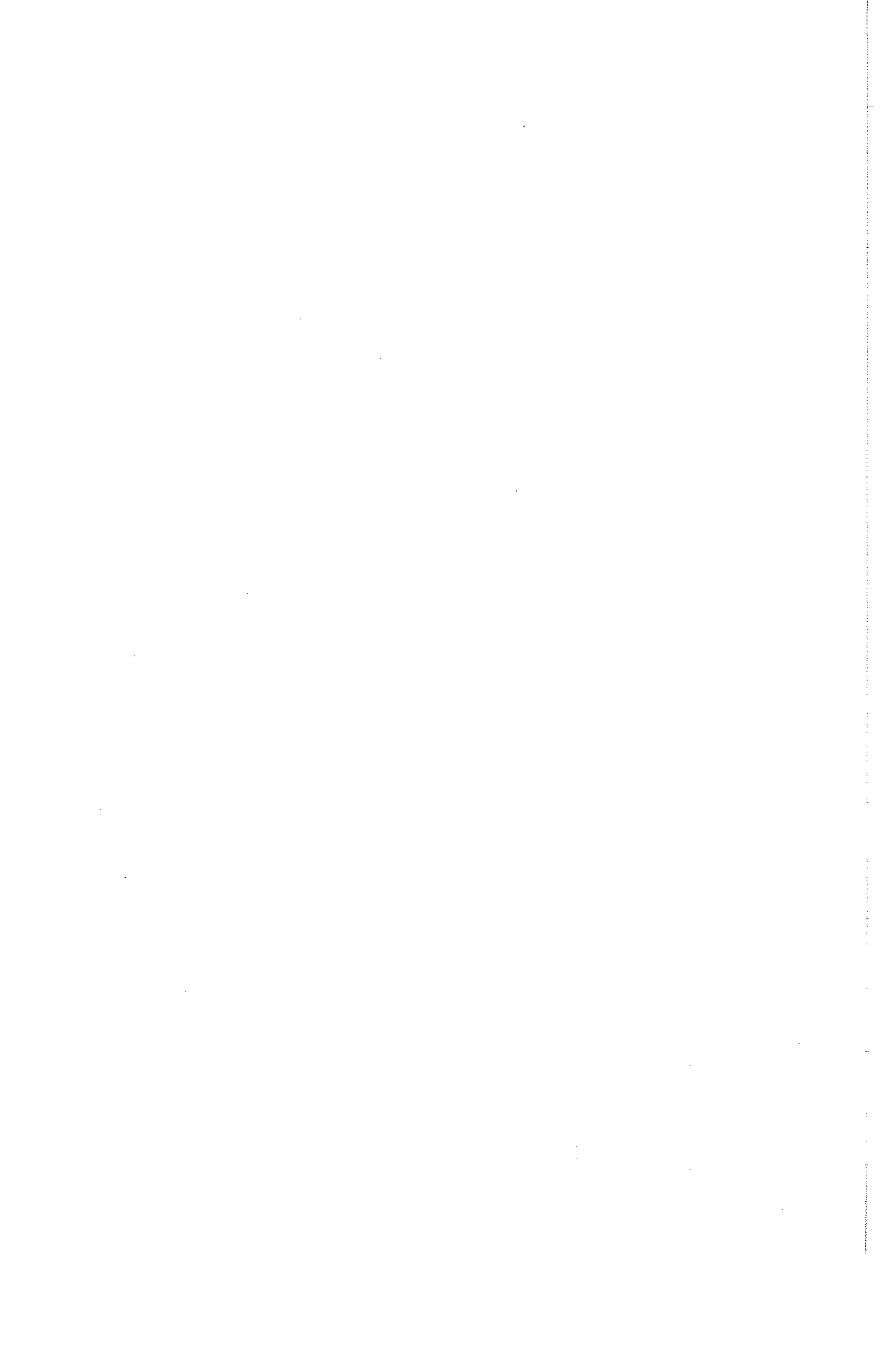
وقد أصبحت النظرة إلى التحليل الدلالي الآن على أنه يغطي فرعين :

أ ـ أحدهما يهتم ببيان معاني المفردات ، وذلك حين تعمل الوحدات اللغوية كرموز لأشياء خارج الدائرة اللغوية ، أو حين تكون العلاقات بعض الحقائق المعينة في الواقع . وقد أطلق عليها بعضهم اسم المعاني المعجمية Lexical meanings .

ب ـ والآخر يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات ، أو العلاقات بين الوحدات اللغوية مثل المورفيات والكلمات والجمل ، وذلك حين تقوم العناصر اللغوية بدور الرموز لعلاقات بين عناصر لغوية أخرى . وقد سماها بعضهم المعاني النحوية grammatical (or syntactic) meanings .

لذلك رأيت أن أركز في هذا الكتاب على الجانب الأول من الدراسة الدلالية، وهو المعاني المعجمية، مع بعض إشارات سريعة إلى الجانب الآخر حين يكون ذلك ضروريا، مؤجلا المعالجة التفصيلية له إلى كتاب آخر مستقل أرجو أن أفرغ من جمع مادته قريبا.

المؤلف



الباب الأول

مدخل وتمهيد



الفصل الأول

التعريف بعلم الدلالة

أسماؤه :

أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة Semantics. أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة ـ وتضبط بفتح الدال وكسرها ـ وبعضهم يسميه علم المعنى (ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول : علم المعاني لأن الأخير فرع من فروع البلاغة) ، وبعضهم يطلق عليه اسم « السيمانتيك » أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية .

تعريفه :

يعرفه بعضهم بأنه « دراسة المعنى » أو « العلم الذي يدرس المعنى » أو « ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى » أو « ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى ».

موضوعه :

يستلزم التعريف الأخير أن يكون موضوع علم الدلالة أي شيء أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز . هذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس[1] كما قد تكون كلمات وجملا .

(١) من أمثلة الرمز كذلك : حمرة الوجه الدالة على الخجل ، والتصفيق علامة الاستحسان ، وعلامات الترقيم ، ورسم فتاة مغمضة تمسك ميزانا كرمز للعدالة ، ووضع شوكة وسكينة بصورة متقاطعة في القطار للدلالة على وجود مطعم فيه . . وغير ذلك .

وبعبارة أخرى قد تكون علامات أو رموزا غير لغوية تحمل معنى ، كما قد تكون علامات أو رموزا لغوية .

ورغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة فإنه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان .

وقد عرف بعضهم الرمز بأنه « مثير بديل يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره » . ومن أجل هذا قيل إن الكلمات رموز لأنها تمثل شيئا غير نفسها وعرفت اللغة بأنها « نظام من الرموز الصوتية العرفية » .

ومثال الرمز غير اللغوي سماع الجرس في تجربة « بافلوف » ، فالجرس قد استدعى شيئا غير نفسه بدليل أن الكلب حين يسمع الجرس لا يتوجه إليه ولكن إلى مكان الطعام .

ومثال الرمز اللغوي تجربة سائق السيارة والعائق (شخص يقود سيارة ـ يجد أمامه لافتة مكتوبا عليها : الطريق مغلق . إذا سار السائق ولم يعبأ بالرمز فإنه سيضطر إلى الاستدارة والعودة حين يصل إلى العائق . ولكن إذا عمل بما جاء في الرمز فسيستدير بمجرد رؤيته ويعود . إذن اللافتة استدعت شيئا غير نفسها ، وهي بديل استدعى لنفسه نفس الاستجابة التي قد تستدعيها رؤية العائق) .

وحيث كان مسلما أن النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب وإنما من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تكون جملا تتحدد معالمها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك ـ حيث كان ذلك مسلما فإن علم المعنى لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة[1] لأن الكلمات ما هي إلا وحدات يبنى منها المتكلمون كلامهم ، ولا يمكن اعتبار كل منها حدثا كلاميا مستقلا قائما بذاته .

---

(١) بخلاف ما كان شائعا من قبل . وقد ذكر ماريو باي (١٩٦٥) أن علم الدلالة يختص بدراسة معاني الكلمات (أسس علم اللغة ص ٤٤) .

علم الدلالة وعلوم اللغة :

لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة . فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة ـ لأداء وظيفته ـ إلى الاستعانة بهذه العلوم . فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لا بد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية :

أ ـ ملاحظة الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على المعنى ، مثل وضع صوت مكان آخر ، ومثل التنغيم والنبر . واستمع إلى قوله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: «قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين. قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه » فلا شك أن تنغيم جملة : « قالوا جزاؤه » بنغمة الاستفهام ، وجملة « من وجد في رحله فهو جزاؤه » بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان ، ويكشف عن مضمونها .

ب ـ دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها . فلا يكفي لبيان معنى « استغفر » بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) بل لا بد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب . وفي باب « معاني صيغ الزوائد » أمثلة أخرى كثيرة .

حـ ـ مراعاة الجانب النحوي ، أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة . ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة (تغيير الوظيفة النحوية) إلى تغيير المعنى ما كان هناك فرق بين قولك : طارد الكلب القط ، وطارد القط الكلب . كذلك قد تتفق كلمات الجمل المتشابهة ، ولكن يكون الاختلاف في توزيع المعلومات القديمة (الموضوع) والجديدة (المحمول) مثل :

الثعلب السريع البني كاد يقتنص الأرنب .
الثعلب البني الذي كاد يقتنص الأرنب كان سريعا .

الثعلب السريع الذي كاد يقتنص الأرنب كان بنيا .

د ـ بيان المعاني المفردة للكلمات ، وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي .

ومن الممكن أن يوجد المعنى المعجمي دون المعنى النحوي (كما في الكلمات المفردة) ، وكذلك أن يوجد المعنى النحوي دون المعجمي (كما في الجمل التي تركب من كلمات عديمة المعنى مثل : القرعب شرب البنع) .

بل من الممكن ألا يوجد للجملة معنى مع كون مفرداتها ذوات معان ، وذلك إذا كانت معاني الكلمات في الجملة غير مترابطة مثل :

الأفكار عديمة اللون تنام غاضبة .

هـ ـ دراسة التعبيرات التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها ، والتي لا يمكن ترجمتها حرفيا من لغة إلى لغة وذلك مثل البيت الأبيض في الولايات المتحدة ، ومثل الكتاب الأبيض والكتاب الأسود كمصطلحين سياسيين ومثل التعبيرات : «yellow press» للصحافة المعنية بالفضائح والأخبار المثيرة ، و« خضراء الدمن » للمرأة الحسناء في منبت السوء .

علم الدلالة وعلم الرموز :

تذكر معاجم المصطلحات اللغوية أن علم الرموز semiotics [1] هو الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية ، باعتبارها أدوات اتصال . ويعرفه دي سوسير بأنه العلم الذي يدرس الرموز بصفة عامة ، ويعد علم اللغة أحد فروعه .

ويرى C.W. Morris و R.Carnap أن علم الرموز يضم الاهتمامات الثلاثة الرئيسية الآتية :

(١) يطلق عليه كذلك semiology و significs .

١ - دراسة كيفية استخدام العلامات والرموز كوسائل اتصال في اللغة المعينة .

٢ - دراسة العلاقة بين الرمز وما يدل عليه أو يشير إليه .

٣ - دراسة الرموز في علاقاتها بعضها ببعض .

وعلى هذا يضم علم الرموز كثيرا من فروع علم اللغة وبخاصة الدلالة والنحو الأسلوب . كما أنه يعد من الناحية الدلالية وحدها أعم من علم الدلالة لأن الأخير يهتم بالرموز اللغوية فقط ، أما الأول فيهتم بالعلامات والرموز ، لغوية كانت أو غير لغوية[1] .

علم الدلالة والعلوم الأخرى :

ربما كان ارتباط علم الدلالة بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأي فرع آخر من فروع المعرفة حتى قال بعضهم : « إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السيمانتيك وما إذا كان يجب اعتبار الفلسفة داخل السيمانتيك أو السيمانتيك داخل الفلسفة »[2] .

ومنذ نحو ربع قرن كان اللغويون يتركون السيمانتيك للفلاسفة والأنثروبولوجيين ثم أخذ السيمانتيك يحتل مكانة تدريجية في علم اللغة إلى أن تم في السنوات الأخيرة وضع السيمانتيك في مكانة مركزية في الدراسة اللغوية . وقد أشرنا في فصلنا المعنون « نظرة تاريخية » إلى دور فلاسفة اليونان في إثارة بعض المشاكل الدلالية ، وما يزال الفلاسفة حتى الآن يدرسون العلاقة بين اللغة والواقع ، ويتساءلون عن مدى تحقق الصدق أو الزيف بالنسبة للشخصيات

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع : F.H.George في : Semantics ص ٣١ ، ٧٩ ، ٨٢ . وانظر Dictionary of Language مادة Semiotics و Glossary of Linguistic Terminology مادتي : semiology و semiotics وانظر كذلك Elements of semiology ص ٩ وما بعدها .

(٢) F.H. George في Semantics ص ١٠٧ .

الخيالية الواردة في القصص مثل ساندريللا وجلفر وطرزان .

ويلي علوم الفلسفة في الاهتمام بالدلالات علم النفس الذي عالج الجانب الذاتي للغة . اهتم علماء النفس بالإدراك ، وحيث كان الإدراك ظاهرة فردية فقد طوروا وسائل ليعرفوا بها كيف يختلف الناس في إدراكهم للكلمات ، أو في تحديد ملامحها الدلالية . كذلك يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة وتعلمها ، ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة[1] .

ومن أجل اهتمام علم الدلالة بكل ما يحمل معلومات فهو يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم والآلات أو الوسائل المستخدمة في ذلك . ويتوجه جزء كبير من اهتمامه للعمليات العضوية المركبة في الفم وفي أعضاء النطق بالنسبة للمتكلم ، وتتبع ما تحدثه من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع . وهو يسير وراءها أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طريق الجهاز العصبي ، وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين ويترجمها الى الفكرة التي يعنيها المتكلم[2] . وبهذا لا يستغني الدرس الدلالي عن كثير من الحقائق الفزيائية والفسيولوجية .

ويلخص leech القضية كلها في قوله : « السيمانتيك نقطة التقاء لأنواع من التفكير والمناهج مثل الفلسفة وعلم النفس وعلم اللغة ، وإن اختلفت اهتمامات كل لاختلاف نقطة البداية »[3] .

---

(١) Semantic Theory ص ١١ وما بعدها .

(٢) من قضايا اللغة والنحو ص ٤ ، و F.H. George ص ٣٩ .

(٣) Semantics ص ٩ مقدمة . وقد بالغ المؤلف في حكمه حين قال بعد ذلك : « السيمانتيك كثيرا ما يبدو محيرا ومركبا ، وذلك لأن السبل إليه مختلفة وكثيرة ، والعلاقات بينها لا تبدو واضحة حتى بالنسبة للمؤلفين في الحقل » .

الفصل الثاني

نظرة تاريخية

١ ـ في القديم :

* تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان في بحوثهم ومناقشاتهم لموضوعات تعد من صميم علم الدلالة . ومعنى هذا أن الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني ، ومواكبة لتقدمه وتطوره .

وقد تكلم أرسطو مثلا عن الفرق بين الصوت والمعنى ، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر . وميز أرسطو بين أمور ثلاثة :

أ ـ الأشياء في العالم الخارجي .
ب ـ التصورات = المعاني .
حـ ـ الأصوات = الرموز أو الكلمات .

وكان تمييزه بين الكلام الخارجي ، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى .

وكان السؤال ما إذا كان المعنى هو الفكرة أو شيئا غيرها واحدا من أهم القضايا في المناقشات التي دارت في العصور الوسطى بين الـ Modists والـ Nominalists [1] .

(١) Greek Elements ص ١٧٩ ـ ١٨٢ .

وكان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من القضايا التي تعرض لها أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط . وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية ، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها ، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة ، أو نجد لها تعليلا وتفسيرا . أما أرسطو فكان يتزعم فريقا آخر يرى أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس . وقد أوضح أرسطو آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة ، وبين فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه[1] .

*ولم يكن الهنود أقل اهتماما بمباحث الدلالة من اليونانيين . فقد عالجوا منذ وقت مبكر جدا كثيرا من المباحث التي ترتبط بفهم طبيعة المفردات والجمل ، بل لا نغالي إذا قلنا إنهم ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة[2] .

ومن الموضوعات التي ناقشوها :

أ ـ نشأة اللغة :

كان موضوع نشأة اللغة أو كيفية اكتساب بعض الأصوات لمعانيها لأول مرة من المشكلات التي لفتت أنظار علماء الدلالة الهنود . وقد اختلفت فيها وجهات النظر بين اعتبار اللغة قديمة وهبة إلهية ليست من صنع البشر ، واعتبارها من اختراع الإنسان ونتاج نشاطه الفكري .

ب ـ العلاقة بين اللفظ والمعنى :

جذب هذا الموضوع اهتمام الهنود ، ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين ، وقد تعددت حوله الآراء . فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلا : إن

(١) دلالة الألفاظ ص ٦٢ ، ٦٣ . وانظر Learning about Linguistics ص ١١٦ .

(٢) البحث اللغوي عند الهنود ص ٩٩ .

كل شيء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الدالة عليه ، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصرا من العناصر المكونة للشيء تماما كما نعتبر الطين السبب المادي أو الرئيسي لكل المواد الترابية . ومنهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية . وربما كان أصحاب هذا الرأي هم أنفسهم الذين يعتبرون نشأة اللغة على أساس من محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة . ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان . ومنهم من رأى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة ، ولكنه طبقا لإرادة إلهية .

حـ ـ أنواع الدلالات للكلمة :

درس الهنود الأصناف المختلفة للأشياء التي تشكل دلالات الكلمات ، وعلى أساس التقسيمات لجواهر الأشياء والأصناف الموجودة في الخارج قسموا دلالات الكلمات .

وقد صرح النحاة الهنود بوجود أربعة أقسام للدلالات تبعا لعدد الأصناف الموجودة في الكون ، لأن الكلمات شارحة لهذه الأصناف . هذه الأقسام الأربعة هي :

١ ـ قسم يدل على مدلول عام أو شامل (رجل) .
٢ ـ قسم يدل على كيفية (طويل) .
٣ ـ قسم يدل على حدث (جاء) .
٤ ـ قسم يدل على ذات (محمد) .

د ـ مسائل متفرقة :

أشار الهنود إلى كثير من النقاط التي ما زال يعترف بها علم اللغة الحديث مثل :

١ ـ أهمية السياق في إيضاح المعنى .

٢ ـ وجود الترادف والمشترك اللفظي كظاهرة عامة في اللغات .
٣ ـ دور القياس والمجاز في تغيير المعنى[١] .

* وكان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم . وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ،ومثل الحديث عن مجاز القرآن ، ومثل التأليف في « الوجوه والنظائر »[٢] في القرآن ، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ . وحتى ضبط المصحف بالشكل يعد في حقيقته عملا دلاليا لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ، وبالتالي إلى تغيير المعنى . ولعلنا في هذا المقام يكفينا التمثيل بسبب وضع النحو حين لحن قارىء في آية قرآنية وقرأ : أن الله برىء من المشركين ورسوله ـ بجر رسول ـ بدلا من ضمها ، مما أدى إلى أن يبرأ الله من رسوله بدلا من أن يكون الرسول هو البريء من المشركين .

وتنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فغطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية . ومن ذلك :

١ ـ اهتمامات اللغويين التي تمثلت فيما يأتي :

أ ـ محاولة ابن فارس الرائدة ـ في معجمه المقاييس ـ ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها .

ب ـ محاولة الزمخشري الناجحة ـ في معجمه أساس البلاغة ـ التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية .

حـ ـ محاولة ابن جنى ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد كقوله : « وأما ك ل م فهذه أيضا حالها . وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة . والمستعمل منها أصول خمسة وهي : ك ل م ، وك م ل ، و ل ك م ، و

---

(١) تفصيل ذلك في كتابنا : البحث اللغوي عند الهنود ـ فصل الدلالة ص ٩٩ ما بعدها .
(٢) سيأتي شرح لهذا المصطلح في الباب الثالث عند الحديث عن المشترك اللفظي .

م ك ل ، و م ل ك ، وأهملت منه : ل م ك[1] .

د ـ البحوث الدلالية التي امتلأت بها كتب مثل : المقاييس لابن فارس ـ الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ـ الخصائص لابن جنى ـ المزهر للسيوطي . . .

٢ ـ اهتمامات الأصوليين وعلماء الكلام والفلاسفة المسلمين التي تمثلت فيما يأتي :

أ ـ عقد الأصوليين أبوابا للدلالات في كتبهم تناولت موضوعات مثل : دلالة اللفظ ـ دلالة المنطوق ـ دلالة المفهوم ـ تقسيم اللفظ بحسب الظهور والخفاء ـ الترادف ـ الاشتراك ـ العموم والخصوص ـ التخصيص والتقييد . وهناك بحوث كثيرة تحدثت عن الجهود اللغوية لعلماء الأصول مثل بحث « صلة علم الأصول باللغة » للدكتور محمد فوزي فيض الله ، وبحث « بحوث لغوية تطورت على أيدي علماء الأصول » للأستاذ محمد تقي الحكيم[2] .

ب ـ تجد دراسات وإشارات كثيرة للمعنى في مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن حزم والغزالي والقاضي عبد الجبار والفيلسوف المعتزلي معمّر وغيرهم . . مما يحتاج تفصيله إلى مؤلف مستقل[3] .

٣ ـ اهتمامات البلاغيين التي تمثلت في دراسة الحقيقة والمجاز ، وفي دراسا كثير من الأساليب كالأمر والنهى والاستفهام . . وفي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني . . وغيرها

٢ ـ في الحديث :

ليس معنى وجود الاهتمامات السابقة بمباحث الدلالة أن علم الدلالة قدي في نشأته قدم الدراسات اللغوية ، ولكننا نقول إن بعض مباحثه قد أثيرت ، وبعض

---

(١) الخصائص ١ / ١٣ .

(٢) نشر الأول في مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ، وألقى الثاني في إحدى دورات مجمع اللغة العر في بغداد .

(٣) انظر نتفا من آرائهم في Greek Elements ـ الفصل العاشر .

أفكاره قد طرحت للمناقشة ، ولكن دون تمييزه عن غيره من فروع علم اللغة، بل حتى دون تمييزه عن علوم أخرى تعد الآن غريبة عليه . وبذلك نقول إن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم ، وبمناهج بحثه الخاصة ، وعلى أيدي لغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة ، وواحدة من أهم نتائجها .

وقد ظهرت أوليات هذا العلم منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وكان من أهم المسهمين في وضع أسسها :

١ ـ Max Muller الذي صرح في كتابين له بعنواني :

The science of language (١٨٦٢)

The science of thought (١٨٨٧)

أن الكلام والفكر متطابقان تماماً ، وإن كان منهجه أقرب إلى الفروض منه إلى حقائق العلم ، كما أنه عجز عن عبور الفجوة بين علم اللغة والتحليل المنطقي للمعنى ، وكان هذا العبور ضرورياً لتحقيق تقدم مثمر لعلم الدلالة .

٢ ـ Michel Bréal اللغوي الفرنسي الذي كتب بحثاً بعنوان مقالة في السيمانتيك Essai de semantique (١٨٩٧) وقد ظهر في طبعة إنجليزية بعد ثلاث سنوات فقط وكان أول من استعمل المصطلح « سيمانتيك » لدراسة المعنى وصارت الكلمة مقبولة في الإنجليزية والفرنسية[1] . وقد عنى المؤلف في هذا البحث بدلالات الألفاظ في اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوروبية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واعتبر بحثه وقتئذ ثورة في دراسة علم اللغة ، وأول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات[2] .

(١) من المصطلحات الأخرى التي استعملت ولمْ يكتب لها الغلبة : - Semanteme - Sematology - Semology - Semasiology.

(٢) انظر New Trends in Linguistics ص ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ ومن قضايا اللغة والنحو ص٩ ؛ وعلم النفس اللغوي ص ٦٧ ـ ٦٩ .

وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر عمل لغوي ضخم للعالم السويدي Adolf Noreen (١٨٥٤ ـ ١٩٢٥) بعنوان « لغتنا » خصص قسماً كبيراً منه لدراسة المعنى مستخدماً المصطلح Semology [١] .

وقد كان نورين سباقاً في كثير من النتائج التي توصل إليها ، وكانت أفكاره أساساً لكثير من النظريات التي طورها اللغويون الأوربيون والأمريكيون فيما بعد .

وقد قسّم نورين دراسته للمعنى إلى فرعين :

أ ـ الدراسة الوصفية (عالج فيها نماذج مختلفة من السويدية الحديثة) .

ب ـ الدراسة الإيتومولوجية للمعنى التي تعالج تطوره التاريخي [٢] .

وتتابعت الدراسات الدلالية بعد ذلك ، فخصص Kristoffer Nyrop مجلداً كاملا من كتابه : « دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية » ـ خصصه للتطور السيمانتيكي (١٩١٣) . ونشر Gustaf Stern (١٩٣١) دراسة عن المعنى وتطوره [٣] . ويعتبر أولمان بداية الثلاثينات أهم فترة في تاريخ السيمانتيك . فقد شهدت نضوج العلم الجديد ، وشهدت توسيع الفجوة التي هددت بتمزيق وحدته [٤] .

وقد ارتبط علم الدلالة خلال هذا بأسماء مثل Ogden و Richards ومثل Alfred Korzybski جعلته يسير في خط لا يتطابق تماماً مع الخط الفلسفي وإن لم يحقق انفصالاً كاملاً . وقد أخرج الأولان عملهما الأساسي في علم المعنى تحت عنوان The Meaning of Meaning (عام ١٩٢٣) الذي حاولا فيه أن يضعا نظرية للعلامات والرموز ، كما قدما في هذا الكتاب ستة عشر تعريفاً للمعنى ذكرا

(١) Portraits of Linguists جـ ٢ ص ٥٦ وما بعدها .
(٢) New Trends in Linguistics ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٣) السابق ص ١٢٤ ؛ The principles of Semantics ص ٢ .
(٤) الأخير ص ٢ .

أنها تمثل فقط أشهر هذه التعريفات[1] . وقد كانا السابقين في تقديمها إلى التحليل السيمانتيكي التمييز بين الوظيفة الإشارية Referntial والوظيفة العاطفية Emotional للكلمات[2] . أما Korzybski فقد اهتم بالحالة السلوكية العامة التي من خلالها يتحقق الاتصال . وقد وضع نظرية علمية عن كيفية عمل اللغة في مواقف الاتصالات الإنسانية[3] .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان الوضع مختلفاً لسببين :

١ ـ أن بدايات علم الدلالة هناك قد حققت نجاحاً على يد الأنثروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين الخلص . وفي مجال بحث دائرة أو دوائر محددة من المادة المعجمية أوجدوا وسيلة للتحليل اللغوي ليس لها نظير عند اللغويين ، وقدموا للعالم دراسات مقارنة لكثيرمن الحقول أو المجالات الدلالية مثل ألفاظ القرابة ، وأسماء الأمراض ، وأسماء الألوان . . . وغيرها[4] .

٢ ـ أنه وجد ميل واضح في أعمال بلومفيلد وأتباعه ضد المعنى . فقد كان رأي بلومفيلد أن دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية ، وأن من الأوفق أن نحدد مجال علم اللغة بالمادة التي يمكن ملاحظتها وتجربتها وقياسها . وأخيراً أصدر بلومفيلد حكمه قائلاً « إن دراسة المعنى المعجمي ، وبالتالي السيمانتيك تعد خارج المجال الواقعي لعلم اللغة » .

وقد أدت تصريحات بلومفيلد هذه إلى إهمال المعنى بل وأحياناً مهاجمته بعنف على رغم أنه داخل في مجالات دراسية أخرى مثل المنطق أو الفلسفة أو علم النفس . كما أدى إلى تبني بعضهم منهجاً يقوم على اعتبار الخصائص الشكلية للغة ـ وبخاصة التركيبات النحوية ـ كجوهر اللغة . ولهذا نجد كثيراً من

---

(١) قد يتجاوز عدد التعريفات العشرين إذا أخذنا في الاعتبار التعريفات الفرعية .

(٢) New Trends ص ١٢٥ ؛ و Semantics (1964) ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٣) الأخير ص ٦٥ وما بعدها .

(٤) Coseriu في Linguistics and Semantics ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الدراسات اللغوية التركيبية في أمريكا قد اتجهت إلى استخدام المعنى بقدر بسيط ، للمساعدة فقط في تطوير دراستهم الفونولوجية ، وبخاصة للتمييز بين التغير الفونيمي والتغير الفوناتيكي . ونجد كثيراً منها يسقط علم المعنى كمستوى من مستويات التحليل اللغوي مكتفياً بالمستويات الثلاثة : الفونولوجي - المورفولوجي - السنتاكس .

ويبدو أن أولئك الذين رفضوا الاعتراف بالمعنى من علماء اللغة الأمريكيين قد حمّلوا أقوال بلومفيلد أكثر مما تحتمل ، أو اكتفوا بقراءة سطحية لها دون أن يفهموا ما يعنيه بالعقلية mentalism والآلية mechanism . فإذا كان بلومفيلد قد هاجم بشدة المصطلحات العقلية مثل التصور والفكرة فلأنه كان يؤمن بالسلوكية التي تتشكك في مثل هذه المصطلحات وتنادي بالتركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها ، وليس لأنه كان « يتجاهل المعنى » (ككل) ، أو أنه «لم يعط اعتباراً للمعنى» .

وقد وقع في هذا الوهم (وهم مهاجمة بلومفيلد لدراسة المعنى) كثيرون منهم Robins الذي يقول مبيناً التغاير في وجهتي النظر بين Firth و Bloomfield بالنسبة للمعنى في علم اللغة : « في حين أن معاصره (معاصر فيرث) الأمريكي بلومفيلد كان يقول إن دراسة المعنى تقع خارج المجال الحقيقي لعلم اللغة ، أو على الأقل خارج اختصاص الدراسة اللغوية الحديثة. فقد نص فيرث على أن المعنى يشكل قلب الدراسة اللغوية باعتبارها نشاطاً ذا معنى » . ويناقش هذا الوهم Roger Fowler قائلاً : « إننا كثيراً ما نقابل الرأي أنه يوجد تعارض بين لغويي أمريكا وبريطانيا أو بين نظرية البلومفيلديين والفيرثيين في استعمالهم واتجاههم نحو المعنى . وهذا تصور خاطيء » ناتج عن عوامل متعددة :

أ - الانطباع السائد أن التفسيرات اللغوية لكل من الأمريكيين والبريطانيين مختلفة دائماً وبصورة أساسية .

ب - الفشل في فصل آراء بلومفيلد عن آراء مريديه والميل إلى تفسير

بلومفيلد على ضوء تصريحات بعض اللغويين الأمريكيين .

د ـ توهم أن مفهوم المعنى الذي هاجمه بلومفيلد هو نفسه مفهوم المعنى الذي دافع عنه فيرث .

ولكن الثابت أن المعنى الذي هاجمه بلومفيلد هو المعنى بمفهوم أصحاب النظريتين الإشارية والتصورية . فالأولى تربط المعنى بالموجودات الخارجية . ويرى بلومفيلد أننا لكي نعطي تعريفاً دقيقاً للمعنى ـ على أساس هذه النظرية ـ بالنسبة لكل صيغة في اللغة « لا بدّ أن نكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم . ولكن المعرفة الإنسانية أقل من هذا بكثير » . أما الثانية فتربط المعنى بالأفكار الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين وقد سبق أن قلنا إن بلومفيلد كان يتشكك في كل المصطلحات الذهنية ، ويركز على الأحداث الممكن ملاحظتها فقط .

ولهذا فإن بلومفيلد حين قال « إن قضية المعنى هي أضعف نقطة في دراسة اللغة » كان يشير إلى أحد هذين المنهجين (الإشاري) أو كليهما ، ولم يقصد الانتقاص بوجه عام من دراسة المعنى أو التقليل من شأنها كما توهم بعضهم . وقد أشار بلومفيلد إلى استعمالات معينة للمعنى في التحليل اللغوي ، كما أكد أن المعنى لا يمكن تجاهله في مستويات التحليل اللغوي المختلفة . وهذه طائفة من النصوص المنقولة عنه :

١ ـ الإنسان يصدر أصواتاً نتيجة أشكال معينة من المثيرات ، ويسمعه أصحابه ويقدمون الاستجابة الملائمة . ففي الكلام البشري : الأصوات المختلفة تحمل معاني مختلفة . ودراسة هذه الارتباطات بين أصوات معينة ومعان معينة تعني دراسة اللغة .

٢ ـ من الهام أن نتذكر أن دراسة الفونولوجي تتطلب معرفة بالمعنى . وبدون هذه المعرفة لا يمكن أن نحدد الملامح الفونيمية .

٣ ـ والاقتباس التالي من خطاب مؤرخ ٢٩ من يناير ١٩٤٥ أرسله بلومفيلد في أواخر حياته (توفي ١٩٤٩) إلى صديق له : « من المؤلم أن يكون الشائع أنني ـ أو أن مجموعة من اللغويين أنا من بينهم ـ لا أعطي اهتماماً للمعنى ، أو أنني أهمله ، أو أقوم بدراسة اللغة دون المعنى . ببساطة كأن اللغة أصوات عديمة المعنى . . إنه ليس أمراً شخصياً فقط هو الذي أشرت إليه ، وإنما هو حكم لو سمح بتطبيقه فسوف يعوق تقدم علمنا بوضع تضاد متوهم بين الدارسين الذين يهتمون بالمعنى ، والآخرين الذين يتجاهلونه أو يهملونه . الفريق الأخير ـ كما أعلم ـ غير موجود » .

ويعلّق Fowler على هذه الاقتباسات قائلاً : « لم يكن روبنس إذن منصفاً حين نسب إلى بلومفيلد استبعاده المعنى باعتباره خارج المجال الحقيقي لعلم اللغة . إن بلومفيلد لم يقل إن اللغوي يجب ألا يصف المعنى . وكذلك لم يهمل بلومفيلد الإشارة إلى المعنى وأهميته في فروع أخرى غير السيمانتيك . ومن ذلك قوله : (فقط حين تعرف أي الأحداث الكلامية متطابق في المعنى وأيها تختلف يمكن لك أن تتعرف على التمييزات الفونيمية) . كما أنه أبدى تعاطفاً مع استخدام المعنى في التحليل الصرفي » . وينتهي Fowler إلى القول عن بلومفيلد : « إنه أعلن بصراحة أن استخدامات تقليدية معينة للمعنى كأساس للتحليل والتعريف والتصنيف لم تقد إلى نتائج مفيدة مقنعة يمكن إثباتها . ولذا وجب أن تهجر » . وقد عنى بلومفيلد بهذه الاستخدامات التقليدية الاتجاه الإشاري من دراسة المعنى .

ومما يدل على أن بلومفيلد لم يكن يهاجم دراسة المعنى (بصورة مطلقة) أنه قدم لدراسة المعنى منهجاً أو نظرية تعرف بالنظرية السلوكية ، كما سنفصّل الحديث في الباب الثاني . فكيف يهاجم المعنى ثم يقدم منهجاً لدراسته وتحليله؟

وبعد أن تبينت حقيقة رأى بلومفيلد ما لبث الميزان أن اعتدل ، وتنبه اللغويون الأمريكيون إلى خطأ فهمهم ، ولكن بعد أن مرت سنوات طويلة أهملوا

فيها علم الدلالة . ولهذا يمكن القول إن علم الدلالة لم يحتل مكانه المتميز ـ في العالم كله - بين فروع علم اللغة إلا منذ سنوات قليلة بعد أن صحّح كثير من العلماء رأى بلومفيلد أو فسروه تفسيراً يزيل عنه ما علق به من شبهات أو أفكار متطرفة[1] .

ومنذ أواخر الخمسينات ظهرت بعض الكتيبات الأمريكية التي تعطي حيزاً صغيراً للدلالة مثل تلك التي كتبها Ch. F. Hockett (١٩٥٨) ، وA. A. Hill (١٩٥٨) ، و H. A. Gleason (١٩٦١) ، و R. A. Hall (١٩٦٤) ولكن يكفي أنها بذلك هيأت السبيل للتحرك ضد العداء للمعنى ، وصارت كلمات مثل meaning و mentalist يمكن أن تتردد في دوائر علم اللغة الأمريكي بعد أن كان ينظر إليها بعين الاحتقار والازدراء .

ولم يتحقق الانتصار الكامل إلاّ بعد ظهور الاتجاه التوليدي generative linguistics الذي صادف تقويضاً كان موجوداً بالفعل ضد البلومفيلدية[2] .

أما المؤلفون الأوربيون فيبرز من بينهم أسماء كثيرة منها :

١ ـ S. Ullmann الذي أثرى المكتبة اللغوية بكتب متعددة في علم الدلالة منها :

أ ـ أسس علم المعنى (بالإنجليزية)
ب ـ علم المعنى (بالإنجليزية)
حـ ـ المعنى والأسلوب (بالإنجليزية)
د ـ دور الكلمة في اللغة (مترجم إلى العربية) ، وقد قام بترجمته الدكتور كمال بشر الأستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

---

(١) بالنسبة لرأي بلومفيلد والمدرسة الأمريكية انظر : مجلة Word العدد ٢١ ص ٤١١ ، ٤١٤ مقال : Meaning and Linguistic Analysis; A note on some uses of the term meaning ص ١٦٠ ، ١٦٣ ؛ Semantic theory ص ١٥ وما بعدها ؛ Linguistics and Semantics ص ١٠٦ وما بعدها

(٢) انظر Linguistics and Semantics ص ١٠٨ .

٢ ـ J. Lyons الذي أصدر عدة كتب في علم اللغة يهمنا منها :

أ ـ علم الدلالة التركيبي (١٩٦٤)

ب ـ علم الدلالة (١٩٧٧)

والكتاب الأخير يعد من أهم ما كتب في الدلالة حتى الآن ، وهو كتاب كبير شامل يقع في جزأين ويبلغ نحو تسعمائة صفحة . وأهم ما حققه ليونز في كتابه هذا تثبيت مصطلحات هذا العلم وتحديد مدلولاتها بدقة ، والتفريق بين المصطلحات التي تبدو متشابهة أو يستعملها بعضهم على أنها متطابقة ، وأخيراً العمق والدقة والتفصيل ، مع الإكثار من الأمثلة ، والتعقيب على كل فكرة ببيان أوجه القصور أو التميز فيها .

أما من بين المؤلفين العرب فيبرز اسم الدكتور إبراهيم أنيس (أستاذ علم اللغة السابق بجامعة القاهرة) واسم كتابه : « دلالة الألفاظ » ، وقد ظهر في طبعته الأولى عام ١٩٥٨ ، وطبع عدة طبعات بعد ذلك .

والكتاب يحتوي على اثني عشر فصلاً خصص أولها للبحث في نشأة الكلام الإنساني وكيف ارتبطت الألفاظ بمدلولاتها ، ونوع هذا الارتباط . وفي الفصول الثلاثة التالية تحدث المؤلف عن أداة الدلالة وهي اللفظ ، ثم تدرج إلى بيان أقسام الدلالة وهي الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية . وناقش المؤلف بعد ذلك آراء العلماء في العلاقة بين اللفظ ودلالته ، أهي علاقة طبيعية ضرورية كالعلاقة بين الشمس والضوء ، أم هي علاقة عرفية اصطلاحية . وعلى الرغم من أن المؤلف قد انضم إلى الرأي الثاني فقد اعترف بوجود مجموعة من الألفاظ في كل اللغات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعانيها مثل الحفيف والقهقهة وغير ذلك .

وفيما تلا ذلك من فصول ناقش المؤلف خطوات اكتساب الدلالة عند الأطفال وعند الكبار ، وموضوع المركز والهامش في الدلالة ، وموضوع تطور

الدلالة ، وعوامل هذا التطور وأشكاله . وناقش خلال ذلك قضية الحقيقة والمجاز .

وبعد ذلك ناقش المؤلف موضوع الترجمة فنّها وأسلوبها ومشكلاتها بطريقة علمية دقيقة . (راجع عرضا أوسع للكتاب : قضايا لغوية للدكتور كمال بشر ص **١٦٢ وما بعدها)** .

الفصل الثالث

الوحدة الدلالية

يختلف علماء اللغة المحدثون في تعريف الوحدة الدلالية ، وفي المصطلح العلمي الذي يطلقون عليها . فمنهم من أطلق عليها مصطلح Semantic unit ، وهو المصطلح الذي اخترنا ترجمته العربية عنواناً لهذا الفصل . ومنهم من أطلق عليها مصطلح Sememe ، وهو مصطلح دخل علم اللغة أول مرة عام ١٩٠٨ على يد اللغوي السويدي Adolf Noreen ودخل علم اللغة الأمريكي على يد بلومفيلد عام ١٩٢٦[١] .

وتختلف وجهات النظر اللغوية حول تعريف الوحدة الدلالية . فمنهم من قال إنها : الوحدة الصغرى للمعنى . ومنهم من قال إنها : تجمع من الملامح التمييزية، ومنهم من قال إنها : أي امتداد من الكلام يعكس تبايناً دلالياً[٢] .

وإذا كان بعضهم قد اعتبر الوحدة الدلالية هي النص a text [٣] فإن ما ذكره ندا Nida من وجود مستويات متعددة لهذه الوحدة هو اختيارنا ، وما سرنا عليه هنا .

---

(١) Lexicography and Semantics في Linguistics today ص ٤١ .

(٢) انظر Dictionary of language and linguistics مادة Sememe ؛ و Componential Analysis ص ١١١ .

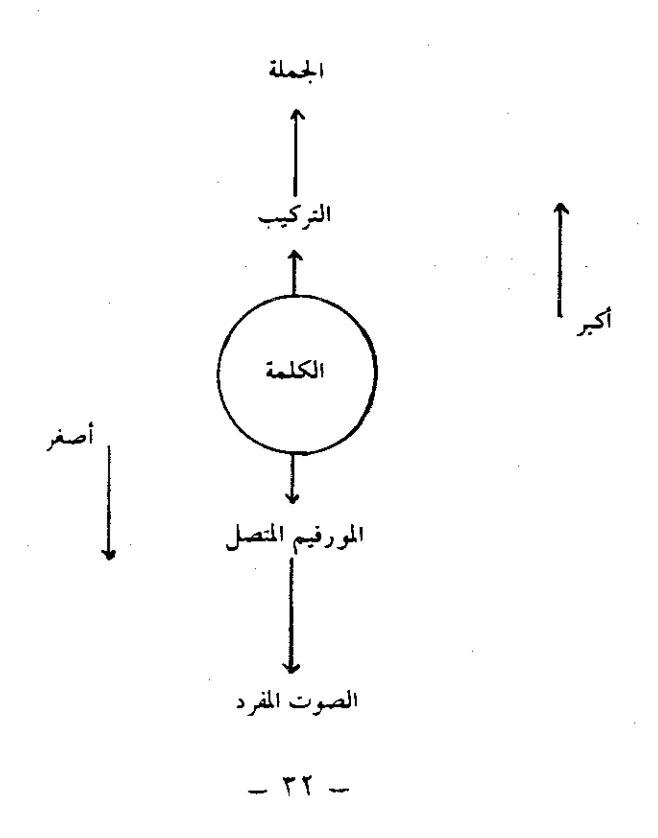
(٣) ورد في كتاب : Terms in Systemic linguistics : النص يمكن النظر إليه على أنه الوحدة الأساسية للمعنى اللغوي (١٢٣) وورد فيه كذلك أن النص بالنسبة لعلم الدلالة كالجملة بالنسبة لعلم النحو (ص ١٢٢) .

وطبقاً لما قاله Nida فإن أي امتداد من الكلام من مستوى المورفيم - بل مما دون هذا المستوى - إلى الكلام المنطوق كله يمكن أن يتحدث عنه من جانبين : إما كوحدة معجمية Lexical unit أو كوحـدة دلالية Semantic unit . فحينما يكون التركيز على صيغة معنية يكون المرء متحدثاً عن وحدة معجمية ، ولكن حينما يكون التركيز على معنى هذه الصيغة يمكن للمرء أن يستعمل ما يسمى بالوحدة الدلالية .

وقد قسم Nida الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية هي :

١ - الكلمة المفردة .
٢ - أكبر من كلة (تركيب) .
٣ - أصغر من كلمة (مورفيم متصل) .
٤ - أصغر من مورفيم (صوت مفرد) .

ويمكن التمثيل لها بالشكل الآتي بعد إضافة وحدة الجملة كذلك :



وتعد الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسي للوحدات الدلالية حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى .

أما الوحدات الدلالية الأكثر شمولية وهي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة فنعنى بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض . وفي هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيري idiomatic .

ويدخل تحت هذه الوحدة الأنواع الثلاثة الآتية :

أ ـ التعبير idiom

ب ـ التركيب الموحد unitary complex

حـ ـ المركب Composite أو التعبير المركب composite expression. فمثال النوع الأول كل التعبيرات المكونة من تجمع من الكلمات يملك معاني حرفية ومعنى غير حرفي مثل التعبير العربي : ضرب كفاً بكف الذي يحمل معنى « تحيرّ » والتعبير الإنجليزي : Spill the beans التي تعنى « يوضح » أو يكشف » .

أما التركيب الموحّد فهو غير الكلمة المركبة Complex word التي يعنى بها الكلمة المكونة من مورفيم حر بالإضافة إلى مورفيم متصل أو أكثر ، أو المكونة من مورفيمين متصلين أو أكثر[1] . وقد عرف Nida التركيب الموحد بأنه ما يتكون من اثنين أو أكثر من الصيغ الحرة ، أو ما يتكون من مجموعة كلمات يتصرف تجمّعها ككل بطريقة مختلفة عن الطبقة الدلالية للكلمة الرئيسية : head word .

ومثال ذلك : pine apple (أناناس) فهو ليس نوعاً من التفاح . ومثله البيت الأبيض : White House الذي لا يشير إلى مبنى ، ولكن إلى مؤسسة سياسية . وعلى هذا فحين يصنف دلالياً لا يمكن وضعه مع الكلمات التي تدل على الإقامة مثل فيلا ـ كوخ ـ بيت ـ قصر . . ولكن يجب أن يوضع ضمن المجال الذي

(١) مثال الأول homeliness ومثال الثاني receive .

يتعلق بالمؤسسات الحكومية مثل Senate House وSupreme Court . . .

وأما المركبات ، أو التعبيرات المركبة فتختلف عن التركيبات الموحدة في أن الكلمة الرئيسية فيها ما تزال تنتمي إلى نفس مجالها الدلالي مثل Field work ، ومثل house-boat .

وأما الجملة فيعتبرها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى ، بل ويعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها . وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة ، وإنما معناها في الجملة التي ترد فيها . فإذا قلت إن كلمة أو عبارة تحمل معنى ، فهذا يعنى أن هناك جملاً تقع فيها الكلمة أو العبارة ، وهذه الجمل تحمل معنى .

أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من كلمة فتتمثل في المورفيم المتصل[١] ويشمل ذلك السوابق واللواحق . فالأولى مثل أحرف المضارعة ـ السين للدلالة على الاستقبال ـ re في remark وreestablish[٢] . والثانية مثل الضمائر المتصلة ومثل اللاحقة ly- كما في : friendly و ness في : darkness . .

أما الوحدة الدلالية التي تعد أقل من مورفيم فمثل دلالة الضمة على المتكلم والفتحة على المخاطب والكسرة على المخاطبة في الضمائر : كتبتُ ـ كتبتَ ـ كتبتِ . ومثل دلالة الضمة على البداوة والكسرة على الحضارة في اللغة العربية . فإذا رويت لنا كلمة بروايتين ، إحداهما تشتمل على ضم في موضع معين من هذه الكلمة ، والرواية الأخرى تتضمن الكسر في نفس الموضع من الكلمة رجحنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى البيئة البدوية وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى البيئة الحضارية . ومن أمثلة ذلك في اللهجات الحديثة : (زهق) التي تنطق بضمتين أو بكسرتين ، و (صغر) و (صبر) . . ومن اللهجات القديمة : « أسوة » التي

(١) يعرف المورفيم بأنه أصغر وحدة ذات معنى . ويقسم إلى : مورفيم حر وهو الذي يمكن استعماله بمفرده ، ومورفيم متصل وهو الذي لا يستعمل منفرداً ، بل متصلاً بمورفيم آخر . ومثالها كلمة «رجلان» المكونة من مورفيم حر (رجل) ومورفيم متصل (ان) علامة التثنية .

(٢) بخلاف re في recover التي لا تملك معنى مستقلاً .

تنطق بضم الهمزة وبكسرها ، وبهما قريء في القرآن الكريم ، وكذلك « قدوة » بضم القاف وكسرها وهما روايتان ذكرتهما المعاجم العربية . يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية . فحيث كسرت القبائل المستحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم . والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان لأنهما من أصوات اللين الضيقة » .

ومثل هذا يقال عن ميل البداوة إلى الأصوات الشديدة ، والحضارة إلى الأصوات الرخوة مثل فاضت نفسه (صوت شديد) وفاظت نفسه (صوت رخو) ، وميل البداوة إلى الأصوات المجهورة والحضارة إلى الأصوات المهموسة ، كقراءة ابن مسعود « عتى حين » في « حتى حين »[1] .

وفي اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى قد ترتبط العلة الأمامية العالية (الكسرة) بمعنى النوعية الصغيرة وترتبط العلة الخلفية العالية (الضمة) بمعنى الضخامة . ومن أمثلة ذلك clunk و clink (الأول مرتبط بمعنى الطقطقة والثاني بمعنى الطنين) وكذلك كلمتا tip و bit الانجليزيتان ، وكلمة petit الفرنسية[2] .

---

(١) انظر : في اللهجات العربية ص ٩٠ وما بعدها .

(٢) كان اعتمادنا الأساسيّ في هذا الفصل على كتاب Componential Analysis: Nida ص ١١١ - ١١٥ وعلى كتاب : Dictionary of Language and Linguistics في مواد متعددة . وانظر : Meaning and Style ص ١٣ - ١٧ .

الفصل الرابع

أنواع المعنى

بعض الناس قد يظن أنه يكفي لبيان معنى الكلمة الرجوع الى المعجم ومعرفة المعنى أو المعاني المدونة فيه. وإذا كان هذا كافيا بالنسبة لبعض الكلمات، فهو غير كاف بالنسبة لكثير غيرها. ومن أجل هذا فرق علماء الدلالة بين أنواع من المعنى لا بد من ملاحظتها قبل التحديد النهائي لمعاني الكلمات. ورغم اختلاف العلماء في حصر أنواع المعنى فإننا نرى أن الأنواع الخمسة الآتية هي أهمها:

١ ـ المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي ويسمى أحيانا المعنى التصوري أو المفهومي coceptual meaning ، أو الإدراكي Cognitive . وهذا المعنى هو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي ، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة ، وهي التفاهم ونقل الأفكار . ومن الشرط لاعتبار متكلمين بلغة معينة أن يكونوا متقاسمين للمعنى الأساسي . ويملك هذا النوع من المعنى تنظيما مركبا راقيا من نوع يمكن مقارنته بالتنظيمات المشابهة على المستويات الفونولوجية والنحوية[١] .

---

(١) من أمثلة ذلك اعتماده على ملامح التضاد أو المغايرة contrastiveness من ناحية وعلى أساس التركيب التكويني أو التشكيلي من ناحية . فكما أن الملامح المضادة تميز الأصوات في الفونولوجي فكذلك هي تميز المعاني التصورية في السيمانتيك . وعلى سبيل المثال فإن كلمة امرأة يمكن أن تحدد باعتبارها تملك الملامح : + انسان - ذكر + بالغ كمتميزة عن كلمة ولد التي تملك الملامح : + انسان + ذكر - بالغ . أما الأساس الثاني فبناء عليه تحلل الوحدات اللغوية الأكبر الى وحدات أصغر أو تجمع الوحدات الأصغر في وحدات لغوية أكبر . وكما يستخدم هذا المنهج في النحو لتحليل الجملة يمكن استخدامه في السيمانتيك لتحليل المعنى الأساسي أو المعاني الأساسية . وسنزيد الأمر تفصيلا عن هذه النقطة حين حديثنا عن « النظرية التحليلية » ضمن مناهج دراسة المعنى .

(وانظر Leech ص ١٠ ، ١ ، ٩٦)

وقد عرف Nida هذا النوع من المعنى بأنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقل سياق أي حينما ترد منفردة[1] .

٢ ـ المعنى الإضافي أو العَرَضي أو الثانوي أو التضمني . وهو المعنى الذي يملكه اللفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التصوري الخالص .

وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي وليس له صفة الثبوت والشمول ،وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن[2] أو الخبرة .

فإذا كانت كلمة « امرأة » يتحدد معناها الأساسي بثلاثة ملامح هي (+ إنسان – ذكر + بالغ) فهذه الملامح الثلاثة تقدم المعيار للاستعمال الصحيح للكلمة . ولكن هناك معاني إضافية كثيرة ، وهي صفات غير معيارية ، وقابلة للتغيير من زمن إلى زمن ، ومن مجتمع إلى مجتمع . هذه المعاني الإضافية تعكس بعض الخصائص العضوية والنفسية والاجتماعية ، كما تعكس بعض الصفات التي ترتبط في أذهان الناس بالمرأة (كالثرثرة وإجادة الطبخ ولبس نوع معين من الملابس) ، أو التي ترتبط في أذهان جماعة معينة تبعا لوجهة نظرهم الفردية أو الجماعية ، أو لوجهة نظر المجتمع ككل (استخدام البكاء ـ عاطفية ـ غير منطقية ـ غير مستقرة) .

وإذا كانت كلمة « يهودي » تملك معنى أساسيا هو الشخص الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية فهي تملك معاني إضافية في أذهان الناس تتمثل في الطمع والبخل والمكر والخديعة[3] .

---

(١) Componential Analysis of Meaning ص ١٣٠ .

(٢) لا أدل على تغيره بتغير الزمن والثقافة ما يروى عن ابن الجهم الشاعر الذي مدح الخليفة بأبيات شبهه فيها بالكلب والتيس دون أن يغضب الخليفة (وقارن هذا بما يحدث في العصر الحديث لو شبه إنسان بهذين الحيوانين)

(٣) وكذلك تثير كلمة « غنم » معنى الانقياد ، وكلمة « فأر » معنى الجبن ، وكلمة « حمار » معنى البلادة ، وكلمة « نحلة » معنى النشاط . . انظر New Trends ص ١٣٥ .

ولعل من الطريف هنا أن نذكر الحادثة الآتية . فحين وضع الدستور المصري في العشرينات وحين النص فيه على سيادة الدولة على نفسها كان المقترح أن يقال : « مصر دولة سيدة » ولكن عدل عن =

ولا يعتبر شرطا بالنسبة للمتكلمين بلغة معينة أن يتفقوا في المعنى أو المعاني الإضافية . كما أن المعنى الإضافي مفتوح وغير نهائي ، بخلاف المعنى الأساسي . ومن الممكن أن يتغير المعنى الاضافي ويتعدل مع ثبات المعنى الأساسي .

٣ ـ المعنى الأسلوبي . وهو ذلك النوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية لمستعملها والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها. كما أنه يكشف عن مستويات أخرى مثل التخصص ودرجة العلاقة بين المتكلم والسامع ورتبة اللغة المستخدمة (أدبية ـ رسمية ـ عامية ـ مبتذلة . .) ونوع اللغة (لغة الشعر ـ لغة النثر ـ لغة القانون ـ لغة العلم ـ لغة الإعلان . .) والواسطة (حديث ـ خطبة ـ كتابة . .)

فكلمتان مثل father و daddy تتفقان في المعنى الأساسي ولكن الثانية يقتصر استعمالها على المستوى الشخص الحميم . وكلمات مثل sack و bag و poke تملك نفس المعنى الأساسي ولكنها تعكس اختلافا في بيئة المتكلم .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن الكلمات التي تدل على معنى الأبوة وتعكس الطبقة التي ينتمي إليها المتكلم مثل :

داد : في لغة الأرستقراطيين والمتفرنجين
الوالد ـ والدي : أدبي فصيح
بابا ـ بابي : عامي راق
أبويا ـ آبا : عامي مبتذل .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن الكلمات التي تطلق على الزوجة في العربية الحديثة (عقيلته ـ حرمه ـ زوجته ـ امرأته ـ مرته . .) .

ونادرا ما تجد كلمتين تتطابقان في معناهما الأساسي تتطابقان كذلك في المعنى

= ذلك للمعنى الإضافي الذي تعطيه كلمة « سيدة » وغير النص إلى : « مصر دولة ذات سيادة » . وقارن الكلمات الثلاث : رشيق ـ نحيف ـ هزيل وما تحمله كل منها من معنى إضافي يختلف عن الآخر .

الأسلوبي مما حدا ببعض اللغويين إلى أن يقول « إن الترادف الحقيقي غير موجود »[1] .

٤ ـ المعنى النفسي ، وهو يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد . فهو بذلك معنى فردي ذاتي . وبالتالي يعتبر معنى مقيدا بالنسبة لمتحدث واحد فقط ، ولا يتميز بالعمومية ، ولا التداول بين الأفراد جميعا .

ويظهر هذا المعنى بوضوح في الأحاديث العادية للأفراد ، وفي كتابات الأدباء وأشعار الشعراء حيث تنعكس المعاني الذاتية النفسية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة[2] .

٥ ـ المعنى الايحائي ، وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الايحاء نظرا لشفافيتها ، وقد حصر أولمان تأثيرات هذا النوع من المعنى في ثلاثة هي :

أ ـ التأثير الصوتي ، وهو نوعان : تأثير مباشر ، وذلك إذا كانت الكلمة تدل على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم . ويسمى هذا النوع primary onomatopoeia . ويمكن التمثيل له بالكلمات العربية : صليل (السيوف) ـ مواء (القطة) ـ خرير (الماء) ، والكلمات الإنجليزية crack و hiss و zoom . والنوع الثاني : التأثير غير المباشر ويسمى secondary onomatopoeia مثل القيمة الرمزية للكسرة (ويقابلها في الإنجليزية I) التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة .

ب ـ التأثير الصرفي ، ويتعلق بالكلمات المركبة مثل handful و redecorate و hot- plate ، والكلمات المنحوتة كالكلمة العربية صهصلق (من

(١) انظر leech ص ١٦ ، ١٧ . وقد مثل بكلمات ثلاثة تعني « يلقى » وهي : Cast (أدبية) throw (عامية) ـ chuck (مبتذلة) . وانظر أيضا : Foundations of Linguistics ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، و Componential Analysis ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) علم اللغة النفسي ص ٧٧ .

صهل وصلق) وبحتر للقصير (من بتر وحتر) .

حـ ـ التأثير الدلالي ، ويتعلق بالكلمات المجازية أو المؤسسة على المجاز أو أي صورة كلامية معبرة[1] .

ويدخل في هذا النوع من المعنى ما سماه Leech [2] بالمعنى المنعكس reflected meaning ، وهو المعنى الذي يثور في حالات تعدد المعنى الأساسي ، فغالبا ما يترك المعنى الأكثر شيوعا أو الأكثر إلفا أثره الإيحائي على المعنى الآخر .

ويتضح المعنى الانعكاسي بصورة أكبر في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة taboo مثل الكلمات المرتبطة بالجنس ، وموضع قضاء الحاجة ، والموت . . . لقد أصبح من الصعب في الإنجليزية أن تستعمل كلمة intercourse مثلا دون أن تثير ارتباطاتها الجنسية . ولم يعد الإنجليزي يجرؤ على استخدام الاسم undertaker (رغم عدم تحرجه من استعمال الفعل undertake) لشيوعه في وظيفة دفن الموتى . ومثل هذا يقال عن كلمات « حانوتي » و« كنيف » و« لباس » العربية التي هجرت في معناها الأقدم للإيحاءات التي صار يحملها معناها الأحدث .

وفي أمثال هذه الحالات ينبغي استعمال « التلطف في التعبير »[3] الذي هو عمليا الإشارة إلى شيء مكروه أو معنى غير مستحب بطريقة تجعله أكثر قبولا واستساغة[4] .

---

(١) Meaning and Style ص ١٣ ـ ١٧ .

(٢) ص ١٣ .

(٣) من أمثلة التلطف إطلاق كلمة « حامل » على الحبل . والكنيف صار دورة المياه ، والتواليت ، والحمام . وفي الإنجليزية صار اللفظ المستعمل bathroom حتى ولو لم يحو bath على الإطلاق وكذلك toilet . وقد كان اللفظ تلطفا أول الأمر لأنه يعني الإعداد والتهيؤ . والآن صار التلطف للتلطف هو powder room . ومن أمثلة التلطف : مستشفى الأمراض النفسية ـ الدول النامية ـ المعوقون . . (وانظر Sense ص ٩٣)

(٤) ذكر leech أنواعا أخرى من المعنى مثل :

أ ـ المعنى العاطفي الذي يبرزه المتكلم تارة بصورة مباشرة وتارة بصورة غير مباشرة وتتدخل لإبرازه =

ويعترف Leech أخيرا بأن مشكلة رسم الحدود بين الأنواع السابقة وغيرها تصادفنا كثيرا ، ولهذا قد يختلف المحللون اللغويون في تسمية المعنى أو المعاني التي يستخلصونها من الكلمة المعينة أو العبارة المعينة [1] .

- عوامل مثل التنغيم والنغمة أو تموج الصوت .

ب - المعنى التنظيمي ، ويحتوي على الترابطات التي تملكها كلمة على أساس من معاني الكلمات التي تميل الى أن تقع معها ومثل له بكلمتي pretty و handsome اللتين تتقاسمان معنى مشتركا وتتميز كل منهما عن الأخرى عن طريق مصاحباتها المعتادة (الأولى تنتظم مع girl وwoman و flower ... والثانية مع boy و man وover coat ...)

د - المعنى الجملي أ العباري الذي يرتبط عادة بالاختيار بين تركيبات نحوية مسموح بها كالاختيار بين جملتي المبنى للمعلوم والمبني للمجهول . كما أنه يرتبط بطريقة المتكلم أو الكاتب في تنظيم الرسالة عن طريق ترتيب الكلمات وابرازها أو تأكيدها . (ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢) .

(١) ص ٢٥ .

الفصل الخامس

قياس المعنى

استخدم اللغويون وعلماء النفس صورا من قياس المعنى لتحقيق عدة أغراض منها :

١ ـ قياس المعنى الأساسي للكلمات المتضادة ، وذلك بوضع معيار متدرج لتحديد درجات الكلمات التي تقع في التضاد المتدرج بين طرفين متضادين . وعلى هذا المقياس يجري توزيع سلسلة الكلمات المتضادة .

٢ ـ قياس التمايزات والاختلافات في المعاني النفسية الداخلية عند الأفراد بالنسبة إلى المفاهيم المختلفة أو المعاني التي يشعر وينفعل بها هو ذاته .

٣ ـ قياس ردود الأفعال الفسيولوجية التي تعد استجابات لمثيرات لغوية معينة .

٤ ـ قياس معاني الأحداث (كالضحك والتكلم والقراءة والكتابة . .) والصفات (كالذكاء والطول . .) على معيار مدرج لتحديد ما يمكن أن يتلاءم معها في الجملة ، وتمييز الجمل المقبولة من المرفوضة .

أما بالنسبة للنوع الأول ، فتبدو أهمية هذا المقياس إذا كنا نبحث عن تضادات بعض الكلمات مثل دافىء ـ ونادرا . . . فما مضاد الأول : أهو معتدل ؟ أم بارد ؟ أم قارس ؟ . . وما مضاد الثاني : أهو : غالباً ؟ أم عادة ؟ أم

باستمرار ؟ . . أو أردنا أن نعلل للحكم بالتضاد على الفعلين يهمس ويصيح ، ونفى التضاد عن الفعلين يصيح ويقول . . .

لا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها إلا بعمل مقياس متدرج توزع عليه كلمات التسلسل .

فيمكن مثلا بالنسبة لدرجات الحرارة وضع مقياس متدرج على النحو التالي :

غالٍ - ساخن - حارّ - دافىء - معتدل - بارد - قارس - متجمد

بعد تحديد درجة الحرارة أو البرودة بالنسبة لكل كلمة[1] .

كما يمكن - على سبيل المثال - عمل مقياس للعلو توزع عليه الكلمات :

يهمس - يوشوش - يتمتم - يتنهد - يغمغم - يحفّ - يطنّ - يتذمر - يصيح - يتكلم - يصرخ - ينادي - يبكي - ينهنه . . .

فلكي يكون اللفظان متضادين يجب أن يختلفا فقط في ملمح « العلو » . وتكون أي كلمة من كلمات العلو مضادة لأي كلمة من كلمات الانخفاض . . .

وأما النوع الثاني فقد تطور من خلال الدراسات النفسية ، وأشهر من حقق له تقدما Charles E. Osgood وحلقته ، وذلك عن طريق ما عرف باسم علم الدلالة النفسي psycho- semantics . وقد عرف هذا المقياس باسم التمايز السيمانتيكي Semantic differentiation . ويتلخص هذا المقياس في أن يسمع الشخص المسؤول كلمة معينة ثم يسجل استجابته لهذا المثير عن طريق اختيار واحدة من صيغتين متقابلتين مثل : سعيد - حزين ، خشن - ناعم ، بطيء -

(١) ولكن ستظل المشكلة قائمة في بعض الحالات لأن التضاد كثيرا ما يكون نسبيا . فمثلا قولنا : الحساء ساخن يعني أنه ساخن بالنسبة لدرجة الحرارة المعينة للحساء أو للسوائل ككل أو للسوائل المقدمة مع وجبة غذائية ، وهذا يختلف عن قولنا : الماء ساخن . وكذلك قولنا : الجو حار يختلف معناه إذا قيل في لندن أو القاهرة أو الكويت ، وإذا قيل في الصيف أو في الشتاء .

سريع . . . أو عدة صيغ مطروحة أمامه .

تقول الدكتورة نوال عطية : « محاولة أو زجود وضع وسيلة قياس موضوعي للسيانتيك يسرت للباحثين قياس دلالات الألفاظ ومعانيها النفسية عند الأفراد في مجالات سلوكية متباينة مثل الاتجاهات ، والاتصال ، واللغويات ، والجماليات ، والإعلام ، والشخصية ، والعلاج النفسي »[1] .

وقد فصل Charles E Osgood (وزملاؤه) طرق وأهداف قياس المعنى في كتابهم الفريد The Measurement of Meaning ومن أهم ما ورد في هذا الكتاب المعلومات الآتية :

١ ـ ما عدا هذه الدراسات المعروضة (في الكتاب) لا يوجد إلا قليل ـ إذا وجد شيء ـ من المحاولات المنظمة لإخضاع المعنى لقياس كمي quantitative measurement وهناك عدة أسباب لهذا ، منها : أن المصطلح معنى meaning يبدو وكأنه يدل على شيء غير مادي بطبيعته ، شيء متصل بالفكرة والروح ، أكثر من اتصاله بجانب المثير والاستجابة القابل للملاحظة . ومنها أنه يشير إلى حالة كامنة يجب تخمينها من أشياء ملاحظة ، فهو نوع من المتغير الذي يتجنبه السيكولوجيون المعاصرون بقدر الامكان (ص١) .

٢ ـ أي منهج للقياس لا بد أن يقيم بموجب المعايير الآتية :

أ ـ الموضوعية والبعد عن التأثر بآراء الباحث الخاصة .

ب ـ الثبات بأن يكون في حدود هامش الخطأ المسموح به حينما تكرر نفس المواصفات .

حـ ـ الصدق .

---

(١) علم النفس اللغوي ص ٨٩ . وانظر فيما سبق : Semantic Theory ص ١٣٣ وما بعدها ، وDictionary of Language and Linguistics ص ٢٠٣ ، و Semantics : Lyons ١/ ٢٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ؛ و Semantic Fields ص ٢٦ ؛ و Linguistics and Semantics ص ١١ .

د ـ الحساسية والتمايز ، بأن تكون قادرة على إظهار أي تميز دقيق في المعنى كما يحدث في الاتصال .

هـ ـ قابلية المقارنة والتطبيق على مجال واسع من الظواهر داخل الحقل .

و ـ المنفعة بألا تكون معقدة ومستلزمة لمصاعب تعوق جمع المادة (ص١١) .

٣ ـ عرض لطرق القياس المختلفة مثل الطرق الفسيولوجية (ص ١٢)، والطرق التعليمية (ص ١٣) ، والطرق الإدراكية (ص ١٥) ، والطرق المتدرجة (ص ١٧) .

٤ ـ عرض فكرة التمايز السيمانتيكي (السيمانتي) وخطواتها الإجرائية ، والمنطق الذي يحكمها ، ونماذج من التجارب التي طبقتها . وأخيرا مناقشة ميكانيكية تكوين واستخدام التمايز السيمانتيكي كأداة للقياس ، وتصنيف أنواع المادة الناتجة عن هذه الأداة ، وطرق تحليل وتفسير هذه المادة .

والذي يهمنا الآن إيضاح نظرية التمايز السيمانتيكي ، دون دخول في تفصيلات تخرجنا عن الهدف من عرض هذه النظرية .

يقول Osgood :

نبدأ بفرض مجال سيمانتيكي semantic space ، وهي منطقة تحوى بعض الاتجاهات غير المعروفة . كل مقياس سيمانتيكي يعرف بواسطة صفتين متقابلتين على مدرج مقسم الى سبع نقاط (وكلما كان المدرج أطول كان أكثر تمثيلا) . ويمكن التمثيل بالشكل الآتي :

أب

	إلى أقصى حد	إلى حد كبير	إلى حد ما	لا هذا ولا ذاك	إلى حد ما	إلى حد كبير	إلى أقصى حد
مسعد			×				محزن
قاس						×	رحيم
بطيء				×			سريع
متفائل		×					متشائم
ثابت			×				متقلب
رزين	×						متهور
تقليدي						×	ابتداعي

وتتابع الصفات حسب الغرض المقصود منها ، ويمكن أن توضع في مجموعات تبعا لدلالاتها . وليس هناك عدد معين يجب الوقوف عنده . ولاستخلاص الصفات المتكررة التي ينبغي مراعاتها في القياس أجريت التجربة الآتية :

قرئت ٤٠٠ اسم في تتابع سريع على مجموعة من حوالي ٢٠٠ طالب جامعي . وقد أعطيت تعليمات للطلاب بأن يكتبوا بعد كل اسم الوصف المباشر الذي يرد إلى الذهن (مثلا : شجرة ـ خضراء ، منزل ـ كبير . .) دون البحث عن وصف غريب . وبعد تحليل المادة على أساس نسبة التردد لكل الصفات بغض النظر عن الاسم الذي ارتبطت الصفة به اختيرت الصفات الخمسون الأولى ووضعت في تقابلات ثنائية ثم استخدمت كعينة لتدرجات وصفية استعملت في الدراسة . وبعضهم أضاف صفات أخرى على هذه الخمسين .

وتمثل × حكما معينا بالنسبة للمفهوم المعين ، وبالتالي فإن كل حكم يمثل اختيارا معينا بين مجموعة من الاختيارات التي تعبر عن تدريجات المقياس السبع ، ويقوم بإحلال المفهوم في موقع داخل المجال السيمانتيكي .

واختلاف المعنى بين مفهومين هو إذن نتيجة الاختلافات في الحصص الخاصة داخل المجال المعين ، أو الفروق في وضع هذين المفهومين داخل المجال السيمانتيكي .

بالتمايز السيمانتيكي يقصد إذن : الحصص المتتابعة لمفهوم ما على إحدى تدريجات المجال السيمانتيكي متعدد الأبعاد ، ويحدد عن طريق الاختيار من بين طاقم من الاختيارات السيمانتيكية المتدرجة[1] .

وأهم ما يميز هذا المنهج :

١ - أنه تكنيك عام جدا للقياس يجب أن تحددمواصفاته حسب متطلبات كل باحث .

٢ - أنه لا يشتمل على مفاهيم معيارية أو متدرجات معيارية ، ويترك تحديد ذلك لكل باحث .

٣ - أنه وسيلة مرنة يمكن استخدامها في جميع اللغات والثقافات والبيئات[2] .

ولكي يعطي الاختبار ثمرته ينصح الباحث بما يأتي :

١ - أن يحاول اختيار المفردات التي يتوقع اختلافات فردية في معانيها .
٢ - أن يحاول اختيار المفردات ذات المعنى الواحد .
٣ - أن يحاول اختيار المفردات التي يتوقع أن تكون مألوفة لدى المختبرين جميعا .
٤ - أن يحاول اختيار الصفات الملائمة للفظ موضوع الاختبار[3] .

---

(١) The Measurement of Meaning ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٨١ ، ٨٣ ، و Semantic Theory ص ٢٤ ، ٢٥ ؛ وعلم النفس اللغوي ص ٩٠ ، ٩١ .
(٢) The Measurement of Meaning ص ٧٦ ؛ وعلم النفس اللغوي ص ٨٩ ، ٩٠
(٣) The Measurement of Meaning ص ٧٨ .

وأخيرا نقول إن هذا المقياس لا يعكس المعاني الإشارية أو الحرفية للمفهوم ، أي المعاني التي يتفق على تعريفها الأفراد ، وإنما يعكس التمايزات والاختلافات في المعاني النفسية الداخلية عند الفرد بالنسبة إلى المفاهيم المختلفة ، أي المعاني التي يشعر بها وينفعل بها هو ذاته . . . فهي معان غير مباشرة للمفهوم[1] .

أما النوع الثالث الخاص بردود الأفعال الفسيولوجية فيقوم على قياس المعنى اعتمادا على ما يؤدي إليه من ارتباطات فسيولوجية مباشرة ، وما يصحبه من نشاط عضلي » يمكن قياسه .

وقد قدم كل من Jacobson و Max تسجيلات تفصيلية للجهد العضلي أثناء لحظات التفكير المباشر . وقد وجدا ارتباطات موضعية ثابتة بين بعض أنماط التفكير وبعض الحركات العضلية (الصم والبكم مثلا يظهرون نشاطا عضليا وبخاصة في حركات الأصابع) .

كذلك قاس Razran رد فعل اللعاب ، واتخذ من نفسه مقياسا . وقد وجد أن الكلمات التي عرفها منذ طفولته (المألوفة) يزداد معها اللعاب (الكلمات الروسية) وبعدها جاءت كلمات لغته العلمية (الإنجليزية) . وكان اللعاب أقل مع اللغات التي يعرفها بصورة ضعيفة (الفرنسية ـ الأسبانية ـ البولندية)[2] .

أما المقياس الرابع الخاص بمعاني الأحداث والصفات على معيار مدرج بقصد تحديد ما يمكن أن يتلاءم أو لا يتلاءم معها في الجملة فهو صعب التطبيق لأن الأمر بالنسبة له ذو طبيعة ذاتية ، ويختلف من شخص لآخر . وعلى سبيل المثال لو أخذنا الفعل « يقرأ » فأي الأسماء تكون مقبولة كفاعل بالنسبة له ؟ هل هو الاسم الذي يحمل ملمح « الحي » أو الذي يحمل ملمح « الذكي » (بالنسبة لكثير من

---

(١) علم النفس اللغوي ص ٨٨ .

(٢) The Measurement of Meaning ص ١٢ ، ١٣ ؛ وعلم النفس اللغوي ص ٨٢ .

الناس تقع الكلاب والقطط والقرود . . في هذا الصنف) أو الذي يحمل ملمح « الآدمي » .

ولحل هذا الاشكال ربما كان من الأفضل الاعتماد على سلسلة ممتدة من القيم بدلا من الاعتماد على نظام ثنائي الملامح . وتوضع الأشياء على امتداد المقياس لتحديد درجتها . فلو أخذنا الذكاء كمثال يمكن أن يرسم المقياس التالي :

الأذكياء ↓ (١٨×) — الإنسان ↓ (١٦×) — الكلاب ↓ (١٢×)

١٩× ١٨× ١٧× ١٦× ١٥× ١٤× ١٣× ١٢×

الحشرات ↓ (٢×)

٣× ٢× ١× — ٤ ٣ ٢ ١ صفر

الذكاء

ويمكن على سبيل المثال استخدام المقياس السابق لتحديد علاقات الوقوع المشترك بين الاسم « قرد » والأفعال : يضحك ـ يتكلم ـ يقرأ ـ يكتب . فإذا كان القرد يملك قيمة ذكائية ذات (١٦×) والأفعال السابقة تقع بين عتبتين على النحو التالي :

يضحك من ١٣× الى × ١٥

يتكلم من ١٦× الى × ١٨

يقرأ من × ١٦ الى × ١٩

يكتب من × ١٧ الى × ٢٠

فإن الاسم « قرد » يمكن أن يقع بكل تأكيد مع « يضحك » ، وقد يقع ـ على سبيل الاحتمال ـ مع « يتكلم » ، و« يقرأ » . ولكنه لا يقع بكل تأكيد مع « يكتب »[1] .

(١) Two Suggestions for Using Features to Represent Meaning ص ٥٨ ـ ٦٠



الباب الثاني

مناهج دراسة المعنى



تمهيد

ركزت المناهج اللغوية في دراسة المعنى ـ منذ وقت مبكر ـ على المعنى المعجمي أو دراسة معنى الكلمة المفردة باعتبارها الوحدة الأساسية لكل من النحو والسيمانتيك .

وقد قدمت بهذا الخصوص مناهج ونظريات متعددة ومتنوعة ، وسنكتفي هنا بالتركيز على بعضها لأهميته ، ونشير إشارة سريعة إلى بعضها الآخر .

وقد نتج عن اختلاف المنهج اختلاف النظرة إلى المعنى ، واختلاف تعريفه . وهذا هو السر في أن كتاب أوجدن ورتشاردز مثلاً يحوي ما يزيد على عشرين تعريفاً تعكس اتجاهات مختلفة من فلسفية ومنطقية وأخلاقية ونفسية وأدبية وغيرها . ومعظم التعارض بين هذه التعريفات ناتج عن حرص كل متخصص على أن يلبي التعريف احتياجاته ومتطلبات حقله الدراسي[1] .

---

(١) انظر Leech: Semantics ص ٤ ، the Measurement of Meaning ص ٢ .

الفصل الأول

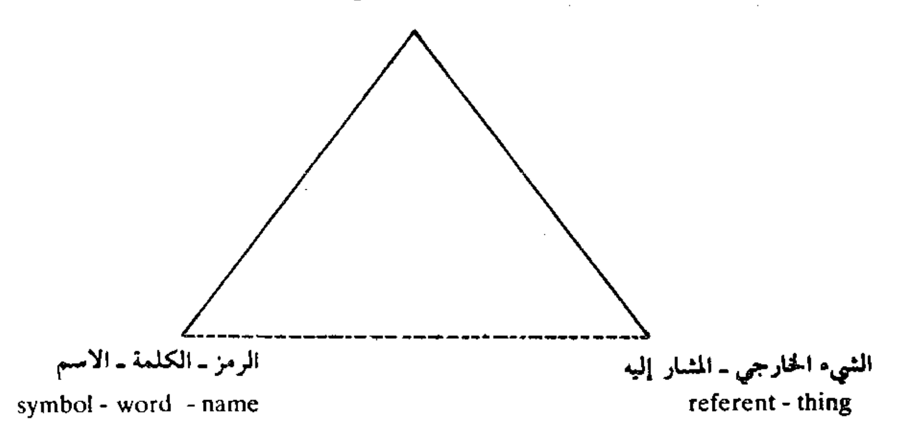
النظريتان الإشارية والتصورية

١ - النظرية الإشارية :

كان أوجدن وريتشاردز في كتابهما المشهور the Meaning of Meaning أول من طور ما يمكن أن يسمى بالنظرية الإشارية Referential theory (أو denotational) ، التي أوضحاها بالمثلث الآتي :

الفكرة - المرجع - المدلول[1]

thought - reference - sense



(١) ويدخل فيها الانفعالات ، والاتجاهات ، وبخاصة بالنسبة للغات البدائية التي لا تهتم - في المقام الأول - بالأفكار (the Meaning of Meaning ص ٧) .

فهذا الرسم يميز ثلاثة عناصر مختلفة للمعنى ، ويوضح أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الكلمة كرمز ، والشيء الخارجي الذي تعبر عنه . والكلمة عندهما تحوي جزأين هما صيغة مرتبطة بوظيفتها الرمزية ، ومحتوى مرتبط بالفكرة أو المرجع[1] .

وهذه الفكرة عن الطبيعة المزدوجة للكلمة باعتبارها صيغة ، ومحتوى - ترجع إلى عهد دي سويسر الذي أكد الطبيعة المزدوجة للرمز عن طريق مثاله القياسي الذي قدمه حيث شبهه بقطعة من الورق ذات وجهين . فكما لا يمكنك أن تقطع أحد الوجهين دون الآخر فكذلك لا يمكنك أن تفصل جانبي الرمز أحدهما عن الآخر ؛ لأنهما مرتبطان ارتباط جانبي الورقة[2] .

وتعنى النظرية الإشارية أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها . وهنا يوجد رأيان :

أ - رأي يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه .

ب - ورأى يرى أن معناها هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه[3] .

ودراسة المعنى على الرأي الأول تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث ، وهما جانبا الرمز والمشار إليه ، وعلى الرأي الثاني تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة ؛ لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة ، أو الصورة الذهنية .

وأصحاب هذه النظرية يقولون إن المشار إليه لا يجب أن يكون شيئاً محسوساً قابلاً للملاحظة object (المنضدة) فقد يكون كذلك ، كما قد يكون كيفية quality (أزرق) ، أو حدثاً action (القتل) ، أو فكرة تجريدية abstract

---

(١) العلاقة بين الرمز والفكرة علاقة عَرَضية . أما العلاقة بين الفكرة والشيء فقد تكون مباشرة حين نفكر في شيء ملون مثلاً حين نراه ، أو غير مباشرة حين نفكر في نابليون مثلاً (المرجع السابق ص ١١) .

(٢) السابق ص ١٠ ، و Learning ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) Theories of Meaning ص ٢٠ .

(الشجاعة) . ولكن في كل حالة يمكن أن نلاحظ ما يشير إليه اللفظ ؛ لأن « كل الكلمات تحمل معاني ، لأنها رموز تمثل أشياء غير نفسها »[1] .

وقد يكون المشار إليه غير محدد ، كما في كلمة « قلم » التي لا تشير إلى قلم معين ، لأنها يمكن أن تطلق على أي قلم . ولذا اقترح بعضهم أن يقال إنها تشير إلى « طبقة الأقلام » ، أو « نوع الأقلام » . وكذلك الفعل « يجري » الذي يشير إلى نوع يحوي كل أفعال الجري[2] .

وقد اعترض على هذه النظرية بما يأتي :

١ ـ أنها تدرس الظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة .

٢ ـ أنها تقوم على أساس دراسة الموجودات الخارجية (المشار إليه) . ولكي نعطي تعريفاً دقيقاً للمعنى ـ على أساس هذه النظرية ـ لا بدّ أن تكون على علم دقيق بكل شيء في عالم المتكلم . ولكن المعرفة الانسانية أقل من هذا بكثير[3] .

٣ ـ أنها لا تتضمن كلمات مثل « لا » و « إلى » و « لكن » و « أو » . . . ونحو ذلك من الكلمات التي لا تشير إلى شيء موجود existing thing . هذه الكلمات لها معنى يفهمه السامع والمتكلم ، ولكن الشيء الذي تدل عليه لا يمكن أن يتعرف عليه في العالم المادي .

٤ ـ أن معنى الشيء غير ذاته . فمعنى كلمة « تفاحة » ليس هو « التفاحة » . التفاحة يمكن أن تؤكل ولكن المعنى لا يؤكل . والمعاني يمكن أن تتعلم ولكن التفاحة لا يمكن[4] .

---

(١) المرجع السابق والصفحة . وانظر Foundations of Linguistics ص ١٧٥ .

(٢) Theories of Meaning ص ٢٣ . ويرى بعضهم أنه لكون الشيء أمراً غير لغوي فلا مكان له في التحليل اللغوي الصرف (Meaning and Style ص ٦)

(٣) انظر ما سبق في الفصل الثاني ـ نظرة تاريخية ـ من الباب الأول عن رأى بلومفيلد وموقفه من نظرية المعنى .

(٤) Semantics: Fodor ص ١٤ ؛ و Foundations ص ١٧٥ ، و Semantics: Leech ص ٥ ؛ و Theories of Meaning ص ٢٢ ؛ و Semantic theory ص ١٣ .

٢ ـ النظرية التصورية :

وجدت الصورة الكلاسيكية للنظرية التصورية Ideational theory (أو Imag theory)[1] ، أو النظرية العقلية Mentalistic theory عند الفيلسوف الإنجليزي John Locke (القرن السابع عشر) الذي يقول : « استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار . والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص » .

وهذه النظرية تعتبر اللغة « وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار » ، أو « تمثيلاً خارجياً ومعنوياً لحالة داخلية »[2] . وما يعطي تعبيراً لغوياً معنى معيناً استعماله باطراد (في التفاهم) كعلامة على فكرة معينة . الأفكار التي تدور في أذهاننا تملك وجوداً مستقلاً ، ووظيفة مستقلة عن اللغة ، وإذا قنع كل منّا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة، وإنه فقط شعورنا بالحاجة إلى نقل أفكارنا الواحد إلى الآخر الذي يجعلنا نقدم دلائل (قابلة للملاحظة على المستوى العام) على أفكارنا الخاصة التي تعتمل في أذهاننا .

وهذه النظرية تقتضي بالنسبة لكل تعبير لغوي ، أو لكل معنى متميز للتعبير اللغوي أن يملك فكرة ، وهذه الفكرة يجب :

١ ـ أن تكون حاضرة في ذهن المتكلم .

٢ ـ المتكلم يجب أن ينتج التعبير الذي يجعل الجمهور يدرك أن الفكرة المعينة موجودة في عقله في ذلك الوقت .

٣ ـ التعبير يجب أن يستدعي نفس الفكرة في عقل السامع[3] .

---

(١) Semantic theory ص ١٥ .

(٢) يرى أرسطو أن الكلمات تحمل معاني لأنها تدل على صور عقلية . وتبعاً لهذه النظرية الفلسفية حينما أستخدم كلمة « مائدة » فإن معنى الكلمة بالنسبة لي هو صورة المائدة التي أحملها في عقلي ، وبالنسبة لك صورة المائدة التي تحملها في عقلك (Sense ص ١٩) .

(٣) Theories of Meaning ص ٣٢ ـ ٣٤ .

ويلاحظ أن هذه النظرية تركز على الأفكار أو التصورات الموجودة في عقول المتكلمين والسامعين بقصد تحديد معنى الكلمة ، أو مايعنيه المتكلم بكلمة استعملها في مناسبة معينة ، سواء اعتبرنا معنى الكلمة هو الفكرة أو الصورة الذهنية ، أو اعتبرناه العلاقة بين الرمز والفكرة[1] .

وهذا هو أحد المآخذ الأساسية على هذه النظرية من وجهة النظر السلوكية . لأنه ما دام المعنى هو الفكرة فكيف يتسنى للمتكلم أن يخاطب السامع وينقل المعنى إليه مع أن الأفكار تعد ملكا خاصاً بالمتكلم .

ويرد مؤ يدو النظرية بأن الأفكار ترتبط « بالتصور » فإذا قلنا « منضدة » فكل من المتكلم والسامع يملك التصور للمنضدة . وهذا التصور يجعل الاتصال بينهما ممكناً[2] .

وهناك مأخذ آخر يتلخص في أن هناك كلمات كثيرة غير قابلة للتصور مثل الأدوات والكلمات التجريدية . فهذه ليس لها تصور عقلي سوى حروف الكلمة نفسها[3] .

وقد كان رفض النظرية التصورية هو المنطلق لمعظم المناهج الحديثة التي ظهرت خلال هذا القرن ، والتي اتجهت إلى جعل المعنى أكثر موضوعية وأكثر علمية من جهة أخرى[4] . وهي المناهج التي سنتناولها في الفصول الآتية :

---

(١) عبر عن ذلك أوجدن (بعد إشارته إلى الرمز بـ (A) وإلى الفكرة بـ(B)) بقوله: إما أن تأخذ المعنى باعتباره العلاقة بين A و B ، أو باعتباره B نفسها (ص ١٨٥) .

(٢) Foundations ص ١٧٥ .

(٣) Sense ص ٢٠

(٤) السابق ص ٢١ ، ٢٤ .

الفصل الثاني

النظرية السلوكية

تركز النظرية السلوكية Behavioral theory [1] على ما يستلزمه استعمال اللغة (في الاتصال) ، وتعطي اهتمامها للجانب الممكن ملاحظته علانية . وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور[2] .

وقد سيطرت السلوكية على حقل السيكولوجي الأمريكي لفترة طويلة ، وتركت بصماتها ونفوذها على تشكيل بعض الاتجاهات الأساسية في السيمانتيك ، ليس فقط عن طريق السيكولوجيين ، وإنما عن طريق بعض اللغويين والفلاسفة كذلك . ولكنها صارت اليوم أقل قبولاً مما كانت عليه منذ عشر سنوات أو نحو ذلك .

والسلوكية بوجه عام تقوم على جملة أسس منها :

١ ـ التشكك في كل المصطلحات الذهنية ، مثل العقل والتصور والفكرة ، ورفض الاستبطان كوسيلة للحصول على مادة ذات قيمة في علم النفس . ويجب على عالم النفس أن يقصر نفسه على ما يمكن ملاحظته مباشرة ، وذلك بأن يعنى بالسلوك الظاهر ، وليس بالحالات والعمليات الداخلية .

---

(١) تسمى كذلك النظرية النفسية Psychological theory (انظر Foundations ص ١٧٥) .
(٢) Theories of Meaning ص ٣٦ .

وتطبيق ذلك على اللغة يعني التركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها ، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي يتم إنتاجها فيه . ومن هنا أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي verbal behaviour ، أو السلوك اللغوي Language behaviour . كما يعني معالجة الفكرة كسلوك ، والتخلي عن مفاهيم مثل الإدراك والإحساس والشعور .

٢ ـ اتجاهها إلى تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات الفطرية الأخرى ، وتأكيدها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية ، وتركيزها على التربية أكثر من الطبيعة ، ونسبة الشيء الكثير للبيئة ، والشيء القليل للوراثة .

٣ ـ اتجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة .

٤ ـ أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع من الاستجابات responses لمثيرات ما stimuli تقدمها البيئة أو المحيط environment . والشكل الذي يستعمل عادة لتمثيل العلاقة بين المثير والاستجابة هو :

م ←—— س

(م = مثير ، و س = استجابة)

والسهم هنا يمثل علاقة عَرَضية . المثير سبب ، والاستجابة أثره . ونموذج السلوك يعد سلسلة من المثيرات ـ الاستجابات هكذا :

(م^{١} ←—— س^{١}) ——← (م^{٢} ←—— س^{٢}) ——← (م^{٣} ——←

س^{٣}) . . . فالكلمة الأولى للحدث الكلامي تنتج كاستجابة (س^{١}) لبعض المثيرات الداخلية (م^{١}) . وإنتاج (س^{١}) يخدم كمثير فيصبح (م^{٢}) ، ويكون مثيراً للكلمة الثانية (س^{٢}) . . وهكذا .

وعلى الرغم من أن Bloomfield سُبق بصياغات مبكرة للتصور السلوكي في

آراء Watson [1] ثم Weiss ، فقد لاقى رأي Bloomfield اهتماماً أكبر ؛ لأن Bloomfield يعد واحداً من أكثر اللغويين تأثيراً في تطور الدراسة العلمية للغة في النصف الأول من هذا القرن . وهو - أكثر من غيره - المسئول عن تقديم المذهب السلوكي إلى علم اللغة .

وجد عند Bloomfield في أعماله المبكرة ميل إلى الاتجاه العقلي. Mentalistic Approach ولكن بمجيء عام ١٩٢٦ هجر بلومفيلد هذا الاتجاه ، ومال نحو مباديء Weiss السلوكية . ونتيجة لهذا أقر بلومفيلد الاتجاه أن المعنى يتألف من ملامح الإثارة ورد الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات . وعرّف معنى الصيغة اللغوية بأنه « الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه ، والاستجابة التي تستدعيها من السامع » . فعن طريق نطق صيغة لغوية يحث المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف . هذا الموقف ، وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة[2] .

وقد قبل بلومفيلد اتجاهين عامين في مذهبه السلوكي :

١ - عدم الثقة في العقلية .

٢ - إيمان بالحتمية التي كثيراً ما أشير إليها بالوضعية positivism والفيزيقية physicalism

والمثال الذي ضربه بلومفيلد للحدث الكلامي speech-event كان كما يأتي :

---

(١) يقول Watson : تتضح وظيفة الكلمات في دعوة الاستجابات ، تماماً كما تفعل الأشياء التي تقوم الكلمات مقامها (Lyons: Sematics ص ١٢٥) .

(٢) انظر فيما سبق : Coseriu في Linguistics and Semantics ص ١٠٩ ، و Yamaguchi في : Essays Towards English Semantics ص ٢١ ، و Wells في : Meaning and Use ص ١٢٣ ، و Fowler في A Note ص ٤١٣ ، و Alston في Theories of Meaning ص ٣٦ ، و Lyons في : Semantics ١ / ١٢٠ وما بعدها ، و Leech في Semantics ص ٧٢ .

جاك وجيل سائران في الطريق ـ ترى جيل تفاحة على شجرة ـ وبما أنها جائعة تسأل جاك أن يحضرها لها ـ يتسلق جاك الشجرة ويعطيها التفاحة ـ تأكل جيل التفاحة .

في هذا المثال جوع جيل ورؤيتها التفاحة يشكلان المثير (م) . وبدلاً من استجابتها المباشرة (س) بتسلق الشجرة ، والحصول على التفاحة بنفسها ، عملت استجابة بديلة (س) في شكل منطوق معين . وهذا المنطوق قام بدور المثير البديل (م) لجاك مسبباً له استجابة (س) تماثل ما كان سيفعله لو شعر هو نفسه بالجوع ، ورأى التفاحة .

وهناك جملة اعتراضات وجهت إلى هذا التفسير السلوكي منها :

أ ـ إذا كان جوع جيل يمكن أن يترجم إلى تقلص لعضلاتها ، وإفراز لمعدتها ، ورؤيتها للتفاحة يمكن أن يحلل على أساس من موجات الضوء التي انعكست من التفاحة إلى عينيها ، والتفاحة نفسها يمكن أن تعطي تصنيفاً نباتياً . . . فإنه بالنسبة للأغلبية العظمى من الكلمات لا يمكن القيام بمثل هذا التحليل العلمي . فالحب والكراهية ليست طيعة للتعرف عليها على أساس فيزيقي بخلاف الجوع . كذلك يصعب ـ بنفس الطريق ـ تحديد معالم كلمات مثل : حسن ـ قبيح . . .

إن هذا المنهج يملك جدارة محاولة دراسة المعنى على أسس قابلة للملاحظة . ويمكن أن نعترف بأن بعض الجوانب الهامة لكلمات مثل : كرسي ـ كتاب . . . يمكن أن تحضر داخل مجال المثير والاستجابة عن طريق بيان كيف أنهما جاءا ليرتبطا مع طبقات معينة من الأشياء القابلة للملاحظة في البيئة ، وأن معنى الكلمات ذات الخصائص القابلة للملاحظة مثل شكلها ولونها ووزنها . . . يمكن أن تعالج ـ بكفاية ـ بهذا الطريق . ولكن كلمات كثيرة لا تدل على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة . ولذا لا تملك السلوكية شيئاً مفيداً لتقوله عنها .

ولذا فإن زعم السلوكيين أنهم وضعوا العلاقات بين الكلمات والأشياء « داخل حدود مناهج العلوم الطبيعية » لا يسلم لهم ، وهو شيء يُدّعى تحقيقه قبل الأوان .

ب ـ كذلك إذا افترضنا أن رد الفعل عند جاك كان قوله : لا يمكن أن تكوني جائعة ، فقد فرغنا تواً من تناول غدائنا ، أو قوله : هل أنت متأكدة أنك تريدين التفاحة ؟ أنت تعلمين أنها تسبب لك عسر هضم !! فهل نقول إن الموقف الذي أدى إلى منطوق جيل ورد فعل جاك يجب أن يكون مختلفاً في الحالات الثلاثة على أساس أن رد فعل جاك جاء مختلفاً ؟ وهل نقول إن منطوق جيل يملك معاني مختلفة في الحالات الثلاثة ؟ لأن معنى المنطوق قد عرّف ـ كما يجب أن نتذكر ـ على أساس من رد الفعل الذي يثيره ، بالإضافة إلى المثير الذي حرّك الفعل[1] ؟

ولهذا يقول Alston : لكي تستخدم هذه النظرية لا بدّ أن يكون هناك ملامح مشتركة وخاصة بكل المواقف التي ينطق فيها حدث معين بمعنى معين . ولا بدّ أن يكون هناك ملامح مشتركة ، وخاصة بكل الاستجابات التي تترتب على نطق أي تعبير معين بمعنى معين . وهذا يبدو أنه ليس هو الوضع . فمثلاً بالنسبة لكلمة « قميص » لا يوجد شيء عام مشترك بين كل المواقف التي تنطق فيها الأحداث الآتية ، وبين كل الاستجابات التي تترتب عليها :

١ ـ أحضر لي قميصاً .
٢ ـ هذا القميص بال .
٣ ـ أحتاج إلى قميص جديد .
٤ ـ القمصان كانت نادراً ما تلبس قبل القرن الرابع عشر .
٥ ـ ما أجمله من قميص .
٦ ـ هل تلبس قميصاً قياس خمسة عشر ؟

وحتى في تناولنا للجمل ككل لم تكن النتائج مشجعة :

(١) Semantics: Lyons ١ / ١٢٧ ـ ١٣٤ .

١ ـ أحضر لي فنجاناً آخر من القهوة .
٢ ـ قميصي قد انقطع .
٣ ـ ما أفخمها من عصا .

فالجملة الأولى مثلاً تعني :

أ ـ أن المتكلم قد شرب مؤخراً فنجاناً من القهوة .
ب ـ أن المخاطب في وضع يسمح بإحضار فنجان آخر ..

ولكن هذه الملامح للموقف تصلح ملامح لجملة أخرى مثل :

لا أريد مزيداً من القهوة .

والجملة الثانية تعنى أن المتكلم يملك قميصاً ، وأنه يلفت النظر نحو واحد من أقمصته . ولكن هذه الملامح قد تتوافق مع جملة أخرى مثل:

أحضر قميصي المقطوع

كذلك من الصعب أن نجد ملامح مشتركة عامة للاستجابة الصريحة لنطق جملة . وأوضح مثال لذلك الجمل الأمرية لأنها تدعو إلى استجابة معينة من السامع . ولكن ما نسبة تحقق الاستجابة المطلوبة ؟

فكر في الاستجابة التي يمكن أن تترتب على قول أحد الوالدين :

تعال الآن

فقد تكون الاستجابة :

١ ـ غير موجودة على الإطلاق ، كما لو أن الحدث لم ينطق (تجاهل الحدث) .
٢ ـ رفضاً واضحاً للامتثال .
٣ ـ طلب قبول العذر .
٤ ـ لوم المتكلم لإصدار هذا الأمر .

٥ ـ السير في اتجاه عكسي .
٦ ـ الإذعان والامتثال[١] .

حـ ـ أن هذه النظرية قامت على أساس تجارب أجريت على تعلم السلوك في الحيوانات الدنيا ، ثم نقلت النتائج إلى الحيوان البشري في استعماله للرموز النطقية . وهذا من أكبر الخطأ ، إذ أن ما ينطبق على الحيوانات الدنيا قد لا ينطبق على الإنسان[٢].

وهناك اتجاه سلوكي آخر نحو المعنى قدّمه الفيلسوف الأمريكي Charles Morris وقد لاقى رواجا كبيراً في الأربعينات والخمسينات . هذا الاتجاه أخرج ـ من معنى الصيغة ـ الاستجابة أورد الفعل ، واكتفى بمجرد الميل أو الرغبة . وقد ذكر أنصاره في تعليل ذلك أن الدلالة على معنى معين لا يمكن ببساطة أن تربط دائماً بإثارة استجابة واضحة معينة لأنه :

أ ـ من الممكن ـ حين توجد الاستجابات الواضحة ـ أن تتنوع هذه الاستجابات دون أن يوجد تنوع في المنطوق .

ولهذا قيل إن الارتباط بين المثير والاستجابة أمر يعتمد على الميل أو الرغبة أو المزاج ، حيث إننا لا نتخذ بالضرورة ردود أفعال معينة في حضور مثيرات معينة . ولكن إذا وجد الارتباط فنحن نميل إلى أن نستجيب على حسبه . وهذا الميل سوف يظهر في استجابة صريحة .

فإذا قلنا إن شخصاً يملك ميلاً للقيام باستجابة معينة ، فمعناه قولك إن هناك اشتراطاً تحته سوف يحقق الشخص هذه الاستجابة . ويمكن التعبير عن ذلك بقولك :

« إذا كانت ط[٣] حينئذٍ تكون س » .

(١) Theories of Meaning ص ٣٧ ـ ٣٩ .
(٢) Foundations ص ١٧٥ .
(٣) ط = اشتراط .

ولكن لم يسلم هذا التفسير كذلك من الاعتراض :

١ ـ فمن الممكن أن توجد جملة مثل : « ابنك مريض » ميلاً أو نزعة عند السامع للذهاب إلى ابنه حيث يوجد . ولكن جملاً أخرى تخرج عن دائرة الاهتمامات العملية الفورية لا تستطيع أن توجد هذا الميل .

٢ ـ وحتى جملة : « ابنك مريض » لن تخلق الميل أو النزعة نحو الذهاب إليه إلا إذا كان الشخص يولي ابنه اهتماماً ، وإلا إذا اعتقد بصدق المتكلم ، وإلا ذا كان الخبر جديداً بالنسبة له . وحتى مع تحقق هذه الشروط قد لا يحدث الميل بالضرورة . إذ قد يكون السامع في سجن ، أو يكون في لحظة حرجة تؤثر على مستقبله السياسي أو الاقتصادي ، أو يكون ممتنعاً عن السفر لسبب ديني أو اعتقادي إلى مكان معين ، أو في يوم معين (وبخاصة أن الخبر لم يكن : ابنك مريض جداً) . وغير ذلك من الأسباب التي لا تنتهي . ومن غير المعقول أن نقول إن عبارة : ابنك مريض سوف تخلق نزعة لدى السامع في الذهاب إذا كان ابنه محل الاهتمام الكبير ، وكان السامع يعتقد في صدق المتكلم ، وكان الخبر جديداً على السامع ، وإذا لم يكن هناك مانع جسدي أو ديني من الذهاب . . وإذا لم يكن . . وإذا لم يكن . . وما أظن أننا يمكننا حصر القائمة .

٣ ـ كذلك إذا كنا سنسمح لأي نزعة تنتج أن تكون مرتبطة بمعنى الجملة فإننا سنغرق في أشياء لا علاقة لها بالمعنى . افترض أن شخصاً قال : « الشمس تبعد عن الأرض بمقدار ٩٧ مليون ميل » ، فأثارت هذه العبارة نزعة عند شخص ليفتح فمه في تعجب ، فمن الواضح أن هذه النزعة ، وهذا التعجب لا علاقة لهما بمعنى الجملة . وتقرير ما إذا كانت « الاستجابة » وثيقة الصلة بالجملة أو لا نقطة ضعف في النظرية السلوكية بعامة ، وفي تفسير Morris بخاصة .

٤ ـ وأخيراً فإن « نظرية الميل » فشلت في أن تثبت أنه يوجد ميل معين مرتبط بمعظم الكلمات والمنطوقات يحكم سلوكنا اللغوي اليومي . ولم تستطع أن تقدم لنا ملامح سواء من المواقف أو الميول أو الاستجابات موزعة بالشكل الذي تقتضيه

النظرية . فالمعنى لا يتنوع بصورة مباشرة مع أنواع العوامل التي سلط عليها الضوء في هذه النظرية بتقسيماتها المختلفة[1] .

---

(1) Semantics: Lyons ١/ ١٣٤وما بعدها؛و Semantics:Leech ص٧٤؛و Theories of: Alston Meaning ص ٣٩ وما بعدها .

الفصل الثالث

نظرية السياق

عُرفت مدرسة لندن بما سمي بالمنهج السياقي Contextual Approach أو المنهج العملي Operational Approach [1] . وكان زعيم هذا الاتجاه Firth الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة ، كما ضم الاتجاه أسماء مثل : Halliday و Mc Intosh ، و Sinclair ، و Mitchell [2] . وعد Lyons أحد التطورين الهامين المرتبطين بفيرث « نظريته السياقية للمعنى »[3] .

ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو « استعمالها في اللغة »[4] ، أو « الطريقة التي تستعمل بها » ، أو « الدور الذي تؤديه »[5] . ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة[6] . ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم : « معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى . وإن معاني هذه الوحدات لا

---

(١) The Scope ص٥ ، و Meaning and Style ص٥ ، ٨ .

(٢) The Scope ص ٥ .

(٣) Firth's Theory of Meaning ص ٢٨٨ .

(٤) لاحظ مثلا الاستعمالات الآتية لكلمة « دم » في العاميات العربية : دمه فار - دمه بيغلي - دمه ثقيل - دمه خفيف - يا دمك - برتقال بدمه . . . واستعمالي كلمة « يعور » في التعبيرين : راسي تعورني - السكينة تعورني .

(٥) Meaning and Style ص ٨

(٦) Fowler : A Note ص ٤١٨ ؛ وانظر : Semantic Fields ص ١٧٤ .

يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها »[1] .
ومن أجل تركيزهم على السياقات اللغوية التي ترد فيها الكلمة وأهمية البحث عن ارتباطات الكلمة بالكلمات الأخرى نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤ ية المشار إليه ، أو وصفه ، أو تعريفه[2].

وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها ، حتى ما كان منها غير لغوي[3] . ومعنى الكلمة ـ على هذا ـ يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها ، أو بعبارة أخرى تبعا لتوزعها اللغوي Linguistic distribution .

وقد اقترح K. Ammer تقسيما للسياق ذا أربع شعب يشمل :

١ ـ السياق اللغوي linguistic context .
٢ ـ السياق العاطفي emotional context .
٣ ـ سياق الموقف situational context .
٤ ـ السياق الثقافي cultural context[4] .

أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة good الإنجليزية (ومثلها كلمة « حسن » العربية ، أو « زين » العامية) التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـ :

١ ـ أشخاص : رجل ـ امرأة ـ ولد . .
٢ ـ أشياء مؤ قتة : وقت ـ يوم ـ حفلة ـ رحلة . .
٣ ـ مقادير : ملح ـ دقيق ـ هواء ـ ماء . .

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة « رجل » كانت تعني الناحية الخلقية .

---

(١) Componential ص ١٩٦ .
(٢) المرجع والصفحة .
(٣) The Scope ص ٨ .
(٤) Coseriu ص ١٣١ ، ١٣٢

وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء (وليس الناحية الأخلاقية) .

وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة . . وهكذا

كما يمكن التمثيل له بكلمة « يد » التي ترد في سياقات متنوعة منها :

١ ـ أعطيته مالا عن ظهر (يد) يعني تفضلا ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة .
٢ ـ هم (يد) على من سواهم : إذا كان أمرهم واحدا .
٣ ـ (يد) الفأس ونحوه : مقبضها .
٤ ـ (يد) الدهر : مد زمانه .
٥ ـ (يد) الريح : سلطانها .
٦ ـ (يد) الطائر : جناحه .
٧ ـ خلع (يد ه) من الطاعة : مثل نزع يده .
٨ ـ بايعته (يدا) بيد : أي نقدا .
٩ ـ ثوب قصير (اليد) : إذا كان يقصر أن يلتحف به.
١٠ ـ فلان طويل (اليد) : إذا كان سمحا .
١١ ـ مالي بد (يد) : أي قوة .
١٢ ـ سقط في (يده) : ندم
١٣ـ هذه (يدي) لك : أي استسلمت وانقدت لك .
١٤ ـ حتى يعطوا الجزية عن (يد) : عن ذل واعتراف للمسلمين بعلو أيديهم .
١٥ ـ إن بين (يدي) الساعة أهوالا : أي قدامها.
١٦ ـ (يد) الرجل : جماعة قومه وأنصاره[1] .

وأما السياق العاطفي فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا . فكلمة love الإنجليزية غير كلمة like رغم اشتراكهما

---

(١) المنجد لكراع ص ٤٦ ، ٤٧ ؛ واللسان مادة يدي .

في أصل المعنى ، وهو الحب . وكلمة « يكره » العربية غير كلمة « يبغض » رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك .

وأما سياق الموقف فيعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة. مثل استعمال كلمة «يرحم» في مقام تشميت العاطس: «يرحمك الله» (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت: «الله يرحمه» (البدء بالاسم). فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية طلب الرحمة في الآخرة. وقد دل على هذا سياق الموقف الى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.

وأما السياق الثقافي فيقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة . فكلمة مثل looking glass **تعتبر في** بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة mirror . **وكذلك كلمة** rich بالنسبة لكلمة wealthy . وكلمة « عقيلته» تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة « زوجته » مثلا .

وكلمة « جذر » لها معنى عند المزارع ، ومعنى ثان عند اللغوي ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات . .

وقد ذكر leech أن Firth تأثر في نظرته السياقية بالأنثروبولوجي البولندي المولد B. Malinowski الذي عرف عنه ـ في دراسته للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمعات البدائية ـ أنه يعالج اللغة كصيغة من الحركة ، وليس كأداة للانعكاس . اللغة في حركتها ، والمعنى كما يستعمل يمكن أن ينظر اليهما على أنهما شعار مزدوج لمدرسته الفكرية .[1] .

ولم تكن الأنثروبولوجيا وحدها التي أيدت الاتجاه السياقي ، فقد جاء التأييد كذلك من جانب الفلسفة . فقد أيد الفيلسوف Wittgenstein في كتابه Philosophical Investigation (الذي نشر عام ١٩٥٣ بعد وفاة مؤلفه) كون

---

(١) Leech ص ٧١ . وانظر كذلك : Coseriu ص ١٣٠ .

معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة[1] . ويقول برتراند راسل : « الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما . ولكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله . الاستعمال يأتي أولا ، وحينئذ يتقطر المعنى منه »[2] .

كذلك جاء التأييد من علم النفس حيث أيد كثير من علماء النفس النظرة السياقية أو القرينية[3] .

كما أن من اللغويين من اعتبر المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي ، ومن هؤلاء Ullmann الذي صرح بأن « المعجمي يجب أولا أن يلاحظ كل كلمة في سياقها (كما ترد في الحديث أو النص المكتوب) . بمعنى أننا يجب أن ندرسها في واقع عملي in operation (أي في الكلام) ، ثم نستخلص من هذه الأحداث الواقعية العامل المشترك العام ، ونسجله على أنه المعنى (أو المعاني) للكلمة»[4] .

ويرى Ullmann أنه « بعد أن يجمع المعجمي عددا من السياقات الممثلة التي ترد فيها كلمة معينة ، وحينما يتوقف أي جمع آخر للسياقات عن إعطاء أي معلومات جديدة يأتي الجانب العملي إلى نهايته ، ويصبح المجال مفتوحا أمام المنهج التحليلي »[5] . وبذا يخفض العدد اللامحدود من الأحداث الكلامية الفردية المتنوعة إلى عدد محدود من الأحداث الثابتة[6] .

ولهذا فإن أولمان كان حريصا على التنبيه على أن المنهجين التحليلي والسياقي ليسا متضاربين كلا مع الآخر ، وإنما يمثلان خطوتين متتاليتين في نفس الاتجاه .

---

(١) ولذلك فهم يقومون بتحويل أي سؤال مثل : ماذا تعني س ؟ الى : كيف تستعمل س ؟ أو كيف تستعمَل الجمل التي تحتوي على س ؟ (انظر Meaning and Speech Acts ص ١٥٤ ؛ وLeech ص٧٢ ؛ و Meaning and Style ص ٨) .

(٢) الأخير ص ٩

(٣) Leech ص ٢٧ .

(٤) New Trends ص ١٣٣ .

(٥) Meaning and Style ص ٩ .

(٦) New Trends ص ١٣٣ .

ولعل أهم ميزات يتمتع بها المنهج السياقي :

١ ـ أنه ـ على حد تعبير أولمان ـ يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي[1] ، وعلى حد تعبير فيرث أنه يبعد عن فحص الحالات العقلية الداخلية التي تعد لغزا مهما حاولنا تفسيرها ، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا[2] .

٢ ـ أنه لم يخرج في تحليله اللغوي عن دائرة اللغة ، وبذا نجا من النقد الموجه إلى جميع المناهج السابقة (الإشاري ـ التصوري ـ السلوكي) ، وهو النقد الذي عبر عنه Leech بقوله : « مشكلة اتجاهات أوجدن وريتشاردز وبلومفيلد في دراسة المعنى أن كلا منهم حاول شرح السيمانتيك على ضوء متطلبات علمية أخرى » ، وقوله : « إن البحث عن تفسير للظاهرة اللغوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها نوافذ ولا أبواب . المطلوب منا أن نقنع بتقصي ما هو موجود داخل الحجرة ، أي أن ندرس العلاقات داخل اللغة »[3] . (وانظر مميزات نظرية الرصف آخر هذا الفصل) .

ومع هذا فقد وجهت عدة اعتراضات على هذه النظرية ، منها :

١ ـ أن فيرث لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى فقط بتقديم نظرية للسيمانتيك ، مع أن المعنى يجب أن يعتبر مركبا من العلاقات السياقية ، ومن الأصوات والنحو المعجم والسيمانتيك .

٢ ـ لم يكن فيرث محددا في استخدامه للمصطلح السياق context مع أهميته ، كما كان حديثه عن الموقف situation غامضا غير واضح ، كما أنه بالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق[4] .

---

(١) Meaning and Style ص ٨ .

(٢) Leech ص ٧١ .

(٣) السابق ص ٤ ، ٥ .

(٤) Firth's Theory of Meaning ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

٣ ـ ان هذا المنهج لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها . فلن يفيده شيئا أن تقول له إن هذه الكلمة ترد في السياقات الآتية . . ولكنه يفيد الباحث الذي يريد أن يتتبع استعمالات الكلمة ، واستخداماتها العملية في التعبيرات المختلفة .

* * * *

وهناك من أصحاب هذه النظرية من ركز على السياق اللغوي وتوافق الوقوع أو « الرصف » . وعلى الرغم من اعتبار هذا الرأي امتدادا لنظرية السياق أو تطورا عنه فهناك من عده نظرية مستقلة Collocational Theory [١] نظرا لما تميزت به من أحكام ، وما وضع لها من قواعد . يقول Ullmann : « هناك تطور هام للمفهوم العملي للمعنى تمثل في دراسة طرق الرصف أو النظم Collocations وهو ما ركز عليه فيرث وأتباعه »[٢] . وقد عرف الرصف بأنه « الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة »[٣] أو : « استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين ـ استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى »[٤] . ومن أمثلة ذلك ارتباط كلمة « منصهر » مع مجموعة الكلمات : حديد ـ نحاس ـ ذهب ـ فضة . . . ولكن ليس مع « جلد » مطلقا . وعدم تلاؤم « جلد » مع هذه المجموعة لا يكفي لعدم صحة الارتباط أو توافق الوقوع بين « جلد » و« منصهر » . ولذا يلجأ إلى الدليل الشكلي لإثبات عدم الملاءمة . وسيثبت الدليل الشكلي أن الحديد والنحاس والذهب . . . تتقاسم عددا من الترابطات مثل الصلابة والثقل والبريق والبرودة . . التي لا توجد في مجموعة الجلد ، وإنما يوجد بدلا منها صفات الخفة والليونة وانطفاء اللون . . »[٥] .

(١) من الممكن أن تسمى كذلك المنهج التوزيعي Distributional Method كما سماها Coseriu (ص ١٢٩) .

(٢) Meaning and Style ص ٩ .

(٣) السابق ص ١٠ .

(٤) Dictionary of Language and Linguistics ص ٤١ .

(٥) The Scope ص ١٤ .

وأهم ما يميز هذه النظرية أو هذا الاتجاه ما يأتي :

١ ـ أنه لا يهتم من بين أنواع السياق إلا بالسياق اللغوي أو السياق اللفظي verbal context ، أي ببيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة موضوع الدراسة . فكلمة night ترد في تجمع مع dark وكلمة day تأتي في تجمع مع sunny

ولما كان من المعتاد أن تنتظم الكلمة مع أكثر من مجموعة ، وأن تقع في أكثر من سياق لغوي فقد ظهر مصطلح « الوقوع المشترك » Co- occurrence ، والمصطلح « احتمالية الوقوع » . ووضع فيرث ما سماه اختبار الوقوعية او الرصفية collocability الذي يقوم على أساس تبديل المفردات المعجمية ، أو تبديل أنواع السياق اللغوي لإصدار الأحكام[١] .

ولعل من الأمثلة الهامة التي مثل بها أصحاب هذه النظرية التمثيل بكلمتي Strong و powerful . فكلا اللفظين ينتظم مع argument ولكنهما لا يتقاسمان نفس السياقات اللغوية الأخرى . فكلمة powerful تنتظم مع car مثلا وStrong مع tea مثلا[٢] .

ومثال آخر يتعلق بكلمات الزمان مثل : night و day و morning . . . فعلى الرغم من أنها جميعا تكون مجموعة مشتركة لأنها تقع متوافقة مع كلمة(mid-) فإنها قد تتوزع في مجموعات مختلفة في مواقع أخرى . فكلمة night تقع بصورة مطردة مع drak و black و clear و fall و time . وبعض هذه الكلمات لا يقع مع كلمة day أو morning [٣] .

وقد حاول Joos في أحد مقالاته[٤] (١٩٥٨) باستخدام هذا المنهج أن يفسر

---

(١) Semantic Fields ص ١٧٤ ؛ و Theory of Meaning ص ١٣ ، Dillon في Introduction ص ٢٦ .
(٢) Semantic Fields ص ١٧٤ .
(٣) Theory of Meaning ص ١٣ .
(٤) Semology : Linguistic Theory of Meaning

اختلاف المعنى على أنه اختلاف في التوزيع distribution في سياقات متعـددة . وشرح منهجه بواسطة المفردة الإنجليزية Code التي ذكر لها أربعة عشر استعمالا موقعيا[1] .

ويندر أن تكون العلاقات السياقية متطابقة في لغتين ، إلا اذا تم ذلك عن طريق الترجمة الحرفية . فكلمة « يشرب » مثلا تتوافق في بعض العاميات العربية مع كلمات مثل : « يشرب مقلب » و« يشرب سيجـارة » و« يشرب من البحـر » و« يشرب من كيعانه » . . . ولو ترجمت العبارات بنصها إلى لغة أجنبية أو ربما لو نقلت إلى اللغة الفصحى أو إلى لهجة عربية أخرى لكانت محل دهشـة ، ومثاراً للضحـك. واللغة الإنجليزية مثلا تطلق على الفول السوداني monkey nut . ولو نقلناها إلى العربية فقلنا بندق القرد لما فهمها أحد . ويستعمل الإنجليز كلمة pigeonhole للدلالة على الفتحة المربعة التي يوضع فيها البريد مثلا . ولو نقلت إلى العربية فقيل مثلا « بيت الحمامة » للإشارة إلى نفس الفتحة المعينة لما قبلت .

٢ ـ أنه يهتم ببيان الخصائص النحوية والصرفية ، ويستخدمهـا في تحـديد السياقات التي تقع فيها الكلمة . فلفظ « cat » مثلا يقع بعد « the » التعريفية مثل :

The .... caught the mouse.

أو بعد ضمير الملكية مثل :

I bought fish for my ....

وكلمتا argue و strong تتراصفان في شكل (فعل ـ حال) :

He argued strongly

(١) Coseriu ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

وفي شكل (اسم - اسم) :

The strength of his argument was considerable.

وفي شكل (اسم - فعل) :

His argument was strengthened by the fact he cited.[1]

وقد ميز Firth بين نوعين من الرصف هما :

أ - الرصف العادي الموجود بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام .

ب - الرصف غير العادي الموجود في بعض الأساليب الخاصة ، وعند بعض الكتاب المعينين[2] .

وهناك فرق بين التحليل الرصفي والتحليل النحوي . ففي حين يعالج النحوي « مجموعات الكلمات » (اسم / فعل / صفة) التي تحوي آلاف الكلمات التي ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية - يعالج الرصف الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية[3] .

٣ - أنه لا يعتبر الجملة كاملة المعنى meaningful إلا إذا صيغت طبقا لقواعد النحو ، وراعت توافق الوقوع بين مفردات الجملة ، وتقبلها أبناء اللغة وفسروها تفسيرا ملائما ، وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية acceptability[4] .

وقد اعتبر بعضهم التحليل الرصفي غاية في ذاته . وذكر Firth أن قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة تعد جزءا من معناها[5] .

وهناك مميزات تحققها هذه النظرية منها :

---

(١) Theory of Meaning ص ١٣ .
(٢) Semantic Fields ص ١٧٤ .
(٣) Theory of Meaning ص ١٣ .
(٤) Lyons في : Firth's Theory of Meaning ص ٢٩١ .
(٥) Theory of Meaning ص ١٣ .

١ ـ أنها تعطينا معيارا لتمييز الهومونيمي (انظر الباب الثالث من هذا الكتاب) من الكلمة المفردة ذات المجال المحدد من المعنى . فالهومونيمي مفردات تتفق نطقا ، ولكن تقع في مجموعات مختلفة من الرصف .

٢ ـ أنها يمكن أن تساعد في تحديد التعبيرات idioms . فإذا كان لفظ يقع في صحبة آخر دائما فمن الممكن أن يستخدم هذا التوافق في الوقوع كمعيار لاعتبار هذا التجمع مفردة معجمية واحدة (تعبيرا)[١] .

٣ ـ أنها تحدد مجالات الترابط والانتظام بالنسبة لكل كلمة ، مما يعني تحديد استعمالات هذه الكلمة في اللغة . وتحديد هذه المجالات يساعد على كشف الخلاف بين ما يعد ترادفا في اللغات . لأنه من النادر أن تأخذ الكلمات التي تعتبر مترادفة في لغة أخرى نفس السياق أو التجمع اللغوي المماثل[٢] . وهو أمر لازم لمن يريد استخدام اللغة أو يريد تعلمها[٣] ، أو يشتغل بالترجمة من لغة الى أخرى .

٤ ـ وكما استخدمت النظرية في كشف الخلاف بين المترادفات في اللغات ـ استخدمها J. Dubois لتمييز المترادفات في داخل اللغة الواحدة على أساس بيان توزيع كل منها[٤] .

٥ ـ أن طرق الرصف تتميز بصفة العملية . ولذا تتسم بالدقة والموضوعية . وكما قال أحد اتباع مدرسة Firth : « المعيار الشكلي للرصف يعتبر معيارا حاسما لأنه أكثر موضوعية ودقة وقابلية للملاحظة »[٥] .

---

(١) Semantic Fields ص ١٧٥ .
(٢) Dictionary of Language and Linguistics ص ٤١ .
(٣) وهذا يبين أهمية المعاجم السياقية التي تعتمد على تحديد السياقات الخاصة بالكلمة ، وهو ما يتلاءم مع الغرض العملي من استعمال اللغة (الكتابة ـ التعبير الشفوي) .
(٤) Coseriu ص ١٣٠ .
(٥) Meaning and Style ص ١٠ .

الفصل الرابع

نظرية الحقول الدلالية[1]

١ ـ مفهوم النظرية

الحقل الدلالي Semantic field أو الحقل المعجمي Lexical field[2] هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها ، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها . مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية . فهي تقع تحت المصطلح العام « لون » وتضم ألفاظاً مثل : أحمر ـ ازرق ـ أصفر ـ أخضر ـ أبيض .. الخ[3] وعرفه Ullmann بقوله : « هو قطاع متكامل من المادة اللغوية يعبر عن مجال معين من الخبرة »[4] ، و Lyons بقوله : « مجموعة جزئية لمفردات اللغة »[5] .

وتقول هذه النظرية إنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك مجموعة

---

(١) فضل Lehrer إطلاق مصطلح اتجاه approach على مصطلح نظرية theory قائلاً : « لأن معظم الدراسات الحقلية ليست كاملة بصورة كافية ، وليست متبلورة بشكل يجعلها نظريات موحدة متناسقة » (Semantic Fields ص ١٥)

(٢) يسمى كذلك : Semantic Space ، وSemantic area ، وSemantic Range ، Semantic class ، وSemantic Domain ، وConceptual Field ، و Lexical Domain (انظر Semantics : Lyons ١ / ٢٥ ؛ و Linguistics and Semantics: Coseriu ص ١٠٣ ؛ و Semantic Fields ص ١٥ ؛ و The theory of Semantic Fields ص ٧٩ ، ٨١) .

(٣) Semantic Fields ص ١ .

(٤) Meaning and style ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) Semantics ١ / ٢٦٨ .

الكلمات المتصلة بها دلالياً[1] ، أو كما يقول Lyons : يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي[2] . ولهذا يعرّف Lyons معنى الكلمة بأنه « محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي »[3]. وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً ، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر ، وصلاتها بالمصطلح العام[4] .

ويتفق أصحاب هذه النظرية - إلى جانب ذلك - على جملة مبادىء منها :

١ - لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل .

٢ - لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين .

٣ - لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة .

٤ - استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي[5].

وقد وسع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية :

١ - الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة. وقد كان A. Jolles أول من اعتبر ألفاظ الترادف والتضاد من الحقول الدلالية .

٢ - الأوزان الاشتقاقية ، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية. morpho-Semantic fields

٣ - أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.

٤ - الحقول السنتجماتية Syntagmatic fields ، وتشمل مجموعات

(١) Theory of Meaning ص ١٤ .
(٢) المرجع والصفحة .
(٣) Semantic Fields ص ٢٢ .
(٤) السابق ص ١ .
(٥) Semantics: Lyons ١ / ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال ، ولكنها لا تقع أبداً في نفس الموقع النحوي . وقد كان W. Porzig أول من درس هذه الحقول ، وذلك حين وجه اهتمامه إلى كلمات مثل :

كلب ـ نباح .

فرس ـ صهيل .

زهر ـ تفتح .

طعام ـ يقدم .

يمشي ـ قدم .

يمشي ـ قدم .

ينتقل ـ سيارة .

يرى ـ عين .

يسمع ـ اذن .

أشقر ـ شعر .

سمع ـ أذن .

وغيرها[1] .

ويقسم بعضهم العلاقات بين كلمات الحقل السنتجماتي إلى نوعين :

أ ـ الوقوع المشترك .

ب ـ التنافر .

ويمثل للأول بإمكانية القول :

Travel by foot.

Wander by fott.

Go by foot.

---

(١) the Theory of Semantic Fields ص ٨٩ ـ ٩٢ .

وعدم إمكانية القول :

Walk by foot

Run by foot

رغم أن walk و run تحتويان على نفس العناصر الدلالية للحركة القدمية[1] .

٢ ـ نظرة تاريخية

مال التركيبيون الأمريكيون المتأثرون ببلومفيلد إلى تجاهل دراسة المعجم ، لأنه ـ في نظرهم ـ يعالج مفردات توصف بأنها غير تركيبية ، أو ـ على الأقل ـ يبدو التسيب في تركيبيتها[2] .

وحتى النحاة التوليديون التحويليون المبكرون اعتبروا المعجم جزءاً من النحو ، وأعطوا أهمية ضئيلة لمعاني الكلمات والجمل .

ولكن بدأ اهتمام التركيبيين بدراسة المعجم منذ استنبط السيمانتيك التركيبي فكرة الحقل الدلالي أو الحقل المعجمي ؛ باعتبار أن هذه الفكرة تعطي مفردات اللغة شكلاً تركيبياً . فكلمات كل لغة ـ طبقاً لهذه الفكرة ـ تصنف في مجموعات ينتمي كل منها إلى حقل دلالي معين . وعناصر كل حقل يحدد كل منها معنى الآخر ، ويستمد قيمته من مركزه داخل النظام[3] .

ولم تتبلور فكرة الحقول الدلالية إلاّ في العشرينات والثلاثينات من هذالقرن على أيدي علماء سويسريين وألمان ، وبخاصة Ispen (١٩٢٤) ، و Jolles (١٩٣٤) ، و Prozig (١٩٣٤) ، و Trier (١٩٣٤) . وكان من أهم تطبيقاتها المبكرة دراسة Trier للألفاظ الفكرية في اللغة الألمانية الوسيطة[4] ، كما

---

(١) Componential ص ١٥٢ .

(٢) Semantic Fields ص ١٥

(٣) Meaning and Style ص ٢٧ ؛ و Semantic Fields ص ١٥ .

(٤) Meaning and Style ص ٢٦ ؛ و Semantics: Lyons ١ / ٢٥٠ وما بعدها ؛ و The theory of Semantic Fields ص ٨١ . وكاثر من آثار Trier الإيجابية وجدت دراسات سارت في ثلاثة اتجاهات ، دراسة العلاقات البارادجماتية بين الوحدات المعجمية في اللغة ـ دراسة العلاقات السنتجماتية ـ دراسة أنواع الكلمات وارتباطاتها على المستويين السابقين (انظر The theory of Semantic Fields ص ٨٤).

قام R. Meyer باختيار ثلاثة أنماط من الحقول الدلالية ودرسها[1] ، وقام علماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون بتطبيقات متنوعة لهذه الفكرة ، وبخاصة في مجالات القرابة ، والنبات ، والحيوان ، والألوان ، والأمراض[2] .

وفي فرنسا تطور السيمانتيك التركيبي في اتجاه خاص ، حيث ركز Matore (١٩٥٣) وأتباعه على حقول تتعرض ألفاظها للتغير أو الامتداد السريع ، وتعكس تطوراً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً هاماً[3] .

والحقول أو المجالات التي أقيمت الدراسة عليها كثيرة أهمها : ألفاظ القرابة ، والألوان ، والنبات ، والأمراض ، والأدوية ، والطبخ ، والأوعية ، وألفاظ الأصوات ، وألفاظ الحركة ، وقطع الأثاث ، والخواص الفكرية ، والأيدلوجيات ، والجماليات ، والمثل ، والدين ، والإقطاع ، ومؤيدو البلاط ، والخارجون عليه ، والأساطير والخرافات ، والتجارة ، والعداوة والهجوم ، والاستقرار والإقامة ، والحيوانات الأليفة ، وصفات العمر ، وأعضاء البدن . . .[4]

٣ - معجم الحقول الدلالية

قادت نظرية الحقول أو المجالات إلى التفكير في عمل معجم كامل يضم كافة الحقول الموجودة في اللغة ، وتقدم فيه المفردات داخل كل حقل على أساس تفريعي تسلسلي . وتبذل الآن محاولات كثيرة لتصنيف معاجم للغات ولهجات

---

(١) هي الحقول الطبيعية مثل أسماء الأشجار والحيوانات . . والاصطناعية مثل أسماء رتب الجيش وأجزاء الآلات . . وشبه الاصطناعية مثل مصطلحات الصيادين (المرجع السابق ص ٧٩) .

(٢) Semantic Fields ص ١٥ ؛ و Semantics: Lyons ١ / ٢٦٧ ؛ و Foundations of Linguistics ص ١٨٦ .

(٣) Semantics: Lyons ١ / ٢٦٧ .

(٤) Theory of Meaning ص ١٤ ؛ و Meaning and Style ص ٣٠ - ٣٢ ؛ و Semantic Fields ص ١٩ ، ٣٠ وما بعدها ، و ٣٥ وما بعدها ، و ٨٦ وما بعدها .

أوروبية متعددة[1] .

ولعلّ أشهر معجم أوروبي مبكر صنف على أساس الموضوعات أو المفاهيم - وقد سبق ظهور نظرية الحقول الدلالية - المعجم الذي قدمه Roget لكلمات اللغة الإنجليزية وعباراتها بعنوان :

Roget's Thesaurus of English Words and phrases[2] وذكر في مقدمته أنه « مرتب لا على حسب النطق ، ولا على حسب الكتابة ، وإنما على حسب المعاني » . وكان متأثراً في هذا العمل بمقولة شاعت في القرن السابع عشر عن إمكانية تركيب لغة مثالية لتنظيم المعارف العلمية وتطويرها . كما تأثر ببحث شهير كتبه John Wilkins عام ١٦٦٨ بعنوان :

Essay towards a Real Character and a Philosophical Language

وقد قسم wilkins فيه المعارف البشرية إلى : العلاقات التجريدية - الأفعال - العمليات والتصورات المنطقية - الأجناس الطبيعية وأنواع الأشياء الحية وغير الحية - العلاقات الصرفية المادية بين أفراد الكائن الحي في الأسرة والمجتمع[3] .

ثم وجدت أعمال مشابهة في الألمانية (Dornseiff ١٩٣٣) ، والأسبانية (Casares ١٩٤٢) ، وظهر معجم مختصر في الفرنسية (١٩٠٩) اعتمد بشكل واضح على النموذج الذي قدمه Roget[4] .

وربما كان أفضل منهج تميز بالتقدمية والطموح وأقيم على تصنيف دلالي وصف بالعالمية هو ذلك الذي قدمه Hallig و Wartburg (١٩٥٢)[5] .

---

(١) New Trends ص ٣٧ .

(٢) طبع أول مرة عام ١٨٥٢ ، وأعيد طبعه عشرات المرات بعد ذلك . (انظر مقدمة طبعة ١٩٧٩ - من Penguin Books) .

(٣) A Short History of Linguistics: Robins ص ١١٤ .

(٤) Semantics: Lyons ١ / ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٥) قسمت فيه المفاهيم إلى أقسام ثلاثة رئيسية (قسم كل منها بدوره إلى أقسام فرعية) . هذه الأقسام الرئيسية هي : العالم - الإنسان - الإنسان والعالم (Meaning and Style ص ٣٤) .

ولكن كان يعيب هذا النوع من المعاجم المبكرة عدم ترتيب المادة المعجمية على أساس تسلسلي تدرجي hierarchical .

ولعل أحدث معجم يطبق نظرية الحقول هو ذلك المعجم الذي يتم إخراجه الآن تحت عنوان Greek New Testament . وقد تمّ الانتهاء من تصنيف مجالات المعجم بعد الانتهاء من تحليل ١٥ ألف معنى مختلف لمفردات يبلغ عددها ٥ آلاف كلمة . وعلى الرغم من قصور المعجم من ناحية عدم شمول مفرداته ، وبالتالي عدم شمول مجالاتها فإنه يقدم نموذجاً جيداً لمعاجم المجالات التي تقوم على التصنيف المنطقي والأساس التسلسلي[1] .

وسنتناول بالتفصيل مجالات هذا المعجم فيما بعد .

وإذا كان Coseriu و Geckeler قد اعتبرا إنجاز المعاجم المرتبة على أساس المعاني أو المفاهيم من أهم الإنجازات التي قدمها السيمانتيك الوصفي[2] ، فسوف نرى فيما بعد أسبقية العرب المطلقة في هذا المجال .

٤ ـ أسس المعجم المصنف

يقوم عمل معجم مصنف للمفاهيم على أساسين هما :

أ ـ وضع قائمة بمفردات اللغة .

ب ـ تصنيف هذه المفردات بحسب المجالات أو المفاهيم التي تتناولها .

ولا صعوبة في الوصول إلى قائمة المفردات ، سواء بدأنا بها ، ثم صنفناها إلى مفاهيم ، أو بدأنا بتصور المفاهيم داخل اللغة ثم قمنا بوضع قائمة بمفردات كل مفهوم أو مجال . ولكن المشكلة التي تواجه واضعي هذه المعاجم تتمثل في ثلاثة أشياء هي :

---

(١) Componential Analysis ص ١٧٨ ـ ١٨٦ .

(٢) Linguistics and Semantics ص ١٠٦ .

أ ـ حصر الحقول أو المفاهيم الموجودة في اللغة وتصنيفها .

ب ـ التمييز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية داخل الحقل .

حـ ـ تحديد العلاقات بين الكلمات داخل كل حقل .

وسنتناول هذه المشكلات بالترتيب على النحو السابق :

أ ـ تصنيف المفاهيم :

يقول Chomsky : « إن من الهام وضع [illegible]ر للمفاهيم الممكنة »[1] ، ويقول Stork و Widdowson : « السيمانتيك لا يهتم فقط بإطلاق الأسماء . فالأهم من ذلك طريقة تصنيف الأشياء التي سنعطيها الأسماء »[2] .

وقد أسهم اللغويون الأنثروبولوجيون في تقدم نظرية الحقول عن طريق التصنيفات العامة التي قاموا بها في مجالات ثقافية متنوعة ، كما أن منهم من قاموا بدراسات ترتكز على أساس سؤال الشخص أن يصنف الألفاظ داخل مجال ما ، وذلك من أجل تحديد التفريعات في داخل التركيب المعجمي . وهذه التفريعات تكشف عن تصور المتكلم لكيفية تنظيم الأشياء الموجودة في العالم من حولنا[3] .

وهناك اتجاه شائع الآن يدعى وجود أطر من المفاهيم العالمية المشتركة بين كل لغات البشر ، ويزعم أن كل اللغات تتقاسم الأطر الأساسية للتصورات أو المفاهيم . ومن الممكن القول ـ على هذا الرأي ـ إن هناك مجموعات من التصنيفات الدلالية العالمية إلى مثل : حي وغير حي ـ حسى ومعنوي ـ بشري وغير بشري . . . ومنها تأخذ كل لغة تقسيماتها الجزئية الأخرى .

وأصحاب هذا الرأي يقولون : إن من الممكن تصنيف الموجودات نتيجة

(١) Meaning and Style ص ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) Learning about Linguistics ص ١١٧ .
(٣) Semantic Fields ص ١٩ .

القيام بتجريدات لتلك الأشياء الموجودة في العالم الحقيقي من حولنا . ويمكن القيام بهذا التصنيف على أساس من الوظيفة أو الحجم أو الشكل أو اللون . . . وإنه الاختيار فقط من بين هذه المجموعات الجزئية الذي تختلف فيه اللغات[1] .

وقد كانت هذه المشكلة على جدول أعمال المؤتمر العالمي السابع لعلم اللغة الذي عقد في لندن ١٩٥٢ ، وتم وضع تخطيط عام في نفس السنة صنف المفاهيم إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي : الكون ـ الإنسان ـ الإنسان والكون[2] ، وقسم كل منها بدوره إلى أقسام فرعية .

ولعلّ أشمل التصنيفات التي قدمت حتى الآن وأكثرها منطقية التصنيف الذي اقترحه معجم Greek New Testament ، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية

١ ـ الموجودات entities .

٢ ـ الأحداث events .

٣ ـ المجردات abstracts

٤ ـ العلاقات relations .

وتحت كل قسم نجد أقساماً أصغر . ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية . . . وهكذا .

والجدول الآتي يمثل أهم الحقول الدلالية الواردة في هذا المعجم . أما أمثلتها فكما يلي[3] :

١ ـ أشياء حية ـ حيوان ـ حشرة ـ حيوان يمشي على أربع . . .

---

(١) Semantics: Leech ص ٢٨ ـ ٣٢ .

(٢) Meaning and Style ص ٣٣ ، ٣٤ . وقد قدم هذا التصنيف Wartburg وHallig .

(٣) التقسيمات والأمثلة ـ مع تصرف يسير ـ مأخوذة من Componential Analysis ص ١٧٨ وما بعدها .

أما الجدول والترقيم فمن عمل المؤلف .

٢ ـ طائر ـ صقر ـ حمامة . .

٣ ـ عثة ـ بعوض ـ بق . . .

٤ ـ دب ـ ذئب ـ ثعلب . . .

٥ ـ حيوان ـ بقرة ـ خنزير ـ حمار ـ خروف ـ فرس . . .

٦ ـ وبر ـ صوف . . .

٧ ـ جناح ـ ذيل ـ قرن . . .

٨ ـ رجل ـ إنسان ـ شخص . . .

٩ ـ رجل ـ شيخ ـ صبي ـ ولد . .

١٠ ـ امرأة ـ عجوز ـ فتاة ـ بنت . . .

١١ ـ طفل ـ رضيع . . .

١٢ ـ جيل ـ قريب ـ أسرة ـ قبيلة ـ جنس . .

١٣ ـ نجل ـ ابن ـ ابنة ـ حفيد . .

١٤ ـ جد ـ أب ـ أم ـ جدة . .

١٥ ـ زوج ـ زوجة ـ حماة ـ عريس ـ عروس . .

١٦ ـ ابن بالتبني ـ أخ ـ أخت . .

١٧ ـ ناس ـ فريق ـ جمهور . . .

١٨ ـ جماعة المصلين ـ محفل ـ إخوة ـ طائفة . .

١٩ ـ اجتماع ـ مواطن ـ أجنبي ـ وطن . . .

٢٠ ـ مجلس أعلى ـ مجلس محلي . .

٢١ ـ جمعية ـ صديق ـ جار . .

٢٢ ـ جسم ـ جثة . .

٢٣ ـ رأس ـ جمجمة ـ عين ـ أذن . .

٢٤ ـ دموع ـ دم ـ قيء . .

٢٥ ـ كائن علوي ـ روح القدس ـ الأرواح العظمى . . .

٢٦ ـ إله ـ إلهة ـ نصف إله ـ شيطان ـ ملاك . .

٢٧ ـ سماء ـ سحاب ـ هواء ـ شمس ـ قمر . .
٢٨ ـ الله ـ الفردوس ـ الجحيم . . .
٢٩ ـ عالم ـ قطر ـ منطقة . .
٣٠ ـ سطح ـ وادي ـ جبل ـ تل ـ صحواء . .
٣١ ـ بحر ـ عين ـ بحيرة ـ جزيرة ـ شاطيء ـ ساحل ـ خليج . . .
٣٢ ـ حقل ـ مزرعة . . .
٣٣ ـ مملكة ـ امبراطورية ـ مقاطعة . .
٣٤ ـ عناصر .
٣٥ ـ حديد ـ فضة ـ نحاس . . .
٣٦ ـ كرستال ـ توباز ـ زمرد . .
٣٧ ـ صخر ـ رمل ـ طين ـ تربة ـ غبار . . .
٣٨ ـ نار ـ شعلة . . .
٣٩ ـ ماء ـ مطر ـ ثلج ـ برد . .
٤٠ ـ شجرة ـ غابة ـ شجرة زيتون . .
٤١ ـ نبات ـ غلة ـ عشب ـ طحلب ـ قش . .
٤٢ ـ فحم نباتي ـ عصا ـ رماد الفحم . . .
٤٣ ـ فاكهة ـ زيتون ـ بذور . .
٤٤ ـ غصن ـ ورقة ـ جذر ـ زهرة . .
٤٥ ـ طعام ـ وجبة ـ شراب . .
٤٦ ـ خبز ـ فاكهة ـ دقيق ـ زيت زيتون ـ تين . .
٤٧ ـ لحم ـ لبن ـ سمك ـ بيض ـ عسل . .
٤٨ ـ ملح ـ فلفل ـ قرفة . .
٤٩ ـ سم . .
٥٠ ـ مرهم ـ دهان . . .
٥١ ـ زيت الطيب ـ عطر . . .

٥٢ ـ معبد ـ كنيسة ـ برج ـ سجن . .
٥٣ ـ منزل ـ بيت ـ فندق . .
٥٤ ـ سوق ـ مسرح ـ ساحة ـ ناد رياضي . .
٥٥ ـ حجرة ـ باب ـ بوابة ـ حائط . .
٥٦ ـ قبر ـ فرن ـ سور ـ طاحونة . .
٥٧ ـ لوح ـ حجر ـ دعامة خشبية أو معدنية . .
٥٨ ـ بئر ـ قبو ـ حوض . .
٥٩ ـ بنك ـ محكمة ـ مصلحة ضرائب . .
٦٠ ـ باخرة ـ مركب ـ شراع ـ قارب ـ مرساة
٦١ ـ شيء ـ بضاعة ـ سلعة . .
٦٢ ـ مركبة ـ عربة . .
٦٣ ـ مسمار ـ فأس ـ إبرة ـ سنارة . .
٦٤ ـ خوذة ـ ترس ـ درع . .
٦٥ ـ سلاح ـ سيف ـ هراوة ـ قوس . .
٦٦ ـ ملابس ـ جلباب ـ معطف ـ روب ـ قميص ـ برقع . .
٦٧ ـ تاج ـ جواهر ـ إكليل . .
٦٨ ـ ملاءة ـ منشفة ـ ستارة . .
٦٩ ـ سرير ـ كرسي ـ عرش ـ منضدة . .
٧٠ ـ مشكاة ـ مصباح ـ فانوس . .
٧١ ـ طبق ـ كوب ـ إبريق . .
٧٢ ـ عملة ورقية ـ عملة نحاسية ـ عملة ذهبية .
٧٣ ـ تمثال ـ صورة ـ صنم . .
٧٤ ـ جرس ـ قيثار ـ فلوت . .
٧٥ ـ ورق ـ قلم ـ حبر . .
٧٦ ـ حبل ـ سلسلة ـ قيد . .

٧٧ ـ صليب . .

٧٨ ـ ريح ـ عاصفة ـ مطر . . .

٧٩ ـ قصف ـ زئير . .

٨٠ ـ دخان ـ حريق . .

٨١ ـ يزرع ـ يحصد . . .

٨٢ ـ يرعى (غنما) ـ يربي (حيوانات) . . .

٨٣ ـ يطبخ ـ يجهز وجبة . .

٨٤ ـ يخيط ـ يفصل . .

٨٥ ـ يبني ـ يهدم . .

٨٦ ـ يضحي ـ يختن . .

٨٧ ـ يوزع ـ يعطي ـ يقسم . .

٨٨ ـ يأخذ ـ يقبل ـ يربح . . .

٨٩ ـ يسرق ـ يستولي على . .

٩٠ ـ يبيع ـ يشتري ـ يبادل . .

٩١ ـ يستثمر ـ يودع . .

٩٢ ـ يكسر ـ يحطم . . .

٩٣ ـ يسحق ـ يفتت . .

٩٤ ـ يقطع ـ يجرح . .

٩٥ ـ يضرب ـ يصدم ـ يدق . .

٩٦ ـ يقتل ـ يذبح .

٩٧ ـ يحطم ـ يدمر . .

٩٨ ـ يتغذى ـ يرضع . .

٩٩ ـ يحمل ـ يلد . .

١٠٠ ـ ينام ـ يتيقظ . . .

١٠١ ـ يغرق ـ يموت . .

١٠٢ ـ يتحرك ـ يسافر . .

١٠٣ ـ يأتي ـ يذهب . .

١٠٤ ـ يمشي ـ يجري ـ يقفز . .

١٠٥ ـ يطير ـ يعوم . . .

١٠٦ ـ يقود ـ يحضر ـ يصاحب . .

١٠٧ ـ يهزم ـ يستولي ـ يقبض على . .

١٠٨ ـ يحكم ـ يطيع . .

١٠٩ ـ يخالف ـ يرفض ـ يهرب . .

١١٠ ـ يعاقب ـ يؤدب . . .

١١١ ـ يسمع ـ ينصت . . .

١١٢ ـ يلمس ـ يشعر . .

١١٣ ـ يرى ـ يبصر ـ يلاحظ ـ يراقب . .

١١٤ ـ يتذوق . .

١١٥ ـ يشم . . .

١١٦ ـ يرتبط ـ يتحد ـ ينضم . .

١١٧ ـ يعارض ـ يحارب ـ يجانب . .

١١٨ ـ يتزوج ـ يطلق . .

١١٩ ـ يزور ـ يستضيف . .

١٢٠ ـ يتولى ـ يعفو ـ يحترم ـ يقدر . .

١٢١ ـ ضحك ـ بكاء ـ عويل . .

١٢٢ ـ يتكلم ـ يتحدث ـ يصيح . .

١٢٣ ـ يكتب ـ يقرأ . .

١٢٤ ـ يصلي ـ يقسم . .

١٢٥ ـ يعلم ـ يشرح ـ يقنع .

١٢٦ ـ يناقش ـ يناظر . .

١٢٧ ـ يأمر ـ يطلب . .

١٢٨ ـ خطة ـ سبب ـ استنتاج . .

١٢٩ ـ يتذكر ـ ينسى ـ يستدعي . .

١٣٠ ـ يقضي ـ يقرر ـ يصمم . .

١٣١ ـ يكتشف ـ يتعلم ـ يتعرف . .

١٣٢ ـ حب ـ رغبة ـ شهوة . .

١٣٣ ـ كراهية ـ غيرة . .

١٣٤ ـ يخاف ـ يقلق . .

١٣٥ ـ يحزن ـ يتأسف . .

١٣٦ ـ فوق ـ تحت ـ حول ـ قبل . .

١٣٧ ـ عند ـ خلال ـ منذ . .

١٣٨ ـ هذا ـ ذلك . .

١٣٩ ـ لأن ـ على أساس ـ على الرغم ـ ولذا . .

١٤٠ ـ اليوم ـ غدا ـ سنة ـ مستقبل . . .

١٤١ ـ ذراع ـ رحلة ـ يوم . .

١٤٢ ـ قنطار ـ كيلة . .

١٤٣ ـ بطيء ـ سريع . .

١٤٤ ـ حار ـ بارد . .

١٤٥ ـ أسود ـ أبيض . .

١٤٦ ـ واحد ـ اثنان . . .

١٤٧ ـ غني ـ فقير . .

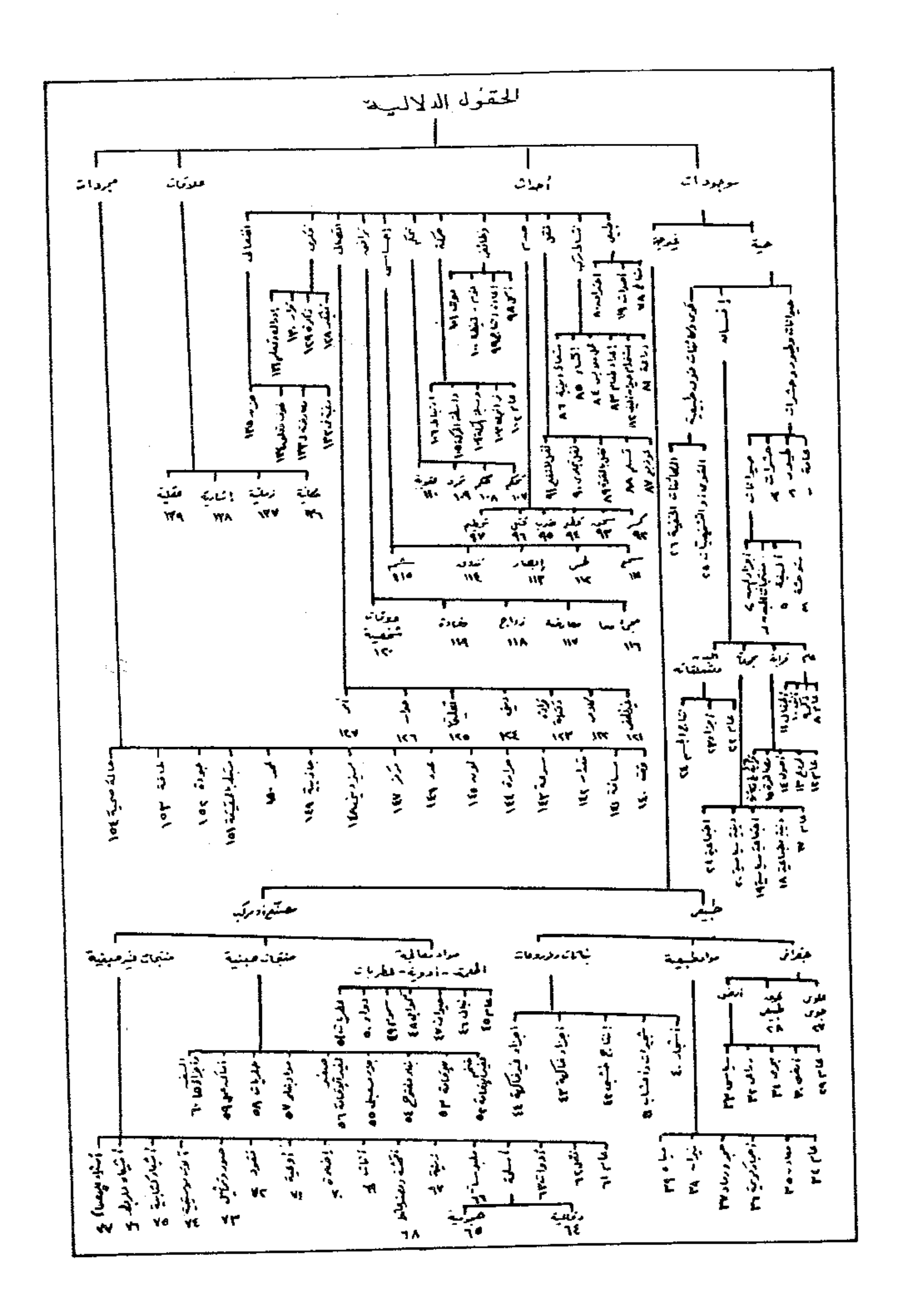
١٤٨ ـ مقدس ـ نظيف . .

١٤٩ ـ جميل ـ قبيح . .

١٥٠ ـ عجوز ـ صغير ـ عتيق . .

١٥١ ـ صادق ـ كاذب ـ أمين . .

١٥٢ ـ حسن ـ رديء ـ صواب ـ خطأ . .
١٥٣ ـ قادر ـ عاجز ـ قوي ـ ضعيف . .
١٥٤ ـ مريض ـ سليم ـ صحيح . .


الحقول الدلالية
موجودات
أحداث
علاقات
مجردات
حية
غير حية
طبيعي
مصنوع ومركب

وقد لوحظ أن حجم الحقول يختلف من مجال إلى مجال ، وأن أكبر مجال في أي لغة ذلك الذي يحوى الكائنات والأشياء ، ويليه الأحداث ، وأقل من ذلك المجردات . وأقل الجميع كلمات العلاقات .

وادعى بعضهم عالمية هذه الحقيقة ، وانطباقها على كل اللغات .

ب ـ الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية :

ليست كل الكلمات داخل الحقل الواحد ذات وضع متساو . ومن الضروري أن نميز بين الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية ، لأن الأولى هي التي تتحكم في التقابلات الهامة داخل الحقل .

ومن الممكن وضع مقياس يتدرج من الأقصى أهمية إلى الأقصى هامشية ، ولكن إذا أريد وضع خط فاصل بين النوعين فإن ذلك سيكون تحكميا إلى حد ما .

وقد وضع العلماء معايير مختلفة للتمييز بين النوعين ، ولم يتفقوا على معيار واحد . ومن بين هذه المعايير يبرز :

١ ـ معيار Berlin و Kay ، ويقوم على المبادىء الآتية :

(١) الكلمة الأساسية تكون ذات لكسيم واحد monolexemic [(١)] أي وحدة معجمية واحدة .

(٢) الكلمة الأساسية لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدود أو ضيق من الأشياء . فالشقرة في الاستعمال الحديث لا تطلق إلا وصفا للشعر والبشرة ، ولذا لا يمكن أن تكون كلمة أساسية . أما الحمرة فيأتي استعمالها غير مقيد ولا محدود . ولذا فهي كلمة أساسية .

(٣) الكلمة الأساسية تكون ذات تميز وبروز بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة .

---

(١) Lexeme مصطلح يطلق على الوحدة المعجمية الأساسية ، في مقابل الوحدة الصرفية والوحدة الدلالية .

(٤) الكلمة الأساسية لا يمكن التنبؤ بمعناها من معنى أجزائها بخلاف كلمات مثل : blue- geen ، وبرمائي .

(٥) لا يكون معنى الكلمة الأساسية متضمنا في كلمة أخرى ما عدا الكلمة الرئيسية[1] التي تغطي مجموعة من المفردات . مثال الكلمة الأساسية : زجاجة - كوب . . . التي لا تتضمنها كلمة أخرى سوى الكلمة الرئيسية « وعاء » . ومثال الكلمة الهامشية كلمة قرمزي التي تشير إلى نوع من اللون الأحمر .

(٦) الكلمات الأجنبية الحديثة الاقتراض من الأغلب ألا تكون أساسية .

(٧) الكلمات المشكوك فيها تعامل في التوزيع معاملة الكلمات الأساسية[2] .

٣ - معيار Battig و Montageue الذي يقوم على أساس إحصائي استقرائي . فهو يقوم على تكليف عدد من الأشخاص بأن يكتبوا - في وقت زمني محدد - أكبر عدد من الكلمات الواقعة تحت صنف معين . وبعد ذلك يقدم لهم صنف ثان ، وهكذا . . وترتب المفردات حسب نسبة ترددها ، فالمفردات الأكثر ترددا تكون أكثر بروزا .

وقد ظهر من تطبيقها على الخضراوات احتلال الكلمات الثماني الآتية قمة القائمة : الخس - الجزر - البازيليا - الذرة - الفاصوليا - البطاطس - الطماطم - السبانخ .

ومن الكلمات التي ترددت مرة واحدة وعدت هامشية من أجل ذلك : الكراث - اللوبيا[3] .

---

(١) راجع مفهوم هذا المصطلح في علاقة الاشتمال

(٢) Semantics : Leech ص ٢٣٦ ؛ و Semantic Fields ص ١١ .

(٣) Semantic Fields ص ١١ ، ١٢ .

حـ ـ العلاقات داخل الحقل المعجمي :

سبق أن اقتبسنا تعريف Lyons لمعنى الكلمة وأنه « محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي » . وهناك تعريف آخر لا يخرج عن نفس الإطار وهو « مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية »[1] .

ولذا فمن الضروري عند أصحاب هذه النظرية بيان أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي . ولا تخرج هذه العلاقات في أي حقل معجمي عما يأتي :

١ ـ الترادف synonymy . ٢ ـ الاشتمال أو التضمن hyponymy

٣ ـ علاقة الجزء بالكل part-whole relation ٤ ـ التضاد antonymy

٥ ـ التنافر incompatibility[2] .

ومن المعروف أن بعض الحقول الدلالية سوف تحوي كثيرا من هذه العلاقات ، في حين أن حقولا أخرى لن تحويها . كما أن بعض العلاقات قد يكون ضروريا لتحليل بعض اللغات دون الأخرى . ولذا فإن على اللغوي أن يحدد أنواع العلاقات الضرورية لتحليل مفردات لغة معينة[3] .

١ـ الترادف :

يتحقق الترادف حين يوجد تضمن من الجانبين . يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) ، و (ب) يتضمن (أ) . كما في كلمة « أم » و« والدة »[4] .

وقد خصصنا موضوع الترادف ببحث مستقل في الباب الثالث من هذا الكتاب .

(١) Meaning and Style ص ٣١ .

(٢) Semantics : Lyons ١/ ٢٧٠ ، وما بعدها ، و٣١١ ، وما بعدها ؛ وSemantic Fields ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) Theory of Meaning ص ١٥ .

(٤) Semantic Fields ص ٤٦ ، وانظر Theory of Meaning ص ١٥ .

٢ ـ الاشتمال :

تعد علاقة الاشتمال[1] أهم العلاقات في السيمانتيك التركيبي . والاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد . يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي (toxonomic) ، مثل « فرس » الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى « حيوان » . وعلى هذا فمعنى « فرس » يتضمن معنى « حيوان »[2] .

واللفظ المتضمِّن في هذا التقسيم يسمى :

أ ـ اللفظ الأعم hyperonymy .

ب ـ الكلمة الرئيسية head word .

حـ ـ الكلمة الغطاء cover word .

د ـ اللكسيم الرئيسي archlexeme .

هـ ـ الكلمة المتضمنة superordinate word .

---

(١) صك لها المصطلح Hyponymy بالقياس على Synonymy and antonymy وقد لاقى رواجا أكثر من المصطلحين Subordination , Inclusion (Semantics: Lyons ١/ ٢٩١) .

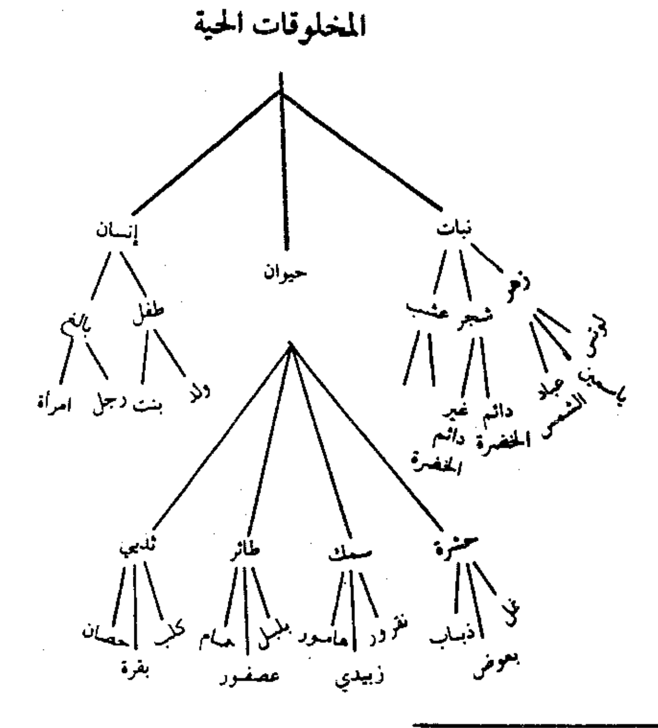
(٢) هل الأعم يتضمن الأخص أو العكس ؟ خلاف بين اللغويين تأثر بالخلاف بين المناطقة . فإذا أخذنا بما صدق اللفظ يكون اللفظ العام هو المتضمن (بكسر الميم) ، ولكن إذا أخذنا بالمفهوم يكون اللفظ الأخص هو المتضمن (بكسر الميم) . إذ على الأول يكون الحيوان متضمنا للإنسان وزيادة ، وعلى الثاني يكون الإنسان متضمنا للحيوانية وزيادة (انظر (Semantics : Lyons ١/ ٢٩١) .
أما بالنسبة للمناطقة فهناك رأي يقول بقصر المفهوم على الصفات التي تحمل كليا على الحد الكلي مستبعدين الصفات النوعية والفردية والعرضية . ومن هنا اعتبروا النوع أشمل من الجنس (الخاص إذن يشتمل على العام) من حيث المفهوم ، لأن النوع يحتوي صفات الجنس كلها مضافا اليها الفصول النوعية . في حين أن الجنس يكون أشمل من النوع من حيث الما صدق .
وهناك رأي آخر يقول : إن كل صفات الأنواع موجودة من قبل في جنسها . والجنس يشملها ويشمل غيرها . وهي توجد فيه على هيئة « متغير » . وحين نريد الحصول على « النوع » من « الجنس » نحن لا نضيف شيئا لم يكن موجودا في الجنس ، وإنما نقتطع من هذا الجنس أشياء ونترك أشياء . ومعنى هذا أن الجنس يشمل كل الصفات الموجودة في كل الأنواع الداخلة تحته ، وأن الجنس أشمل من النوع من ناحيتي المفهوم والماصدق (بدوي : المنطق الصوري ص ٧١ ، ٧٢) .

و ـ المصنف classifier [1] .

وأحيانا لا توجد كلمة عليا للتاكسونومي ، وإن كان المتكلمون يملكون وسائل مختلفة لملء هذه الفجوة . فلا يوجد في اللغة الإنجليزية مثلا كلمة عليا تغطي اللفظين : brother و sister (قارن هذا بكلمتي father و mother اللتين تندرجان تحت الكلمة الغطاء parents) [2] .

ومن الاشتمال نوع أطلق عليه اسم « الجزيئات المتداخلة » overlapping segments ، ويعني ذلك مجموعة الألفاظ التي كل لفظ منها متضمن فيما بعده مثل : ثانية ـ دقيقة ـ ساعة ـ يوم ـ أسبوع ـ شهر ـ سنة [3] . .

ومن الممكن التمثيل لعلاقة الاشتمال بالشكل الآتي :



(1) Semantics : Lyons ١/ ٢٩١ ، و Foundations ص ١٩٩ .
(2) Semantic Fields ص ٢٣ ، ٢٤ .
(3) المرجع السابق ص ٢٩ .

أو بالشكل الآتي :[1] .

نبات						حيوان												انسان			
زهر			شجر		عشب	حشرة			سمك			طائر			ثديي			طفل		بالغ	
نرجس	ياسمين	عباد الشمس	دائم الخضرة	غير دائم الخضرة		نمل	بعوض	ذباب	قرش	بلطي	هامور	بلبل	عصفور	حمام	كلب	بقرة	حصان	ولد	بنت	رجل	امرأة

٣ ـ علاقة الجزء بالكل :

أما علاقة الجزء بالكل فمثل علاقة اليد بالجسم ، والعجلة بالسيارة . والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال أو التضمن واضح . فاليد ليست نوعا من الجسم ، ولكنها جزء منه . بخلاف الإنسان الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءا منه .

والسؤال الآن : هل جزء الجزء يعد جزءا للكل ؟ أو بعبارة أخرى : هل تتعدى الجزئية فتنتقل من الجزء إلى الكل ؟ هناك رأي يقول بتعدي الجزئية ، ورأى يقول بعدم تعديها . والحق أن من الأمثلة ما يقبل التعدي ، ومنها ما لا يقبله . فنحن نقول إن كم هذا القميص بدون أسورة (أسورة ـ كم : علاقة جزئية) ، ويمكننا أن نقول إن القميص بدون أسورة (كم ـ قميص : علاقة جزئية أخرى) . ولكن في علاقة جزئية مثل : (مقبض ـ باب) ومثل (باب ـ منزل) لا يمكن تعدية هذه العلاقة ، لأننا نقول : هذا الباب بدون مقبض ، ولكن لا نقول : هذا المنزل بدون مقبض . ونقول : مقبض الباب، ولكن لا نقول : مقبض المنزل[2] .

---

(١) بتصرف عن Foundations ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، وانظر Semantics : Lyons ١/ ٢٩٥ .
(٢) Semantics : Lyons ١/ ٣١١ ، ٣١٢ .

ويمكن التمثيل للأول كذلك بعلاقات جزئية مثل (أظافر ـ أصابع) ، و(أصابع ـ يد) ، و(يد ـ جسم) . فمن الممكن أن نقول : أصابع محمد بدون أظافر ، وأن نقول : يد محمد بدون أظافر ، وأن نقول : محمد بدون أظافر .

٤ ـ التضاد :

هناك أنواع متعددة من التقابل ترد تحت ماسماه اللغويون بالتضاد :

أ ـ فهناك ما يسمى بالتضاد الحاد ، أو التضاد غير المتدرج ungradable أو nongradable مثل : ميت ـ حي ، ومتزوج ـ أعزب ، وذكر ـ أنثى . وهذه المتضادات تقسم عالم الكلام بحسم دون الاعتراف بدرجات أقل أو أكثر. ونفى أحد عضوي التقابل يعني الاعتراف بالآخر . فإذا قلت إن فلانا غير متزوج فهذا يعني الاعتراف بأنه أعزب . ولهذا لا يمكن وصف أمثال هذه المتضادات بأوصاف مثل : « جدا » أو « قليلا » أو « الى حد ما » .

وهذا النوع قريب من النقيض عند المناطقة ، ويتفق مع قولهم إن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، أو إنهما لا يمكن أن يصدقا معا ، أو يكذبا معا .

ب ـ وهناك ما يسمى بالتضاد المتدرج gradable ، ويمكن أن يقع بين نهايتين لمعيار متدرج أو بين أزواج من المتضادات الداخلية . وإنكار أحد عضوي التقابل لا يعني الاعتراف بالعضو الآخر . ويحمل هذا النوع نفس الاسم عند المناطقة (التضاد) ويصفونه بأن الحدين فيه لا يستنفدان كل عالم المقال ، ولذا فإنهما قد يكذبان معا ، بمعنى أن شيئا قد لا ينطبق عليه أحدهما ، إذ بينهما وسط . فقولنا : الحساء ليس ساخنا لا يعني الاعتراف بأنه بارد . وهذا النوع من التضاد نسبي ، فمثلا قولنا : « الحساء ساخن » يعني أنه ساخن بالنسبة لدرجة الحرارة المعينة للحساء ، أو للسوائل ككل ، أو للسوائل المقدمة مع وجبة. وهذا يختلف عن قولنا : « الماء ساخن » . وكذلك قولنا : الجو حار يختلف معناه إذا قيل في

لندن عنه في القاهرة عنه في الكويت . ويختلف معناه إذا قيل في الصيف عنه في الشتاء[1] .

ويمكن وضع التضاد المتدرج على مقياس متدرج يشمل الى جانب التضاد المتطرف أزواجا من التضادات الداخلية . فمثلا التضاد بين : « الجو حار » ، « والجو بارد » يمكن أن يوضع بينه في منطقة وسط عبارات مثل : الجو دافىء - الجو مائل للبرودة ، اللتين تمثلان تضادا داخليا[2] .

بل يمكن وضع مقياس للحرارة يتضمن تضادات متدرجة على النحو التالي : غال - حار - دافىء - معتدل - مائل للبرودة- بارد - قارس - متجمد . فالتضاد الخارجي أو المتطرف بين : غال ومتجمد . وهناك تضادات داخلية بين : حار وقارس ، وبين دافىء وبارد ، وبين معتدل ومائل للبرودة[3] .

حـ - وهناك نوع اسمه العكس converseness ، وهو علاقة بين أزواج من الكلمات مثل : باع - اشترى ، وزوج - زوجة .

فلو قلنا إن محمد باع منزلا لعلي فيعني هذا أن عليا اشترى منزلا من محمد . ولو قلنا : محمد زوج فاطمة ، فهذا يعني أن فاطمة زوجة محمد . ولو قلنا : محمد والد علي فإن هذا يعني أن عليا ولد محمد . . . وهكذا[4] .

ويطلق المناطقة على هذه العلاقة اسم التضايف. والمتضايفان عندهم هما اللذان لا يتصور أحدهما ، ولا يوجد بدون الآخر[5].

د - وذكر Lyons من التضاد نوعا سماه « التضاد الاتجاهي » directional opposition . ومثاله العلاقة بين كلمات مثل : أعلى - أسفل ، ويصل - يغادر ،

---

(١) السابق ١/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ؛ و Theory of Meaning ص ١٥ ؛ و Semantic Fields ص ٢٦ ؛ وبدوي : المنطق الصوري ص ٦٤ .

(٢) Lyons : Semantics ١/ ٢٨ ؛ و Componential Analysis ص ١٠٨ .

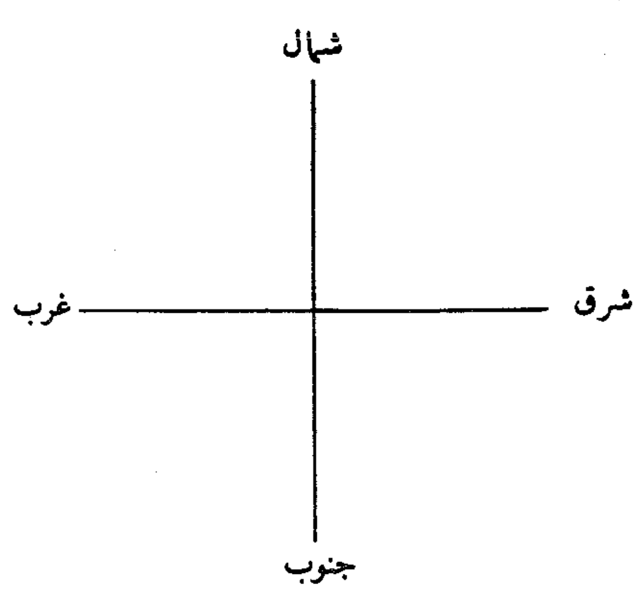
(٣) Lyons : Semantics ١/ ٢٨٩ .

(٤) السابق ١/ ٢٧٩ ؛ و Semantic Fields ص ٢٧ .

(٥) بدوي : المنطق الصوري ص ٦٦ .

ويأتي - يذهب . فكلها يجمعها حركة في أحد اتجاهين متضادين بالنسبة لمكان ما ، وإن كان الأول يمثل حركة في اتجاه رأسي ، والآخران يمثلان حركة في اتجاه أفقي .

هـ - كما ميز Lyons بين ما سماه التضادات العمودية orthogonal opposites والتضادات التقابلية أو الامتدادية antipodal opposites . فالأول مثل الشمال بالنسبة للشرق والغرب ، حيث يقع عموديا عليهما ، والثاني مثل الشمال بالنسبة للجنوب ، والشرق بالنسبة للغرب[1] ، كما يبدو من الرسم التالي :



وأكثر الأضداد الموجودة في كثير من اللغات غير مرتبطة اشتقاقياً مثل : حسن - سيء ، وجميل - قبيح ، وعال - منخفض . ولكن كذلك يوجد المرتبط اشتقاقياً مثل : والد - ولد ، وزوج - زوجة ، وأخ - أخت . .

• ومثال الأول من الإنجليزية : bad-good ، وugly-beautiful ، و. low-high ومثال الثاني : unmarried-married ، وinformal-formal .

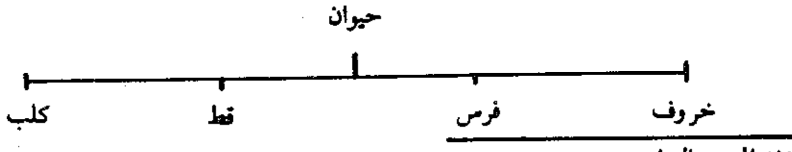
(١) ١/ ٢٨١ - ٢٨٣ .

ومن الممكن أن يجتمع النوعان كما في مثل : « متزوج » التي ضدها : « أعزب » ، أو « غير متزوج » و married التي ضدها unmarried أو single [1] .

ويرى Lyons أن شعور المتكلمين يتجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي ، والآخر ذا معنى سلبي . ولذا فالمتكلمون يميلون إلى اعتبار الأشياء الصغيرة « تفقد الضخامة » لا أن يعتبروا الأشياء الكبيرة « تفقد الصغر » . ونتيجة لهذا فإن الأشياء الصغيرة (أو ذات المعاني السلبية بعبارة أخرى) هي التي تتجه نحو التحديد ، أو نقطة الصفر ، بخلاف الأشياء الكبيرة (أو ذات المعاني الإيجابية بعبارة أخرى) . الشيء يمكن أن يكون صغيراً جداً أو قصيراً جداً أو قليلاً جداً ، ويتجه في تدرجه ناحية الصفر . . ولكن لا يوجد تحديد مقابل للضخامة أو الطول أو الكبر أو الاتساع[2] .

٥ ـ التنافر :

أما التنافر[3] فمرتبط كذلك بفكرة النفي مثل التضاد. ويتحقق داخل الحقل الدلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) ، لا يشتمل على (أ) . وبعبارة أخرى هو عدم التضمن من طرفين[4] ، وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس وقط وكلب في الشكل الآتي :



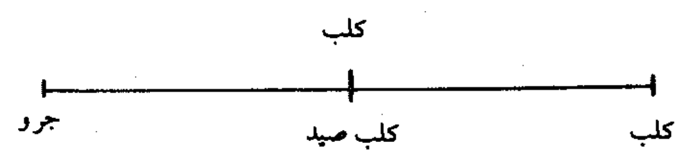
(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٢) Semantics ص ٢٧. ويلاحظ أن التضاد قد « يحيد » في بعض المواقع ، كما بين « ضيق » و « واسع » فإذا سألت : ما اتساع حجرتك فإن هذا لا يعني تسليمك بأنها واسعة ، فقد تكون ضيقة . وذلك بخلاف سؤالك عن مدى ضيقها فهذا تسليم منك بأنها ضيقة (Semantic Fields ص ٢٧) .

(٣) انظر : بدوي : المنطق ص ٦٦ .

(٤) أوكما قال بعضهم : تكون الكلمة متعارضة مع أخرى إذا كان إثبات شيء معين نفياً للأشياء الأخرى في المجموعة . ومثل لذلك بألفاظ القرابة. فإذا قلنا « محمد أخو علي » فمعنى ذلك أنه ليس أخته ، =

وكذلك أي كلمة يكون لفظ « كلب » أو « قط » أو « فرس » أو « خروف » كلمة غطاء لها تكون متنافرة مع الباقيات كما يبدو من الشكل الآتي[1] :



ومثل العلاقة بين الألوان (سوى الأسود والأبيض) ، كالعلاقة بين الأزرق والأصفر[2] .

ويدخل تحت التنافر ما يسمى بعلاقة الرتبة rank [3] مثل : ملازم - رائد - مقدم - عقيد - عميد - لواء . . فهذه الألفاظ متنافرة ؛ لأن القول : محمد رائد يعني أنه ليس مقدماً ولا . .

كما يدخل فيه ما يسمى بالمجموعات الدورية cyclical sets ، مثل الشهور والفصول وأيام الأسبوع . فكل عضو في المجموعة موضوع بين اثنين قبله وبعده . وليس هناك درجات أو رتب ، كما أنه ليس هناك بداية ونهاية . فيوم السبت قبله الجمعة ، وبعده الأحد . ويوم الجمعة قبله الخميس ، وبعده السبت ، وهكذا . .[4]

٦ - وكما أن تحليل الحقل المعجمي يتضمن بيان العلاقة بين الكلمات التي تتقابل بارا دجماتيا فإنه يجب أن يتضمن أيضاً بيان العلاقة بين الكلمات التي تنتمي إلى أنواع متعددة من الكلام أي تتقابل سنتجماتياً[5].

= ولا أباه ، ولا أمه . . ولكن « أب » مع (والدين) ليست متضاربة . (Theory of Meaning ص ١٥) .

(١) Semantic Fields ص ٢٤ .

(٢) بدوي : المنطق ص ٦٦ .

(٣) Semantic Fields ص ٢٩ .

(٤) Semantics: Lyons ١ / ٢٩٠ .

(٥) انظر Semantics: Lyons ١ / ٢٦١ ، و Semantic Fields ص ٢٢ ، ٣٠ . وانظر ما سبق تحت عنوان : مفهوم النظرية .

٥ ـ أنوع الحقول

يقسم Ullmann الحقول إلى أنوع ثلاثة هي :

١ ـ الحقول المحسوسة المتصلة ، ويمثلها نظام الألوان في اللغات . فمجموعة الألوان امتداد متصل يمكن تقسيمه بطرق مختلفة. وتختلف اللغات فعلاً في هذا التقسيم .

٢ ـ الحقول المحسوسة ذات العناصر المنفصلة ، ويمثلها نظام العلاقات الأسرية . فهو يحوي عناصر تنفصل واقعاً في العالم غير اللغوي . وهذه الحقول كسابقتها يمكن أن تصنف بطرق متنوعة بمعايير مختلفة .

٣ ـ الحقول التجريدية . ويمثلها ألفاظ الخصائص الفكرية . وهذا النوع من الحقول يعد أهم من الحقلين المحسوسين نظراً للأهمية الأساسية للغة في تشكيل التصورات التجريدية[١] .

وكما يعتقد Trier الحقول اللغوية ليست منفصلة ، ولكنها منضمة معاً لتشكل بدورها حقولاً أكبر . . وهكذا . . حتى تحصر المفردات كلها . ومن الممكن تبعاً لهذا أن نخصص حقلاً للحرف أو المهن ، وحقلاً للرياضة ، وحقلاً للتعلم . . ثم نجمع كل هذه الحقول تحت حقل واحد يشملها جميعها هو النشاطات الإنسانية .

ومثل هذه الحقول المجموعة في حقل أكبر ليست مانعة للتبادل مع الحقل العام ، وربما لم تمنع التبادل بين بعضها وبعض . ولكن هناك ما يمنع التبادل مثل حقل الحيوانات ، مع حقل المصنوعات . فإذا كان الشيء منتمياً إلى حقل الحيوانات فهو ليس منتمياً إلى حقل المصنوعات . والعكس صحيح كذلك[٢] .

---

(١) Meaning and Style ص ٢٧ ـ ٣١ .

(٢) Semantic Fields ص ١٨ .

٦ ـ معاجم الموضوعات في اللغة العربية

يلفت النظر ـ إلى حد كبير ـ الشبه الواضح بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة (في اللغة العربية) فكلاهما يقسم الأشياء إلى موضوعات ، وكلاهما يعالج الكلمات تحت كل موضوع ، وكلاهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي المتمثل في جمع الكلمات الخاصة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد .

ومن الموضوعات التي عالجها العرب في رسائل أو كتيبات مستقلة ـ وكانت كلها مأخوذة من أشياء موجودة في البيئة :

١ ـ كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي ، ولأبي حاتم السجستاني .

٢ ـ كتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني ، وللأصمعي ، ولأبي حاتم السجستاني .

٣ ـ كتاب الحيات والعقارب لأبي عبيدة .

٤ ـ كتاب الذباب لابن الأعرابي .

٥ ـ كتاب الجراد لأحمد بن حاتم ، ولأبي حاتم السجستاني ، وللأخفش الأصغر .

٦ ـ كتاب الإبل لمؤلفين كثيرين .

٧ ـ كتاب البئر لابن الأعرابي .

٨ ـ كتاب الخيل لمؤلفين كثيرين .

٩ ـ كتاب خلق الإنسان لمؤلفين كثيرين[1] .

---

(١) انظر المعجم العربي لحسين نصار ١ / ١٢٣ وما بعدها .

أما الكتب التي يمكن أن تسمى معاجم ، والتي جمعت موضوعات متعددة بين دفتيها فكثيرة منها :

١ ـ كتاب الصفات للنضر بن شميل .

٢ ـ كتاب الألفاظ لابن السكيت .

٣ ـ المنجد في اللغة لكراع .

٤ ـ الألفاظ الكتابية للهمذاني[1] .

٥ ـ المخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ) وهو أضخم ما وصلنا من معاجم الموضوعات . ويقع في سبعة عشر مجلداً تحوي كتباً متنوعة ، وتحت كل كتاب مجموعة من الأبواب الفرعية . وقد توجد تحت الأبواب الفرعية تقسيمات أخرى . . ومن أمثلة ذلك : كتاب خلق الإنسان ـ كتاب الغرائز ـ كتاب النساء ـ كتاب الغنم ـ كتاب الطعام ـ كتاب السلاح ـ كتاب الخيل ـ كتاب الإبل ـ كتاب الغنم ـ كتاب الوحوش ـ كتاب السباع ـ كتاب الحشرات ـ كتاب الطير ـ كتاب الأنواء ـ كتاب النخل . .

وتحت كتاب خلق الإنسان نجد : باب الحمل والولادة ـ أسماء ما يخرج مع الولد ـ الرضاع والفطام والغذاء . . . وتحت باب الفصاحة نجد : خفة الكلام وسرعته ـ ثقل اللسان ـ كثرة الكلام . . .[2]

ويكاد يستوفي ابن سيده معظم الموضوعات ، وإن لم يبد التناسق أو الترتيب بينها .

وإذا كان العرب قد بدءوا التفكير في هذا النوع من المعاجم في وقت مبكر جداً لا يتجاوز القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي قبل تفكير الأوروبيين فيه بعدة قرون ، فقد كان أظهر ما عاب العمل العربي ما يأتي :

(١) انظر تعريفا بها بحثنا : نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية ص ١٩ .
(٢) انظر المخصص الأجزاء ١ ـ ١٥ .

١ ـ عدم اتباع منهج معين في جمع الكلمات .

٢ ـ عدم المنطقية في تصنيف الموضوعات وتبويبها .

٣ ـ عدم الاهتمام ببيان العلاقات بين الكلمات في داخل الموضوع الواحد ، وذكر أوجه الخلاف والشبه بينها .

٤ ـ قصورها الواضح في حصر المفردات حتى بالنسبة للمعاجم المتأخرة منها .

وعلى الجانب الآخر كان أهم ما يميز المحاولات الأوروبية الحديثة :

١ ـ مجيئها في وقت تطورت فيه أبحاث اللغة ومناهجها ، واستعانت بأحدث الأجهزة التي تساعد في جمع المادة وتصنيفها .

٢ ـ ضم جهود العلماء والباحثين وتعاونهم في عمل المعجم وإنهاء عصر العمل الفردي بعد أن صارت معجمة اللغات فناً ينوء بحمله الفريق فضلاً عن المؤلف الفرد .

٣ ـ إقامة المعجم على أسس علمية منطقية ، سواء في التصنيف ، أو في تحديد أشكال العلاقات داخل الحقل المعجمي الواحد .

٤ ـ الاهتمام ببيان العلاقات الموجودة بين كلمات الحقل الواحد ، ووضع هذه العلاقات في صورة خصائص أو ملامح تمييزية تتلاقى وتتقابل في الحقل الواحد (انظر الفصل التالي : النظرية التحليلية) .

٥ ـ تعميم الدراسة ، وشمولها عدداً من اللغات في وقت واحد . ولذا كانت دراسة الحقول في أول أمرها دراسة مقارنة .

٧ ـ قيمة النظرية

لهذه النظرية أهمية تتمثل فيما يأتي :

١ ـ الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت

حقل معين وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها[1] ، ولهذا يقول مؤلفاً Foundations of Linguistics « المعاجم تضع كل فرد في المجموعة على حدة في مكانه الهجائي وتترك الرابطة بين المعاني المختلفة . أما المنهج التحليلي فيوضح العلاقات بينها»[2].

وإذا كان أقصى ما يحققه معجم تقليدي هو أن يصنف الكلمات في ترتيب هجائي ، ويسرد كل معاني الكلمة ، ويقوم بتحديد المعاني الأساسية والمعاني الفرعية فإن معجم المفاهيم يعالج « المجموعات المترابطة » من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معين . فمثلاً كلمة « كوب » يمكن دراستها مع كلمات مثل « فنجان » و« كوز » و« زهرية » و« كأس » و« إبريق » . . باعتبارها كلمات تدل على أنواع من الأوعية . وفي نفس الوقت يتبين أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة ، وهو ما يعجز عنه المعجم التقليدي[3] .

ويمكن كذلك التمثيل بفعل « القتل » الذي له امتدادات واسعة ، ويضم عديداً من الكلمات التي تختلف بحسب ما تشير إليه : (إنسان ـ حيوان ـ حشرة) . . وبحسب نوع القتل (بوحشية ـ بصورة جماعية . .)[4] .

فالفعل « اغتال » مثلاً يشير إلى أن المقتول شخص ذو قيمة سياسية ، والقاتل شخص ذو دافع سياسي . والفعل ذبح يستعمل مع الحيوان عادة . ويمكن استعماله مع الإنسان للإرشاد إلى أن الضحية قد عوملت بوحشية كالحيوان . كما أن لفظ « مذبحة » يشير إلى أن القتل كان جماعياً . والفعل « أعدم » يستعمل مع قتل العقاب القانوني أو القصاص .

٢ ـ أن تجميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات

---

(١) Semantic Fields ص ١ .

(٢) ص ٢٠٥ .

(٣) Semantic Fields ص ٧ ؛ و Semantics: Lyons ١ / ٢٩٩ .

(٤) Semantic Fields ص ١١٤ .

المعجمية[1] التي توجد داخل الحقل (أي عدم وجود الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء ما ، وتسمى هذه بالفجوة الوظيفية) ، كعدم وجود كلمة في الإنجليزية تتعلق بموت النبات في مقابل كلمة Corpse بالنسبة للإنسان ، وكلمة carcass بالنسبة للحيوان[2] . وكلمة must ليس لها ماض في اللغة الإنجليزية ، وتملأ هذه الفجوة باستخدام had to مثلاً[3] .

ولو أننا صنفنا الحيوانات بحسب الجنس والعمر لوجدنا اللغة العربية مثلاً تضع بالنسبة للإنسان الكلمات : رجل - امرأة ، ولد - بنت . ولكنها لا تفعل ذلك بالنسبة لكل الحيوانات . ولذا لو أعددنا قائمة بكل أمثلة الحيوانات فسنكتشف عدداً هائلاً من الفجوات في المفردات المعجمية ، لا في اللغة العربية وحدها ، بل في كل اللغات[4] .

٣ - أن هذا التحليل يمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة . كما يمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ ، مما يسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقة وانتقاء الملائم منها لغرضه[5] .

٤ - أن هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجمعي تركيبي ينفي عنها التسيب المزعوم .

٥ - أن تطبيق هذه النظرية كشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها . كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص .

٦ - من المشكلات التقليدية في المعاجم التمييز بين الهومونيمي والبوليزيمي (انظر

---

(١) قد تكون الفجوات كذلك فونولوجية أو اشتقاقية أو مورفولوجية أو نحوية (Semantic Fields ص ٩٥ ، ٩٦) .

(٢) Semantic Fields ص ٩٧ ، ١١٠ .

(٣) السابق ص ٩٦ .

(٤) Componential ص ٩٨ .

(٥) Semantic Fields ص ٢٠٢ .

فصل المشترك اللفظي في الباب الثالث) . والنوع الأول يقسم إلى مداخل بعدد كلماته ، أما النوع الثاني فيوضع في مدخل واحد لأنه كلمة واحدة في الحقيقة .

وقد حلت نظرية الحقول المشكلة . لأن الكلمات المنتمية إلى حقول دلالية مختلفة سوف تعالج على أنها كلمات منفصلة (هومونيمي) . فكلمة orange (برتقالي) تخص حقل الألوان ، وكلمة orange (برتقال) تخص حقل الفاكهة[1] .

٧ ـ أن دراسة معاني الكلمات على هذا الأساس تعد في نفس الوقت دراسة لنظام التصورات ، وللحضارة المادية والروحية السائدة ، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية . كما أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في نفس الوقت دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة[2] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) New trends ص ١٣٠ ، ١٣٦ .

الفصل الخامس

النظرية التحليلية[1]

يأخذ الاتجاه التحليلي في دراسة معاني الكلمات مستويات متدرجة على النحو التالي :

١ ـ تحليل كلمات كل حقل دلالي ، وبيان العلاقات بين معانيها .

٢ ـ تحليل كلمات المشترك اللفظي إلى مكوناتها أو معانيها المتعددة .

٣ ـ تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة .

وقد تناولنا النوع الأول من التحليل في الفصل السابق ، وبقي النوعان الثاني والثالث ، وهما موضوع هذا الفصل .

١ ـ تحليل كلمات المشترك اللفظي

قدم Jerrold Katz و Jerry Fodor لأول مرة نظريتهما في تحديد دلالات الكلمات في مقالهما المشهور : The Structure of a Semantic Theory[2]

المنشور عام ١٩٦٣ ، ثم أدخلت عليها تعديلات متنوعة فيما بعد .

وتقوم نظريتهما في أساسها على تشذير كل معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأولية مرتبة بطريقة تسمح لها بأن تتقدم من العام إلى الخاص[3] .

(١) نشر هذا الفصل تحت عنوان : « من الاتجاهات الحديثة في دراسة المعنى : تحليل الكلمات إلى مكونات وعناصر » في المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ مج ١ عدد ٣ (جامعة الكويت) .

(٢) Language ـ المجلد ٣٩ ـ العدد ٢ .

(٣) Meaning and Style ص ٣٥ .

وكل معنى للكلمة يحدد عن طريق تتبع الخط من « المحدد النحوي » إلى « المحدد الدلالي » إلى « المميز » . ويظل المرء متجهاً نحو التشذير حتى يحقق القدر الضروري من التوصيف والشرح ، وحينئذٍ يتوقف حيث لا تبقى هناك فائدة في إضافة أي محددات أخرى ، ما دامت لا تلقي ضوءاً على المعنى .

وقد طبقا نظريتهما على كلمة bachelor التي تعطيها المعاجم المعاني الآتية :

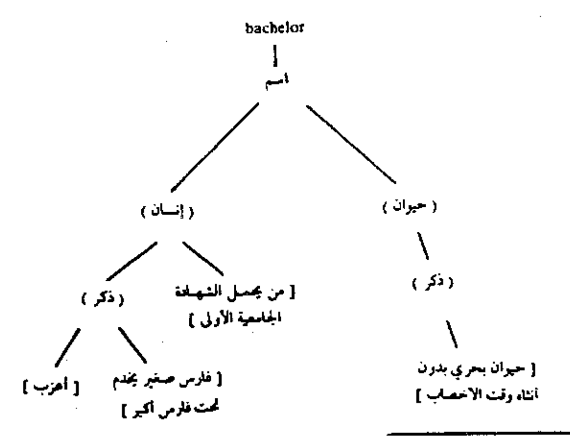
١ ـ فارس صغير يخدم تحت فارس آخر .

٢ ـ حامل الشهادة الجامعية الأولى .

٣ ـ الرجل الأعزب[1] .

٤ ـ حيوان بحري معين بدون أنثاه خلال فترة الإخصاب .

ولكن هذا التعداد للمعاني لا يقدم نظرية دلالية عامة ، والشرح فيه غير مترابط ولذا عدلا طريقة عرض هذه المعلومات ، وقدماها في الرسم الشجري التالي[2] :



(١) على الرغم من تضعيف المعاجم العربية استخدام كلمة أعزب وتفضيلها العَزَب والمعزابة والعازب عليها فقد فضلت استخدام هذه الكلمة على الكلمتين الأولين لعدم شيوعهما وعلى الثالثة لكثرة شيوعها على ألسنة العوام .

(٢) ص ١٨٦ شكل ٤ من مقالتهما السابق الإشارة إليها .

وقد ميزا هنا بين ثلاثة أنواع من العناصر أو المكونات[1] :

(١) المحـــدد النحـــوي grammatical marker[2] (وهـــو ما كان خارج الأقواس - كلمة اسم هنا) . وقد اعتبراه عنصراً غير أساسي .

(٢) المحدد الـدلالي Semantic marker[3] (وهـو ما كان موضوعـاً بـين قوسين هلالين) . وهو عنصر يمكن أن يوجد في أماكن أخرى من المعجم ؛ لأنه عنصر عام يشترك بين لكسيات[4] تنتمي إلى حقول معجمية مختلفة .

(٣) المميز distinguisher[5] (وهو ما كان موضوعاً بين قوسين معقوفين) وهو عنصر خاص بمعنى معين ، ويقع دائماً في آخر السلسلة ، ولا يوجد في أماكن أخرى من المعجم[6] (إلا في حالة الترادف فقط) .

ويلاحظ أنه لا يمكن لأحد معاني الكلمة أن يملك نفس العناصر أو المكونات التي يملكها معنى آخر لها .

وإذا أخذنا كلمة Light كمثال آخر نجد الرسم الشجري يظهر تفريعاً لها بالنسبة للمحدد الدلالي : (لون) - (وزن) . ومثل هذا التفريع مطلوب لإزالة

---

(١) السابق ص ١٨٥ .

(٢) وهو الذي يحدد قسم الكلام الذي ينتمي إليه اللفظ ، وقد سماه بعضهم : Syntactic Marker (Meaning and Style ص ٣٥) .

(٣) سماه بعضهم classeme (Linguistics and Semantics ص ١٦٠)

(٤) Lexeme مصطلح يطلق على الوحدة المعجمية الأساسية ، في مقابل الوحدة الصرفية ، والوحدة الدلالية .

(٥) سماه بعضهم seme (السابق والصفحة) ، وبعضهم minimal distinctive feature (Lyons: Semantics ١ / ٣٢٧) .

(٦) أطلق Lyons على الاثنين معاً : Semantic components (السابق ١ / ٣٢٦)

الغموض في جملة مثل :

The stuff is light

أو مثل :

He wears a light suit in summer

(فاتح اللون ـ خفيف الوزن) .

وإذا كانت جملة مثل :

The stuff is light enough to carry

لا توصف بالغموض فهذا ناتج من أن التعبير enough to carry قد اختار واحداً من الخطوط التي تسير فيها كلمة light في الرسم الشجري واستبعد الأخريات[1] .

ومثل هذا يقال عن جملة مثل :

The bill is large

حيث تعني كلمة bill فيها الكمبيالة أو كشف الحساب . والغموض في كلمة large التي قد تعني كبر الحجم ، وقد تعني بهاظة ما تحويه من مطالبة مالية . ولكن حين نقول :

The bill is large but need not be paid

فقد أخذنا واحداً من الخطوط التي تسير فيها كلمة large في الرسم الشجري واستبعدنا الأخريات .

ومن الممكن أن تطبق نظرية المحددات والمميزات على الوحدات المعجمية

---

(١) Katz and Fodor ص ١٨٨ .

المختلفة كذلك[1] . فالمحدد الدلالي هو الذي يميز بين عضوين يتقابلان بالجنس داخل ثنائي معين مثل :

بنت ـ ولد
عانس ـ أعزب
امرأة ـ رجل
عمة ـ عم
أخت ـ أخ
بقرة ـ ثور

فكلمة « ولد » تملك مثلاً المحددات الدلالية : اسم ـ حي ـ إنسان ـ ذكر ـ صغير السن . أما كلمة « بنت » فتحوي نفس العناصر فيما عدا أنها سوف تأخذ « أنثى » مكان « ذكر » . وكذلك فإن كل ثنائي آخر من هذه الكلمات يملك خطا متطابقاً مع الآخر فيما عدا أن واحداً يملك المحدد الدلالي (ذكر) والآخر المحدد الدلالي (أنثى)[2] .

كما أن من الممكن أن يمتد استخدام هذه النظرية ليشمل تحليل الكلمة وهي مستخدمة في جملة تامة ، وحينئذٍ يضاف إلى المكونات الدلالية السابقة عنصر « الوظيفة النحوية » ففي جملة : شغل الخريج وظيفة كذا . . . يضاف إلى المكونات الأصلية المكون الإضافي وهو « الفاعلية »[3] .

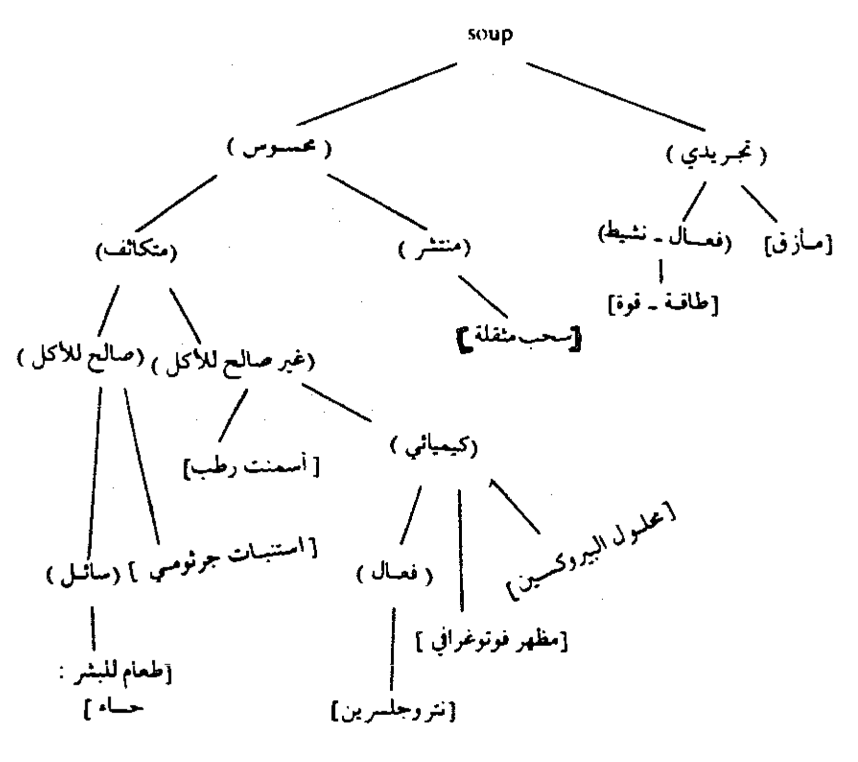
وإذا كان Katz و Fodor لم يعطيا المحدد النحوي قيمة تذكر فقد أعطاه غيرهما هذه القيمة ، لأن المحدد النحوي هو الذي يميز بين معنيين لكلمة واحدة تستعمل مرة اسما ومرة فعلاً مثل كلمة play التي تعني مثل أو لعب دوراً على المسرح ، كما تعني الرواية أو التمثيلية نفسها[4] .

---

(١) انظر the Scope ص ١٣ .
(٢) Katz and Fodor ص ١٨٧ .
(٣) Theory of Meaning ص ١٦ .
(٤) Semantic Fields ص ٤٩ .

ولا تقتصر نظرية « المحددات الدلالية » على رسم المكونات لكل معنى بل هي تظهر كذلك كيف تضاف المحددات وتسقط من أجل تغيير معاني الكلمات . أي أنها تتغلغل إلى مشكلة المجاز في الدلالة . وإذا كان مطمح العلماء أن يستفيدوا بهذه النظرية في التنبؤ بالتغيرات الدلالية كما هو الحال بالنسبة لنظرية الملامح التمييزية التي تفسر التغيرات الفونولوجية على أساس من تغير ملمح في وقت ما ـ فإن مطلبهم المتواضع الذي حققوه فعلاً هو ربط المعاني المتعددة للكلمة على أساس بيان إمكانية اشتقاق واحد منها من الآخر . ولا شك أن المرء يحب أن يرى المعاني الاشتقاقية معروضة أمامه ، وهي ترتبط بطرق متصلة .

ومن أشهر الكلمات التي طبقت عليها الفكرة كلمة soup الإنجليزية . وقد قدم لها Bolinger [1] الرسم التالي :



(١) The Atomization ص ٥٦٦ .

ووضع معاني الكلمات في هذا الرسم الشجري يجعل العلاقات بينها واضحة . فالسحب يمكن ربطها بكثافة الحساء . والكيميائيات يمكن ربطها أو مقارنتها في درجة تماسكها وطبيعتها ، وفي إعدادها وتكوينها من خليط متنوع - يمكن ربطها أو مقارنتها كذلك بحساء الطاهي . والاستنبات الجرثومي يمكن كذلك إيجاد علاقة بينه وبين الحساء تتمثل في درجة تماسكه ، وفي صلاحيته للأكل . وحتى المأزق - الذي قد يبدو ألا علاقة بينه وبين الحساء - يمكن إيضاح علاقته عن طريق تصور الرسم المضروب به المثل للمبشر في وعاء الطبخ لدى آكلي لحوم البشر . والطاقة أو القوة يمكن ربطها بالنتروجلسرين (لاحظ أن الأخير شديد التفجر) . وإطلاق لفظ soup على السحب المثقلة كان بقصد تصوير كثافتها رغم أنها منتشرة في الواقع[1] .

****

وقد لاقت نظرية Katz و Fodor بعض النقد ، وبخاصة من النواحي الآتية :

١ - تمييزها - دون حاجة - بين المحدد الدلالي والمميز[2] .

٢ - عدد المحددات الدلالية وترتيبها يبدو تحكميا .

٣ - لا تميز النظرية بين الهومونيمي والبوليزمي[3] .

ولكنها من ناحية أخرى وجدت من دافع عنها وأثنى عليها :

١ - فقد وصفت بأنها أحسن تجربة لتحليل المعنى إلى مكونات صغرى[4] .

٢ - وذكر Ullmann عنها أنها لعبت دورا هاما في تطوير السيمانتيك التركيبي ، وأنها أول نظرية دلالية تفصيلية واضحة تستخدم في أمريكا لفترة طويلة . وقد

---

(١) السابق ص ٥٦٧ .

(٢) Semantic Fields ص ٤٩ .

(٣) Meaning and Style ص ٣٥ ، ٣٦ . وانظر The Scope ص ١٣ حاشية ١٠

(٤) Meaning and Style ص ٣٤ .

ألقت أضـواء من الاهتمام على المكونـات الـدلالية في علـم النحـو التـوليدي التحويلي ، كما أنها أبرزت مناقشـة حية طموحـة حول عدد من المشـكلات الأساسية[1] .

٣ ـ واعتبراهـا Berry - Rogghe القـيم للأجنـاس النحـوية (اسـم ـ فعـل ـ صفـة . . .) وكما نحتـاج الى الأجنـاس النحـوية لشرح العلاقـات داخـل الجملة ، فنحـن في حاجـة الى هذه العنـاصر أو المكونـات لشرح العلاقـات الدلالية[2] .

٣ ـ تحليل المعنى إلى عناصر تكوينية

يبدأ القيام بهذا التحليل بعد أن ينتهي تحديد الحقـول الـدلالية ، وحشـد الكلمات داخل كل حقل . فلكي يتبين معنى كل كلمة ، وعلاقة كل منها بالأخرى يقوم الباحث باستخلاص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية ، وتميز بين أفراده من ناحية أخرى .

وقد اعتبر بعضهم التحليل إلى عناصر امتدادا لنظرية الحقـول ، ومحاولـة لوضع النظرية على طريق أكثر ثباتا[3] . ومع ذلك فمن الممكن قبول نظرية الحقول دون التحليل العناصري والعكس. فمن الممكن القول إن مجموعات صغيرة معينة من الكلمات تشكل حقلا ، وتملك علاقات متنوعة بينها ، دون أن نسير بالتحليل إلى مرحلة تحديد العناصر التكوينية لكل كلمة . كذلك من الممكن أن يقوم المرء بتحليل الكلمة إلى عناصرها التكوينية دون الاعتراف بفكرة الحقل المعجمي ، أو بأي دور تلعبه[4] ، وذلك بأن يقدم معجما مرتبا ألفبائيا ، ويعرف كل لفظ فيه على

---

(١) السابق ص ٣٦

(٢) The Scope ص ١٣ .

(٣) Semantics : Lyons ١/ ٣٢٦ .

(٤) السابق والصفحة .

أساس مكوناته أو ملامحه التمييزية باعتبار معنى الكلمة هو مجموع عناصرها الدلالية ذات العلاقة المتبادلة[1] .

ويستطيع الباحث أن يعقد صلة بين نظرية الحقول ، واستخدام التحليل العناصري من ناحية ، ونظرية الفونيم - في علم الأصوات - والقيام بتحليل كل فونيم الى عناصره التكوينية أو ملامحه التمييزية من ناحية أخرى[2] . فتقسيم الموضوعات أو الأشياء الى حقول أو مجموعات يشبه تصنيف أصوات اللغة إلى فونيمات أو وحدات أو مجموعات صوتية . ثم بعد ذلك من الممكن الاهتمام ببيان أفراد كل فونيم - وهذا اتجاه بعضهم ، ومن الممكن الاهتمام ببيان الملامح التمييزية distinctive features التي توجد في كل فونيم ، وفي كل فرد من أفراده . وهذا ما يمكن عمله في علم الدلالة ، بمعنى الاكتفاء بحصر الأفراد في كل مجموعة ، أو المضيّ قدما لتحليل كل فرد إلى عناصره التكوينية[3] .

الخطوات الإجرائية لتحديد العناصر التكوينية :

١ - أول خطوة يتخذها الباحث هي استخلاص مجموعة من المعاني(بصورة مبدئية) تبدو الصلة القوية بينها بحيث تشكل مجالا دلاليا خاصا نتيجة تقاسمها عناصر تكوينية مشتركة .

---

(١) Learning about Linguistics ص ١٢٥ .

(٢) انظر في ذلك Meaning and Style ص ٣٧ ، و Learning about Linguistics ص ١٢٥ . وقد كان Hjelmslev و Jabkobson من أقدم من نقلوا التحليل الفونولوجي إلى التحليل الدلالي . وقد صرحا بأن القواعد التي قدمها Trubetzkoy للفونولوجي يمكن بل ويجب أن تمتد الى كل من النحو والسيمانتيك (Semantics : Lyons ١ / ٣١٨)

(٣) يتساءل بعضهم عما إذا كانت ملامح تمييز المحتوي أو العناصر التكوينية تتصف بالعالمية . وإذا كان الأمر كذلك فهل هناك قوائم محددة للملامح من هذا النوع تطبق على كل اللغات ، كما هو بالنسبة للملامح التمييزية في الفونولوجي التي وضعها R. Jakobson و M.Halle (انظر Linguistics and Semantics ص ١٦٠) . و قد رد Bierwisch على السؤال بالايجاب وقدم (عام ١٩٦٧) قائمة بالملامح لأسماء وصفات معينة . وعلى الرغم من أن أمثلته كانت مأخوذة عن الألمانية فقد ادعى أن تجمعات الملامح يمكن أن تكون ملائمة لكل لغات العالم (Semantic Fields ص ١٢٣) .

ومثال ذلك كلمات : أب ـ أم ـ ابن ـ بنت ـ أخت ـ أخ ـ عم . . . فكلها تتقاسم قابلية التطبيق على الكائن البشري ، وتتعلق بالشخص الذي يتصل بآخر إما عن طريق الدم أو المصاهرة .

٢ ـ ويعقب ذلك تقرير الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تستعمل للتمييز ، وهي بالنسبة للكلمات السابقة ستكون ملامح : الجنس والجيل والانحدار المباشر وقرابة الدم أو المصاهرة .

٣ ـ ويلي ذلك تحديد المكونات التشخيصية لكل معنى على حدة حتى نقدر على القول بأن معنى أب مثلا يتميز بتملكه للملامح أو المكونات كذا وكذا . . .

٤ ـ وأخيرا توضع تلك الملامح في شكل شجري كما سبق بالنسبة لكلمتي bachelor و soup ، أو في شكل جدول على النحو التالي[١] :

المكونات التشخيصية	أب	أم	عم	عمة	أخ	أخت	ابن	ابنة	ابن العم	زوجة	حم
الجنس: ذكر = ذ، أنثى = ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ	ث	ذ
الجيل: +١، ـ ١، نفسه	+١	+١	+١	+١	نفسه	نفسه	-١	-١	نفسه	نفسه	+١
الاتصال: مباشر=م، +١، +٢	م	م	+١	+١	+١	+١	م	م	+٢	م	+١
القرابة: دم = د، مصاهرة =ص	د	د	د	د	د	د	د	د	د	ص	ص

وإذا أردنا أن نحدد الملامح التكوينية للمعنى الرئيس لكلمة « أب » مثلاً فإن ذلك يحتاج إلى مباينة هذا المعنى الرئيس لأب لمعاني الكلمات الأخرى الدالة

(١) بتصرف عن Componential ص ٥٦ ، ٥٧ .

على القرابة والواقعة في نفس المجال الدلالي .

فمعنى « أب » يتباين مع « أم » في أن « أب » = ذكر « وأم » = أنثى . و « أب » يتباين مع « ابن » في الإشارة إلى جيل مختلف (رغم اتحاد الجنس) ، ومع « جد » في الإشارة إلى جيل مختلف (رغم اتحاد الجنس) ، و « أب » يتباين مع « عم » (مع أنه يشاركه الجنس والجيل) في أن الأب ذو اتصال قرابي مباشر في حين أن العم يتصل بخطوة . ويمكننا أن نعرف الأب على هذا بأنه مجموع خصائص أو مكونات تشخيصية أربعة هي :

ذكر (من ناحية الجنس) .

جيل تال (فوق الذات) .

ذو خط اتصالي مباشر (مع الذات) .

يتصل بقرابة الدم (من ناحية نوع القرابة)[١] .

ويلاحظ أننا نتكتفي فقط في بيان المكونات بما يعد تشخيصياً أو أساسياً ، تاركين المكونات أو الملامح الثانوية supplementary مثل العناية والعطف والحب وتحمل المسئولية[٢] . . . وفي هذا يقول Bloomfield : « يجب أن نميز بين الملامح غير التمييزية non-distinctive للشيء مثل الحجم والشكل واللون لتفاحة بعينها ، والملامح التمييزية distinctive المشتركة بين كل الأشياء التي تستدعي نطق الصيغة اللغوية »[٣] ، وهي تلك الملامح التمييزية التي تشكل المعنى أو تعطي المعلومات عن هذا الاسم .

كذلك يمكن وضع الملامح في شكل تقابلات ثنائية تتحقق بالزائد أو الناقص على النحو التالي :

---

(١) بتصرف عن Componential ص ٣٣ .
(٢) كما في قولنا : إنه معه مثل الأب مع ابنه . فهنا تصبح الملامح الثانوية مكونات تشخيصية .
(٣) Meaning and Style ص ٧ .

	ذكر + أو -	كائن بشري + أو -	بالغ + أو -
رجل	+	+	+
امرأة	-	+	+
طفل	+ أو -	+	-
كلب	+ أو -	-	+ أو -
كلبة	-	-	+ أو -
جرو	+ أو -	-	-

فهذا الجدول يظهر ثلاثة أبعاد للمعنى هي الجنس والبلوغ والبشرية .

ويمكن وضع الأمر في صورة تجمعات من هذه الملامح على النحو التالي :

رجل = + ذكر + كائن بشري + بالغ

امرأة = - ذكر + كائن بشري + بالغ

طفل = + أو - ذكر + كائن بشري - بالغ

جرو = + أو - ذكر - كائن بشري - بالغ[1]

كذلك يمكن عمل الجدول الآتي بالنسبة لقطع الأثاث المستعملة للجلوس[2] :

	للجلوس عليه	بأرجل	لشخص	بمسند	بأذرع
كنبة	+	+	-	+	+
فوتي	+	+	+	+	+
كرسي	+	+	+	+	-
بنش	+	+	-	+ أو -	-

(١) بتصرف عن Semantics: Leech ص ٩٦ .

(٢) Meaning and Style ص ٣٨ .

وأصحاب فكرة الثنائية يرون أن المعنى ليس شيئاً في نفسه ، وإنما هو مجموعة من العلاقات التقابلية . ولا مجال لتحديد معنى بدون اعتبار للمقارنات والتقابلات مع معان أخرى داخل نفس المنطقة الدلالية[1] .

وفائدة هذه الفكرة - إلى جانب ما سبق - أنها تظهر الحقيقة أن كلا الملمحين (على سبيل المثال : + ذكر مع - ذكر) ينتمي إلى نفس النظام[2] ، كما تظهر العلاقات الثنائية بين أفراد الثنائي[3] .

وقد نحتاج أحياناً إلى علاقات ثلاثية بدلاً من الثنائية فتكون العلاقات مثلاً : + ذكر ، - ذكر و ± ذكر . والأخير يعني أن الجنس قد يكون : + ذكر ، أو - ذكر . فكلمة فرس مثلاً تطلق على الذكر وعلى الأنثى ، ولذا يرمز لها بالرمزين ± ذكر ليدلا على أن الجنس قد يكون + ذكر ، أو - ذكر[4] .

تطبيقات للنظرية :

هناك مجالات كثيرة يمكن استخدام النظرية التحليلية فيها ، كما أن هناك مشكلات يمكن دراستها على ضوء هذه النظرية . ومن ذلك :

١ - المجاز : إن معنى الكلمة طبقاً للنظرية التحليلية هو « طاقم الملامح أو الخصائص التمييزية » . وكلما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده ، والعكس صحيح كذلك . وعلى هذا يمكن تضييق المعنى وتوسيعه عن طريق إضافة ملامح أو حذف ملامح . ولا شك أن تضييق المعنى أو توسيعه يعد ضرباً من المجاز .

ومن الممكن إيضاح هذه الفكرة بالأمثلة الآتية :

---

(١) Componential ص ١٥٢ .

(٢) Semantic Fields ص ٦٠ .

(٣) Semantics: Lyons ١ / ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٤) Semantics: Lyons ١ / ٣٢٣ .

وقد استخدم Lehrer (Semantic Fields) الرمز * للإشارة إلى أن العنصر غير ملائم ، والفراغ للإشارة إلى أن العنصر ليس جزءاً من المعنى .

أ ـ كلمة صحيفة يتضمن تعريفها الملامح ، أو الخصائص التمييزية الآتية : الطبع على ورق ، نقل الأخبار ، الصدور بانتظام . . . فإذا اعتبرنا فقط نقلها الأخبار بانتظام وأسقطنا الملمح الأول جاز قولنا « صحيفة الهواء » . وعلى هذا فإسقاط أحد الملامح خلق نوعاً من المجاز علاقته العموم والخصوص .

ومثل هذا يقال عن « مسرح الهواء » التي تبدو غير منطقية عند من يتصور المسرح بناء . أما من يكتفي بمجرد « التمثيل » ويسقط البناء ، فمهوم المسرح أكثر عمومية .

ب ـ الفعل « يقطع » يعني فعل الكسر أو الشق لشيء متصل (مثل خيط) بشيء حاد . فإذا قلنا « قطع الخيط » كان المعنى حقيقياً ، وإذا قلنا « قطع كلامه كان مجازياً .

حـ ـ الفعل « يجري» يعني حركة عن طريق نقل الأرجل بسرعة . فإذا ألغينا اعتبار الأرجل صح القول : « جرى القطار » أو « جرى الماء » . بل إنه يقال في الإنجليزية : running nose .

د ـ كما يمكن تلمس المجاز في الكلمات التي تنقل فيها بعض الملامح الثانوية من جانب الإغفال إلى جانب الاهتمام ، كما في قولك : « فلان يهودي » (وهو مسلم أو مسيحي) وقولك « العم والد » . ففي كلا المثالين نقل ملمح البخل والمكر والخديعة (مع اليهودي) ، وملمح العطف والحنان (مع الوالد) من باب الملامح الثانوية إلى الملامح الأساسية .

وقد يشيع الاستعمال المجازي حتى لا نكاد نفطن إليه فنظنه حقيقة كما في : جرى القطار ـ جرى الماء ـ تحيته كانت باردة (قارن هذا بقولك: الشراب بارد) ـ البرلمان كله غير موافق (قارنه بقولك : بنى البرلمان عام ١٩٧٠)[١] .

٢ ـ **الحقول الدلالية** : استخدم اللغويون النظرية التحليلية بنجاح في

---

(١) انظر Semantics: Rapoport ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

دراسة كثير من الحقول أو المجالات الدلالية . وقد اختار Lehrer [1] مجالي الطهي والأصوات لتطبيق هذه النظرية . وسنقتصر نحن على تلخيص ما قاله خاصاً بألفاظ الطهي وأواني الطبخ المرتبطة بها . وتشمل ألفاظ الطهي التي تناولها الكلمات :

cook وهي لفظ عام .

bake وهي لفظ عام كما تعني الخبز في فرن .

boil وهي رغم عمومها ، فإنها ترتبط بالماء .

roast، fry، broil، grill، steam: يجمعها جميعاً غياب الماء معها . وإن كانت كلمة fry ترتبط بوجود السمن أو الزيت و grill بالشواء في شواية مفتوحة ، و broil بالطبخ مباشرة تحت أو فوق وحدة حرارية أو نار مفتوحة . (الأخيرة عند بعضهم فقط)

simmer وترتبط بالطبخ في الماء دون درجة الغليان (تختلف عن boil في هذا) .

stew وترتبط بطهي الطعام ببطء لفترة طويلة يتحول معها إلى صفة النعومة .

poach وتعني طهي الطعام ببطء في ماء وبهدوء يحفظ شكله .

braise وتعني شيّ الطعام أولاً حتى يصير بنّياً ثم يطبخ ببطء في إناء محكم الغطاء ، ومع ماء قليل .

sauté طهي سريع مع قدر ضئيل من الدهن .

French-fry، deep-fry: مترادفان ويقتضيان كمية كبيرة من الدهن تغطي الشيء المطبوخ .

steam الطهي على البخار .

barbecue طهي طعام على فحم متقد (وطرق أخرى) .

(1) Semantic Fields ص ٣٠ وما بعدها .

إلى جانب الفاظ هامشية مثل : parboil ، وscallop ، وكلمات مركبة مثل : steam-bake ، وpan-fry ، وoven-fry . . .

وقد لاحظ lehrer أن العناصر الآتية ضرورية لتمييز كلمات الطهي الواحدة من الأخرى :

١ - استعمال الماء (ويدخل في ذلك السوائل المشابهة كالحساء واللبن . .) .

٢ - استعمال الزيت (ويدخل في ذلك كل المواد الدهنية) .

٣ - مقدار ماء الطبخ المستعمل .

٤ - استخدام بخار الماء بدلاً من استخدام الماء .

٥ - كيفية إجراء الطبخ (بلطف واعتدال - بقوة وشدة . .)

٦ - مدة الطبخ (طويلة أو قصيرة - بسرعة أو ببطء . .)

٧ - نوع مصدر الحرارة .

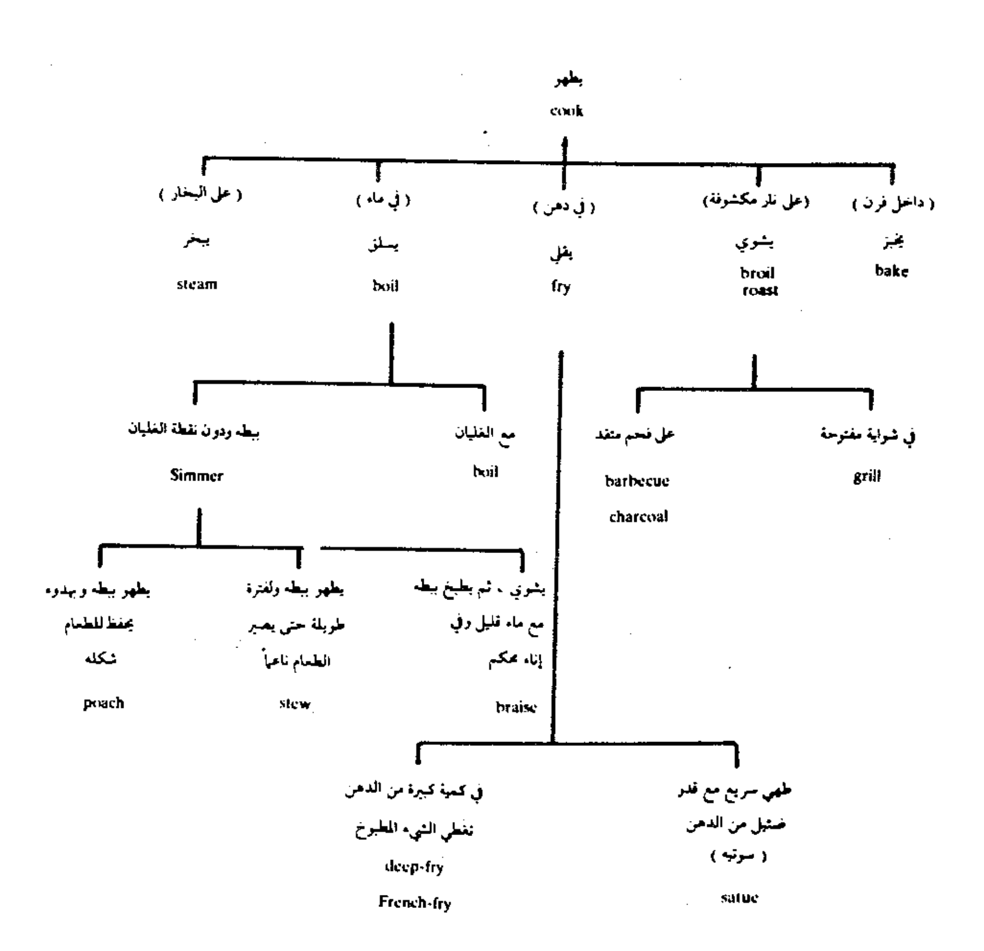
٨ - وعاء الطبخ الخاص المستعمل في الطبخ .

٩ - الهدف الخاص (المحافظة على الشكل - تنعيم الطعام . .)

ويمكن تقديم كلمات الطبخ الأساسية في الرسم التفريعي التالي[١] :

---

(١) بتصرف كبير عن ص ٣١ . وينبغي ملاحظة أن بعض الكلمات يحمل أكثر من معنى ، كما أن بعضها يختلف مدلوله باختلاف الموطن (أمريكا - بريطانيا) .


يطهو
cook
(داخل فرن)
يخبز
bake
(على نار مكشوفة)
يشوي
broil
roast
(في دهن)
يقلي
fry
(في ماء)
يسلق
boil
(على البخار)
يبخر
steam
في شواية مفتوحة
grill
على فحم متقد
barbecue
charcoal
مع الغليان
boil
ببطء ودون نقطة الغليان
Simmer
يشوي ، ثم يطبخ ببطء
مع ماء قليل وفي
إناء محكم
braise
يطهو ببطء ولفترة
طويلة حتى يصير
الطعام ناعماً
stew
يطهو ببطء و بهدوء
يحفظ للطعام
شكله
poach
طهي سريع مع قدر
ضئيل من الدهن
(سوتيه)
satue
في كمية كبيرة من الدهن
تغطي الشيء المطبوخ
deep-fry
French-fry

كما يمكن تحديد الملامح التمييزية الملائمة لكلمات الطبخ وتقديمها في الجدول الآتي[1] بالنسبة لثماني كلمات عربية وقع عليها الاختيار . مع ملاحظة ما يأتي :

* هذا الرمز يعني أن العنصر غير ملائم .

+ هذا الرمز يعني وجود العنصر .

– هذا الرمز يعني غياب العنصر .

. . . هذا الرمز يعني أن مثل هذه المعلومات ليست جزءاً من المعنى أي ليست جزءاً من تعريف الكلمة .

	ماء	زيت أو دهن	بخار	مقدار السائل	نوع مصدر الحرارة	عملية الطبخ	إناء خاص	هدف إضافي خاص	سرعة الطبخ
خَبْز	–	–	*	*	متصل بمصدر الحرارة	*	فرن	. . .	. . .
قِلاء	–	+	*	. . .	. . .	. . .	مقلاة	. . .	. . .
شيّ	–	–	*	*	جسم متوقد	*	. . .	. . .	. . .

(١) بتصرف كبير واختصار عن ص ٦٣ .

وفي دراسة أخرى لألفاظ الأوعية قدم المؤلف العناصر التكوينية لكلمات مثل : قِدْر ـ زجاجة ـ إبريق ـ مزادة ـ دورق ـ قارورة ـ جرة ـ فنجان ـ كوب ـ زهرية ـ حوض ـ علبة ـ دلو ـ تنك ـ سلطانية . . وبين أن اللغات كثيراً ما تعجز عن التعبير عن الشكل المعين بلفظ واحد مما يضطر المتكلم إلى استخدام عبارة وصفية طويلة أو استخدام أقرب كلمة في المجال الدلالي أو استخدام كلمة عامة . (انظر ص ٨٥ ـ ٨٨) .

سوتيه	-	+	•	قليل	...	...	...	...	سريع
قلاء عميق	-	+	•	كثير	...	...	...	...	...
سلق	+	-	-	...	...	بشدة	...	...	...
تبخير	+	-	+	...	...	...	مصفاة أو منخل	...	...
تشويح	+	-	-	...	...	بلطف	...	حتى يلين	بطيء

٣ ـ **اكتساب الطفل للكلمات** : من المعروف أن الأطفال الصغار يميلون إلى تعميم مدلولات الكلمات الأولى التي يتعلمونها ، واستخدامها في مجالات أوسع من المجالات التي يستخدمها فيها البالغون . ويمكن أن يفسر هذا على أن الطفل قام بعملية إسقاط لبعض الملامح التمييزية وإبراز لبعضها الآخر . ومن أمثلة ذلك :

أ ـ إطلاق الطفل كلمة « تفاحة » على البرتقالة ، وعلى كرة التنس ، وعلى أكرة الباب المكورة ، وعلى ثقالة الورق ، بجامع التكور والصغر في كل . وهو الجانب المدرك أو الحسي لدى الطفل ، وبإسقاط العنصر المميز في كل .

ب ـ إطلاق الطفل كلمة « عم » على كل رجل بالغ حتى دون أن يكون له صلة قرابة به .

أو أنه عجز عن التمييز بين الصفات الأساسية والصفات العرضية فخلط بينها ، أو جعل من الصفات العرضية صفات أساسية أو العكس . وقد مثل الدكتور إبراهيم أنيس لذلك بالأمثلة الآتية :

أ ـ إطلاق الطفل كلمة « كرسي » على « الصندوق » لأنه رأى شخصاً يجلس على صندوق فظن أن الصفة الأساسية في الكرسي هي إمكان الجلوس عليه .

ب ـ خلط الأطفال بين الكنبة والسرير ، وبين المكتبة والدولاب ، وبين المكتب والمنضدة ، وبين الحمار والحصان ، وبين الحمامة والعصفورة[1] . . .

وقد لوحظ أن المكونات التي يستعملها الطفل أول الأمر من أجل التعريف والتمييز هي تلك التي تشير إلى صفات مدركة مثل الشكل ، والصوت ، ومادة الشيء ، وليست تلك التي تشير إلى صفات مدركة مثل الشكل ، والصوت ، ومادة الشيء ، وليست تلك التي تشير إلى صفات أميل إلى التجريد مثل الوظيفة وكيفية استخدام الشيء . ومن أجل هذا نجد الطفل يطلق على « ورنيش الحذاء » اسم « طلاء » ، ويطلق على « الفأس » و « المطرقة » اسم « قدوم » . . وهكذا . ولكن حين يكبر الطفل يبدأ في إدراك الملامح أو المكونات التجريدية ، ولذلك يضيف إلى المكونات الشكلية المكونات الوظيفية ، ويبدأ في تخصيص معاني الكلمات ، واستخدامها بصورة أكثر تحديداً .

وقد أجرى بعض الباحثين المهتمين باكتشاف تحديد الأطفال من أعمار مختالفة للكلمتين glass و cup ـ أجروا تجربة على بعض الأطفال حيث وضعوا أمامهم عدداً من أواني الشرب وطلبوا منهم أن يعزلوا ما يدخل تحت كلمةglass ، وما يدخل تحت كلمةcup ، وما لا يدخل تحت أيهما .

وقد تبين أن الأطفال دون السادسة أخذوا في الاعتبار الشكل الخارجي والمادة كمكونات تحديدية . أما الأكبر سناً فقد اعتمدوا أكثر على الوظيفة . وعلى هذا فالصغار دعوا cup كل وعاء طويل اسطواني مصنوع من البلاستيك ، وأدخلوا تحت كلمة glass كل الأوعية المصنوعة من مادة قابلة للكسر مثل السلطانية والكوب .

---

(١) دلالة الألفاظ ص ٩١ ، ٩٢

وهذان اللفظان بالتحديد يتطلبان الحذر ؛ لأن أحدهما هو اسم لمادة : glass والآخر ليس كذلك : cup . وهذا يبدو السبب في أننا ندعو الشيء الذي يشبه الكوب glass ويؤدي وظيفته ـ ندعوه إذا كان من الورق ـ a paper cup على الرغم من أنه قد يكون بدون أذن . ووجود الأذن عادة هي مميز جيد للفنجان cup ولكن ليس المميز الأمثل ، فمثلاً يوجد الكوز mug كما توجد السلطانية الصغيرة small bowl فأين نضعهما ؟ وقد يقول لك قائل : يمكنك أن تدعوه cup إذا كان له شكل فنجاني cuppy ، أما السلطانية فهي أوسع وأضحل .

وعادة ما يشير المعجم في تعريف الكلمات إلى جانبي الشكل والوظيفة ، إما بتساو أو بإعطاء أحدهما ثقلاً أكثر من الآخر . فحين يعرف المعجم القدوم hammer بأنه :

« أداة يدوية ـ تتكون من رأس صلب ـ مثبت في يد ـ ويستعمل للدق » فقد اشتمل على العنصرين بصورة متساوية .

ولكن حين يعرّف الورنيش بأنه :

« دهان ـ يستعمل لإحداث بريق ـ وغالباً لون ـ لحماية سطح ما ـ أوتزينيه ، فقد أعطى للوظيفة ثقلاً أكبر[1] .

٤ ـ الترادف : يمكن استخدام نظرية العناصر للحكم على كلمتين بالترادف ، وذلك إذا أعطينا نفس الملامح التكوينية أو التشخيصية بغض النظر عن الاختلافات العاطفية أو الثانوية :

أ ـ كلمة adult مع grown up

يمكن أن تعطي كل منهما الملامح : + كائن حي + بالغ على الرغم من أنهما تختلفان في المعنى الأسلوبي فإحداهما عامية والأخرى رسمية[2] .

(١) Introduction: Dillon ص ١٩ ـ ٢١ وانظر Leech ص ٣٣ .
(٢) Leech ص ٩٧ .

ب ـ ويمكن أن يقال مثل هذا بالنسبة للكلمتين father و daddy اللتين تملكان نفس الملامح التمييزية الأساسية ، وإن حملت كلمة daddy شحنة عاطفية أكبر ودلت على علاقة شخصية حميمة[1] .

وكما تساعد النظرية على إثبات الترادف بين اللفظين ، تساعد على نفي الترادف عن لفظين قد يظن ترادفهما . وخير مثال لذلك كلمتا : paper وarticle اللتان تبدوان مترادفتين في مثل قولنا :

1- Jackson wrote a paper on this subject.

2- Jackson wrote an article on this subject.

فكلتاهما تدل على بحث قصير ـ مكتوب بصفة رسمية[2] . ولكنهما قد تختلفان في المكونات :

١ ـ الطبيعة الفنية أو غير الفنية للمحتوى .

٢ ـ نية أو احتمال النشر .

كما يوضح الشكل الآتي :

	article	paper
التناول الفني	+ أو −	+
نية النشر	+	+ أو −[3]

ولكن أحياناً ما تفشل الفكرة التحليلية في الحكم على كلمتين من حيث

(١) Componential ص ٩٨ .
(٢) إلى حد كبير أو قليل ، فليست خطاباً شخصياً مثلاً .
(٣) قد تكون الـ paper كتبت لإلقائها أمام جمع أو أعدت لتكون درساً في فصل أو لتقديمها في مؤتمر أو سمنار . وإن كانت علامة + تدل على احتمال النشر (componential ص ١٠١) .

الترادف أو عدمه ، وذلك بالنسبة للكلمات ذات الصلة الوثيقة أو التقارب الكبير ، مما يؤدي إلى صعوبة استخلاص المكونات التشخيصية . وفي مثل هذه الحالة يوجد ميل إلى معاملة هذه الألفاظ المختلفة على أنها ذات معان مختلفة .

ولنضرب على ذلك المثالين الآتيين :

١ ـ كلمتا abandon و desert رغم اتفاقهما في أصل المعنى وهو الهجر أو المقاطعة ، فإنهما يختلفان فيما يأتي :

	desert	abandon
مغادرة أو هجر	+	+
لوم وتوبيخ	+ ٢	+ أو -
نهائية	+ أو -	+ ٢[١]

٢ ـ كلمتا every و each تبدوان مترادفتين لدلالتهما على معنى الحصر والجمع في مثل قولنا :

1 — every man came

2- each man came

ولكنهما في الحقيقة ليستا كذلك لأن each تملك مكوناً إضافياً وهو « التوزيع فهي تفيد الحصر ولكن على سبيل التوزيع ، في حين أن every تدل على الحصر ولكن على سبيل الشمول[٢] .

٥ ـ المشترك اللفظي : المشترك اللفظي نوعان :

١ ـ نوع حدث نتيجة تطور في الجانب الدلالي أي نتيجة اكتساب الكلمة

(١) الرقم ٢ يدل على تحقق الصفة بصورة مضاعفة .
(٢) componential ص ١٠٣ ـ ١٠٦ .

معنى جديداً أو معاني جديدة مثل كلمة operation التي تستعمل للدلالة على الخطة العسكرية وعلى العملية الجراحية وعلي الصفقة المالية . . . . ومثل كلمة « بشرة » التي تعني جلد الإنسان ، وتطلق كذلك على النبات . ويسمى هذا النوع : بوليزيمي polysemy (كلمة واحدة ـ معنى متعدد) .

٢ ـ نوع حدث نتيجة تطور في جانب النطق ، ويحدث هذا حين توجد كلمتان تدل كل منهما على معنى ثم يحدث عن طريق التطور الصوتي أن تتحد أصوات الكلمتين وتصبحا في النطق كلمة واحدة . مثال ذلك كلمة sea بمعنى بحر و see بمعنى يرى (لا يهم اختلاف الهجاء) . ويسمى هذا النوع هو مونيمي homonymy (كلمات متعددة ـ معان متعددة)[١] .

وقد استخدم بعض العلماء النظرية التحليلية للتمييز بين النوعين :

أ ـ فاقترح Weinreich [٢] (١٩٦٣) معياراً يقوم على حصر مكونات المعنى أو ملامح التعريف . فنكون أمام بوليزيمي إذا كان المثالان يملكان « ملمحا دلالياً » مشتركاً بينهما على الأقل ، مثل الكلمة man بمعنى رجل التي تملك الملامح الآتية : + إنسان + بالغ + رجل ، وهي بمعناها العام تملك الملمح + إنسان[٣] ونكون أمام هومونيمي إذا لم يوجد الملمح المشترك .

ولكن المشكلة ستظل قائمة مع تطبيق هذا المعيار ؛ لأنه توجد صعوبة في تحديد الملمح الملائم الذي يعوّل عليه . وباستخدام المعيار السابق ستصنف كلمة bank بمعنى مصرف وضفة على أنها لفظ واحد (بوليزيمي) مادام كلا المعنيين يملك الملامح المشتركة : مادي ـ محسوس ـ غير حي .

ب ـ ووضع Katz (١٩٦٦) معياراً يقوم على أساس وضع مقياس لتحديد درجة « تشابه المعنى » ، ثم مضى يقول : « إن التشابه في المعنى يمكن أن يحدد بعدّ

---

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) Lehrer ص ٩ .

(٣) Leech ص ٩٧ .

المكونات المشتركة بين مفردتين » .

ولكن عدّ المكونات لن يقدم شيئاً أيضاً كما ظهر في كلمة bank ، وكما يظهر في المثال التالي :

mouth مصب النهر	mouth فم الشخص
١ ـ شيء مادي . ٢ ـ متحيز . ٣ ـ جزء غير حي لشيء غير حي . ٤ ـ فتحة . ٥ ـ حينما يصب الماء .	١ ـ شيء مادي . ٢ ـ متحيز . ٣ ـ جزء غير حي لشيء حي . ٤ ـ فتحة . ٥ ـ من أجل الأكل والكلام .

فمعظم الملامح (مثل رقم ١ ، ٢) ليس لها قيمة خاصة في الموضوع . أما الملمح الملائم المشترك (رقم ٤) فهو في الحقيقة الملمح الهام . كذلك يبدو الشبه بين الملمحين رقم (٥) وإن لم يبد التطابق بينهما .

ومعنى هذا أن عدّ الملامح ومقارنتها لا يكفي وحده للحكم على الكلمة بأنها من الهومونيمي أو البوليزيمي[1] . ولكن يمكن أن يقال إنه يجب البدء بالتمييز بين الملامح الأساسية والملامح الهامشية ، ثم عقد المقارنة بين الملامح الأساسية وحدها .

(١) Lehrer ص ٩ ، ١٠ .

الفصل السادس

مناهج أخرى

هناك جملة من الطرق الأخرى لتحديد المعنى أو توضيحه ، سنكتفي بالتناول السريع لبعضها :

١ - طريقة توضيح المعنى بذكر مرادفه ، أو أقرب لفظ إليه . وتصلح هذه الطريقة أكثر عند شرح الكلمات الأجنبية ، وفي المعاجم المزدوجة اللغة . وأقرب معجم عربي لهذه الطريقة « القاموس المحيط » للفيروز أبادي الذي عرّى الكلمات عن سياقاتها ، وحذف الأمثلة والشواهد إلا ماندر ، وكان يكتفي بذكر المرادف للكلمة التي يتناولها .

وأحظر ما يعيب هذه الطريقة أنها لا تبين الاستخدام الإيجابي للغة ، وأنها تعزل الكلمة عن سياقاتها ، مع أنه ينـدر في الاستعمال اللغوي الفعلي أن ترد الكلمة مفردة أو معزولة .

٢ - طريقة تحديد المعنى وتوضيحه ببيان خصائص الشيء المعرَّف ، أو بوضع تعريف له . وهذه الطريقة تقرب من النظرية التحليلية التي تحاول حصر الخصائص التكوينية أو مجموع الملامح التي تشكل محتوى الكلمة . ولكنها تختلف عنها في أنها تتبع في التعريف قاعدة أرسطو التي تعتبر التعريف الدقيق هو الذي « يضع الكلمة المعرَّفة في جنس يضم الأشياء المتشابهة ، ثم يحدد ما يميز هذا الشيء المعرَّف عن غيره من الأشياء الأخرى الداخلة في نفس الجنس » .

مثال ذلك تعريف « العدسة » بأنها « قطعة من الزجاج أو المادة الشفافة . محصورة بين سطحين معينين ، عن طريقها يتجمع الشعاع الضوئي أو يتفرق » . فقد عرّفت العدسة أولاً بأنها قطعة زجاج أو مادة شفافة . ثم ميزت عن سائر القطع المماثلة ببيان شكلها واستعمالها .

وعيب هذه الطريقة أنها تقوم على اكتشاف الماهيات أو الجواهر . وعلى الفصل بين الصفات المشتركة والصفات التفردية ، بل وحتى الفصل بين ما هو أساسي من تلك الصفات وما هو عَرَضيّ.

ولنضرب على ذلك مثالاً . لو عرّف الإنسان بأنه « حيوان ذو قدمين » ، فالطيور تشاركه في هذه الخاصة ، ولذا يزاد على ذلك : « بدون ريش » حتى تخرج الطيور . ولكن لا القدمان ولا التعري من الريش كافيان لمعرفة جوهر الإنسان ، بالإضافة إلى أنه قد يشاركه في هاتين الصفتين حيوانات أخرى ليست من الإنسان مثل الكانجارو .

ولو قيل في تعريفه : « حيوان يصنع الأجهزة » لكان مقبولاً بخلاف ما لو قيل : « يستعمل الأجهزة » ؛ لأن من الحيوانات ما يستعملها كالقرود مثلاً . ومع ذلك فإن التعريف المقبول يصبح مرفوضاً لأنه لم يكشف جوهر الإنسان ، حيث تجاهل الجانب الاجتماعي فيه . والإنسان الأول كان إنساناً دون اختراع الأجهزة أو استعمالها .

ولو عرّفنا الإنسان بأنه « حيوان متكلم » فربما اعترض على التعريف بأن هناك حيوانات أخرى تشاركه خاصة التكلم ، ولو عن طريق الإشارات والصراخ والغناء . ولكن إذا عدلنا التعريف ليصبح « الإنسان حيوان ذو لغة رمزية » فقد يكون التعريف كافياً لإخراج أنواع الحيوانات التي تتفاهم بصورة أخرى . إذ الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يستخدم اللغة الرمزية في التفاهم .

٣ ـ وقد يوضح المعنى عن طريق تقديم صورة أو نموذج للشيء المعرَّف وهذه

الطريقة تستخدم في الأشياء القابلة للتصوير والرسم فقط ، وإن لم تكن ناجحة في جميع الحالات . كما إذا قمنا برسم كرسي أو رسم قبعة لتوضيح المراد ؛ إذ أن الكراسي والقبعات تأتي مختلفة اللون والشكل والحجم .

٤ ـ كما أن من الممكن تعريف الشيء بذكر أفراده . وهذه الطريقة سهلة جداً حين يكون للشيء فرد واحد (إذا كان معرفة proper name) أو أفراد يمكن حصرها . ولكن يصعب تطبيقها أو يستحيل في الشيء الذي تتعدد أفراده وتتنوع مثل التوابل والحيوانات المفترسة .

وأهم ما تتميز به هذه الطريقة أنها تحدد بدقة مجالات استعمال الكلمة . ولذا فإنها تستخدم عادة في الوثائق القانونية حين يكون مجال التطبيق للكلمة واجب الوضوح . فكلمة « الأقرباء الملاصقون » close relatives قد تثير جدلاً وبخاصة في مجالات الإرث والنفقة والزواج والالتزام . . ولذا فإن القوانين التي تستعمل هذه الكلمة تحدد المراد كأن تقول : الأم ـ الأب ـ الابن ـ البنت ـ الأخ ـ الأخت . . . [١]

(١) انظر في كل ما سبق : Rapoport في : Semantics ص ٤ وما بعدها ، وص ١١٥ وما بعدها ، و Semantic Fields ص ٣ ؛ والمنطق الصوري لعبد الرحمن بدوي ص ٧٥ وما بعدها .



الباب الثالث

تعدد المعنى ومشكلاته



تمهيد :

ألفاظ اللغة من حيث دلالاتها ثلاثة أنواع :

أ ـ المتباين : وهو أكثر اللغة ، وذلك أن يدل اللفظ الواحد على معنى واحد .

ب ـ المشترك اللفظي : وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى .

د ـ المترادف : وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد .

وموضع اهتمامنا في هذا الباب النوعان الثاني والثالث ، اللذان شغلا الباحثين قديماً وما يزالان يشغلانهم حديثاً .

وقد عددنا كلا من المشترك اللفظي والترادف من باب تعدد المعنى اقتداء باللغوي الشهير Ullmann الذي اعتبرهما كذلك .

ووجهة النظر في هذا نقتبسها من تعريفين وردا في كتاب أوجدن وريتشاردز (the Meaning of Meaning) للمعنى ، وهما : إذا رمزنا إلى اللفظ بالرمز (أ) وإلى الصورة الذهنية بالرمز (ب) . فهل المعنى هو العلاقة بين (أ) و (ب) ، أو هو (ب) نفسها ؟ رأيان .

فعلى التعريف الثاني لا يدخل الترادف في تعدد المعنى ؛ لأن المعنى هو الصورة الذهنية والصورة الذهنية واحدة في المترادف فلم تتعدد الصورة فلم يتعدد المعنى .

وأما على التعريف الأول فيدخل الترادف في تعدد المعنى ؛ لأن المعنى هو

العلاقة بين الرمز والصورة ، ويتحقق التعدد له بتعدد العلاقة بين اللفظ والصورة ، وتعدد العلاقة يتحقق بتعدد أحد طرفيها . فإن كان التعدد في (أ) كان من المترادف وإن كان التعدد في (ب) كان من المشترك اللفظي .

وقد اختار أولمان وجهة النظر الأخيرة ، ولذا عالج في كتبه مشكلتي الاشتراك والترادف جنباً إلى جنب .

الفصل الأول

المشترك اللفظي

أ ـ عند القدماء

تأليف القدماء فيه :

ظهرت في اللغة العربية منذ وقت مبكر كتب كثيرة تعالج ظاهرة المشترك اللفظي وهو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى .

أ ـ فمنه ما اتجه إلى دراسته في القرآن الكريم .

ب ـ ومنه ما اتجه إلى دراسته في الحديث النبوي الشريف .

حـ ـ ومنه ما اتجه إلى دراسته في اللغة العربية ككل .

وأقدم ما وصلنا من كتب يدخل تحت النوع الأول ، ومن ذلك :

١ ـ الوجوه والنظائر (أو الأشباه والنظائر) في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠ هـ . وقد حققه الدكتور عبد الله شحاتة على نسخة فريدة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة عن نسخة خطية محفوظة بإحدى مكتبات تركيا .

٢ ـ الوجوه والنظائر في القرآن لهارون بن موسى الأزدي الأعور المتوفى سنة ١٧٠ هـ . وتوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة Chester Beatty ، وهي المخطوطة

رقم M S. 3334 ، مؤرخة في ٢٠ من المحرم عام ٥٣٣ هـ ، وهي من رواية أبي نصر مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون عن أبيه[١] .

ثم تتابعت المؤلفات في هذا الموضوع بعد ذلك ، فكتب فيه الحسين بن محمد الدامغاني (لعله أحد أبناء أو أحفاد قاضي القضاة أبي علي محمد بن علي بن محمد الدامغاني من علماء القرن الخامس الهجري)[٢] تحت نفس الاسم : « الوجوه والنظائر » . وقد حققه ورتبه الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ونشره تحت اسم « إصلاح الوجوه والنظائر . . » . وممن ألف فيه كذلك ابن الجوزي ، وتوجد من كتابه ثلاث نسخ بمكتبة Chester Beatty . وخصص السيوطي للمشترك في القرآن الكريم القسم الأعظم من كتابه « معترك الأقران في إعجاز القرآن » ، الذي حققه الأستاذ علي محمد البجاوي في ثلاثة أجزاء ، وقد شغل موضوع المشترك في القرآن الكريم ابتداء من ص ٥١٤ من الجزء الأوّل . وأشار السيوطي في كتابه « الإتقان» أكثر من مرة إلى عمله في مشترك القرآن على أنه تأليف مستقل يحمل اسم « معترك الأقران في مشترك القرآن » فلعل إعجاز القرآن ومعترك الأقران كانا كتابين مستقلين ثم أدمجا في كتاب واحد فيما بعد[٣] . ولعل مما يدل على هذا قول السيوطي نفسه في الجزء الأول من كتابه (ص ٥١٥ ، ٥١٦) : « فاشدد بكلتا يديك على هذا الكتاب المسمى بإعجاز القرآن ومعترك الأقران » .

وقد عد السيوطي من إعجاز القرآن ألفاظه المشتركة ، بل عدها من أعظم إعجازه ، « حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل . ولا يوجد ذلك في كلام البشر » (ص ٥١٤) .

وواضح مما تقدم أن كلمة « الوجوه » في مفهوم مقاتل وهارون والدامغاني

---

(١) انظر فهارس مكتبة تشستر بيتي ، ومقالاً للبروفسر آربري بعنوان :
Synonyms and Homonyms in the Qur'an
نشر في The Islamic Quarterly vol. 13, No. 3, 1969
(٢) انظر إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٥ ، ٦ .
(٣) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ـ الجزء الأول صفحة (ف) من المقدمة .

وغيرهم تعنى ما يعنيه اللغويون بالمشترك اللفظي . قال الزركشي في البرهان : « وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان . فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الهدى له سبعة عشر معنى في القرآن . . » أما كلمة « النظائر » فتعني الألفاظ المتواطئة أو المترادفة ، أو على حد تعبير السيوطي « ما اختلف لفظه واتحد معناه »[1] . ولكن من يستعرض الكتب التي تحمل اسم « الوجوه والنظائر » لا يجد فيها حديثاً خاصاً عن المترادفات فلماذا حملت هذا الاسم المزدوج؟ الذي يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفاً . فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه : اللغة والدعاء والعضو المعروف والثناء الحسن[2] فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معان فهو مشترك لفظي . وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر أو مترادفات . فاللسان مع اللغة يكون ترادفاً ، وهو مع الدعاء يكون ترادفاً ثانياً ، ومع الثناء الحسن يكون ترادفاً ثالثاً . . وهكذا . وإذا قلنا إن « الولي » على عشرة وجوه في القرآن منها : الولد والصاحب والقريب والرب والمولي الذي يعتق[3] . . . فمعنى هذا أن للفظ نظائر أو مرادفات عدة إذ يكوّن ترادفاً مع الولد وترادفاً ثانياً مع الصاحب وثالثاً مع القريب ورابعاً مع الرب وخامساً مع المولي . . وهكذا . . فمن أجل هذا صح أن تحمل هذه الكتب اسم « الوجوه والنظائر » مشيرة بالوجوه إلى المعاني المتعددة للفظ وبالنظائر إلى الألفاظ المتعددة للمعنى .

وهناك كتاب آخر من الكتب المبكرة التي وصلتنا عالج قضية المشترك اللفظي في القرآن الكريم ولكن تحت عنوان مختلف ، ذلك هو كتاب المبرد (ت ٢٨٥ هـ) المسمى « كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد » . ويبدو أن مفهوم المشترك اللفظي عند المبرد كان أضيق من مفهومه عند مؤلفي « الوجوه والنظائر » ، كما يبدو أن اشتراط المبرد في الكلمة التي يوردها أن يكون القرآن الكريم قد

---

(١) معترك الأقران ١ / ٥١٤ .

(٢) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص ٤١٤ .

(٣) انظر الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ص ١٩٥ .

استعملها بمعنييها أو معانيها ـ يبدو أن هذا وذاك قد قيدا المؤلف كثيراً ، ولذا لا نجد في الكتاب مما يدخل تحت العنوان سوى كلمات قليلة جداً قد لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة . ولكن الذي زاد في حجم الكتاب أن المبرد عالج فيه أشتاتاً من الكلمات والعبارات التي ليست من المشترك اللفظي في شيء مثل المشاكلة في قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، وقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . ومثل رفع التناقض الظاهري في بعض الآيات القرآنية ، كما في قوله تعالى : «وقفوهم إنهم مسئولون» ، مع قوله : «فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان» . ومع هذه التجاوزات ظل حجم الكتاب صغيراً ، ولذا فإن قيمته ليست في المادة التي يحويها ، وإنما في مقدمته التي أشار فيها إلى أهمية السياق ، وإلى ضرورة أن ينصب مستخدم المشترك اللفظي من الدلائل ما يدل السامع أو القارىء على المعنى المعين الذي يعنيه[1] .

أما النوع الثاني الذي توجه إلى دراسة المشترك اللفظي في الحديث النبوي فقط فلم يصلنا منه سوى كتاب واحد هو « كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى » لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) . وهو ليس كبير الحجم ، إذ لا تزيد كلماته على ١٥٠ كلمة ، ولا تتعدى صفحاته ٢٢ صفحة . وطابع المؤلف فيه الاختصار الشديد ، والاكتفاء في معظم الأحيان بذكر الكلمة ومعناها دون ذكر مثالها أو اقتباس شاهد عليها ، ما عدا أمثلة قليلة من القرآن ، وأمثلة نادرة من الحديث . ومادة الكتاب ـ كما تذكر المقدمة ـ مستخلصة من كتاب آخر لأبي عبيد عنوانه « غريب الحديث » . ولسنا ندري إن كان الذي قام بهذا الاستخلاص أبا عبيد نفسه ، أو أحد تلامذته ، وإن كنا نرجح الأخير ؛ لأن المقدمة تتحدث عن أبي عبيد بصيغة الغائب ، مع خلع صفات التفخيم عليه ، وهو أمر غير مألوف في المقدمات التي يكتبها أصحابها . وعلى الرغم من أن حجم الكتاب يبلغ حوالي سدس كتاب كراع (سيأتي بعد) فإنه يحوي بعض كلمات

---

(١) انظر ص ٨ من كتاب المبرد .

لا توجد عند كراع مثل : البيظ ـ البربر ـ السبتي ـ العضب[1] .

وأما النوع الثالث الذي اتجه إلى دراسة المشترك اللفظي في اللغة العربية ككل فقد كان من رواده الأصمعي واليزيدي وأبو العميثل وكراع النمل . وقد وصلنا منه كتابا أبي العميثل وكراع .

أما كتاب أبي العميثل الأعرابي عبد الله بن خليد (ت ٢٤٠ هـ) فعنوانه « كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه » . ويحتوي الكتاب على حوالي ٣٠٠ كلمة ، ويقع في ٨٤ صفحة ، ومع أن حجمه يبلغ نحو الثلث من كتاب كراع فإنه يحوي كذلك كلمات لا توجد فيه ، مثل : فروة ـ كراع ـ عقيقة ـ خلية[2] . كما يتميز هذا الكتاب كذلك بمعالجته معاني الكلمات بصورة أوسع مما فعل كراع كما سيبين من الاقتباس الذي سنورده بعد .

وأما كتاب كراع (علي بن الحسن الهنائي ، ت ٣١٠ هـ) فيحمل اسم « المنجد في اللغة » . وورد اسمه في كتب التراجم « المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه » ، والتنجيد في اللغة التزيين .

وقد بدأ الكتاب بمقدمة قصيرة تحدثت عن منهج المؤلف ، وتلا ذلك المادة اللغوية موزعة على أبواب ستة على النحو التالي :

١ ـ الباب الأول : في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .

٢ ـ الباب الثاني : في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام .

٣ ـ الباب الثالث : في ذكر الطير ، الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .

٤ ـ الباب الرابع : في ذكر السلاح وما قاربه .

٥ ـ الباب الخامس : في ذكر السماء وما يليها .

٦ ـ الباب السادس : في ذكر الأرض وما عليها .

(١) انظر ص ١ ، ٩ من كتاب أبي عبيد .

(٢) انظر صفحات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٢٥ ، ٣٥ من كتاب أبي العميثل .

ورتب المؤلف كلمات الباب الأخير ـ لكبر حجمه ـ على حسب أوائلها وثوانيها ، بغض النظر عن كون الحروف أصلية أو مزيدة . فهو مثلاً يضع « أشوه » في فصل الألف وشوهاء في فصل الشين . ويضع المجاعة (من الجوع) مع المجاعة (من المجع) . .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى ما يأتي :

أ ـ أنه أقدم كتاب شامل يصلنا في موضوع المشترك اللفظي ؛ إذ يحتوي على قرابة تسعمائة كلمة في حين يحتوي كتاب أبي العميثل على حوالي ثلثمائة كلمة .

ب ـ أنه أول كتاب ـ في نوعه ـ تبدو فيه روح النظام ، وبخاصة في قسميه الأول والسادس . فعلى الرغم من أن القسم الأول من الكتاب لم يرتب هجائياً ، فانت تلمح فيه نوعاً من الترتيب المتمثل في البدء بأجزاء البدن العليا ، ثم النزول شيئاً فشيئاً حتى القدمين . أما القسم السادس فمرتب ترتيباً هجائياً ، كما سبق أن ذكرنا .

حـ ـ أنه من أوائل الكتب اللغوية التي راعت في ترتيب المادة اللغوية صورة الكلمة التي تنطق عليها لا جذرها . كما أنه من أوائل الكتب التي راعت ثواني الكلمات ولم تقتصر على أوائلها كما فعل أبو عمرو الشيباني في معجمه الجيم .

د ـ أن كثيراً من مادته مأخوذ من مراجع قديمة لم تصل إلينا . ولذا يعد كتاب كراع أقدم مصدر لها . ويفسر هذا كثرة ما روى عن كراع وحده في كتب اللغة ، كقول ابن منظور : الجنيبة صوف الثنى عن كراع وحده . وقوله : قال كراع : بهراء ممدود قبيلة ، وقد تقصر قال ابن سيده : لا أعلم أحداً حكى فيه القصر إلاّ هو[1] .

هـ ـ أنه يحتوي على مجموعة لا بأس بها من التعبيرات المحلية ، وبخاصة

(١) ومثل هذا ما ورد في المراجع من قولها : « حكاها كراع » ، أو « ولم يحك من سواه » أو « وأنشد كراع » أو « لم يحكه غيره » أو « لم يقلها أحد غيره » أو « ولا أعرفها عن غيره » . . (انظر مقدمة المحققين لكتاب المنجد) .

تلك المنسوبة إلى الجنوب العربي وطنه الأول ، ولمصر وطنه الثاني . فمن الأول قوله : الواقف بلغة أهل اليمن : القدم ، وقوله : المقود : الأنف عند أهل اليمن . ومن الثاني قوله : رف الحاجب : اختلج ، وقوله : فحم الصبي بكى حتى ينقطع صوته .

وإليكم الاقتباسات الآتية من كتب كراع وأبي العميثل وأبي عبيد والأصمعي لتسهل المقارنة بينها :

كراع	أبو العميثل	أبو عبيد	الأصمعي
العين مطر يدوم خمسة أيام أو ستة لا يُقلع . والعين أيضاً طائر أصفر البطن أخضر الظهر بِعظم القُمْري . ويقال لقيته أول عين : أي أول شيء . ويقال أعطيته ذاك عين عنَّة ، أي خاصة من بين أصحابه . وعين كل شيء خياره . وعين القوم ربيئتهم الناظر	العين على ثلاثةَ عشر وجهاً : العين هو النقد من دنانير ودراهم ليس بعرض . والعين مطر أيام لا يُقلع ؛ يقال أصابت أرضَ بني فلان عينٌ . والعين عين البشر ، وهو مخرج مائها . والعين القناة التي تُعمل حتى يظهر ماؤها . والعين الفوَّارة التي تفور من غير عمل والعين ما عن يمين القبلة قبلة	العين الذهب . والعين عين الماء . والعين كثرة المطر . والعين نفس الشيء تقول هو الرجل بعينه . والعين النقد . والعين العين التي يبصر بها[٢] .	العينُ النقد من الدراهم والدنانير ليس بعَرَض . والعينُ مطر أيام لا يُقلع ؛ يقال أصاب أرضَ بني فلان عين . والعينُ : عين الإنسان التي ينظر بها . والعين عينُ البئر وهو مَخْرج مائها . والعين القناةُ التي تُعمل حتى يظهر ماؤها . والعينُ الفوَّارة التي تفور من غير عمل . والعين ما

لهم . وعين الرجل شاهده ، ومنه قولهم للفرس الجواد عينه فِراره وفُراره أي إذا رأيته تفرست فيه الجودة من غير أن تَفُرَّه عن عَدْو أو غير ذلك . ويقال فرس جواد بين الجُودة . والجَوْدة المصدر . والعين في الميزان عيب وذلك أن ترجُح إحدى كفتيه على الأخرى . قال أبو زيد : ترجِح . وعين الشمس . وعين الركبة ، أحسبه همزةً فيها ، وعين التمر موضع(1) .

أهل مغيب الشمس ، يقال نشأت السحابةُ من قِبل العين . والعينُ عين الانسان التي ينظر بها ، والعين عينُ النفس وهو من قولهم عان الرجلُ الرجلَ إذا أصابه بعين ، وذلك إذا نظر إليه فتعجب له . ورجلٌ مَعين ومعيون . والعين عين الدابة أو الرجلِ ، وهو الرجلُ نفسه أو الدابة أو المتاع نفسه . تقول : لا أقبل منك إلا دراهمي بعينها أي لا أقبل بدلاً منها ، وهو قول العرب ، لا تتبعْ أثراً بعد عين وعينه يؤكد به مثل نفسه . والعينُ عين

عن يمين القِبلة ، قِبلة أهل العراق . ويقال نَشأت السماء من العين . والعين عينُ الميزان وهو ألاّ يستوي . والعينُ عين الدّابة والرجلِ وهو الرجلُ نفسه أو الدابةُ نفسها أو المتاع نفسه ، يقال لا أقبل منك إلا درهما بعينه أي لا أقبل بدلاً ، وهو قول العرب : لا أتْبع أثراً بعد عين . والعين عين الجيش الذي ينظر لهم والعينُ عين الرُكبة وهي النُّقْرة التي عن يمين الرَّضفة وشمالها ، وهي المُشاشة التي على رأس الركبة . والعين : عينُ النفس ؛ أن يَعين الرجلُ الرجلَ ينظر

الميزان . والعين : عين الجيش الذي ينظر لهم وعليهم ، ويقال له الشَّنيقة والطليعة . والعين عين الركبة والعين هي التي عن يمين الرَّضفة وشمالها[2] .

إليه فيصيبه بعين . والعين السحابة التي تنشأ من ا قبلة أهل راق . والعـ عين اللص

(١) ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) ص ٨
(٣) ص ٨
(٤) المزهر ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣

رأي القدماء في وقوعه :

لم يثر أي جدل بين اللغويين العرب حول وجود المشترك اللفظي في اللغة العربية بل انعقد إجماعهم على وجوده . يقول سيبويه : « اعلم أن من كلامهم . . اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين »[1] ، ويقول ابن فارس تحت عنوان : باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق : « يكون ذلك على وجوه . . ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى كقولنا عين الماء وعين المال وعين الركية وعين الميزان »[2] .

نعم وجد من اللغويين من ضيق مفهوم المشترك اللفظي وأخرج منه كل ما يمكن رد معانيه إلى معنى واحد ، ومن هؤلاء ابن درستويه الذي جاء عنه في المزهر : « قال ابن درستويه في شرح الفصيح - وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها : هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه لأن سيبويه ذكره في أول كتابه ، وجعله من الأصول المتقدمة ، فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً ولكن فرقوا بين المصادر . . »[3] .

ولعله كان يرد بذلك على المبرد الذي مثل لاتفاق اللفظين واختلاف المعنيين بقوله : « وجدت شيئاً إذا أردت وِجْدان الضالة . ووجدت على الرجل من الموجدة . ووجدت زيداً كريماً أي علمت »[4] .

ويثني الدكتور إبراهيم أنيس على موقف ابن درستويه قائلاً : « وقد كان ابن درستويه محقاً حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي ، واعتبرها من المجاز . فكلمة الهلال حين تعبر عن هلال السماء ، وعن حديدة

---

(١) الكتاب ١ / ٧ .
(٢) الصاحبي ص ٢٠١ .
(٣) المزهر ١ / ٣٨٤ .
(٤) المزهر ١ / ٣٨٨ .

الصيد التي تشبه في شكلها الهلال وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال لا يصح إذن أن تعد من المشترك اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات »[1] .

أما علماء الأصول فقد أثاروا جدلاً كبيراً حول هذه الظاهرة وتفرقوا شيعاً وأحزاباً :

١ ـ فمنهم من قال بوجوب وقوعه ، وحجتهم أنه « لو لم تكن الألفاظ المشتركة واقعة في اللغة ـ مع أن المسميات غير متناهية والأسماء متناهية ضرورة تركبها من الحروف المتناهية ـ لخلت أكثر المسميات عن الألفاظ الدالة عليها مع دعوة الحاجة إليها » .

٢ ـ ومنهم من قال باستحالة وقوعه عقلاً بدعوى « إخلاله بالتفهيم المقصود من الوضع لخفاء القرائن » . وتقريب وجهة نظرهم أن الواضع الحكيم لا يمكن أن يقدم على عمل لا يستهدف من ورائه غاية . والغاية الحكيمة المترتبة على الوضع هي تهيئة وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع . وبما أن جعل اللفظ الواحد لأكثر من معنى مع خفاء القرائن مما يخل بتحقيق هذه الغاية فلا يعقل أن يقدم عليها الواضع بحال[2] .

٣ ـ والأكثرون على إمكان وقوعه لفقدان الموانع العقلية ، وعلى وقوعه فعلاً[3] . وكتب اللغة مليئة بهذه الألفاظ ، بل ما من مادة من المواد إلا ويذكرون لها

---

(١) دلالة الألفاظ ص ٢١٤ . ويمكن أن يضم إلى ابن درستويه ذلك الفريق من العلماء الذين نفوا وجود المشترك اللفظي في القرآن الكريم لاعتقادهم بمنافاته لطبيعة الإعجاز فيه (انظر بحث الاشتراك والترادف للأستاذ محمد تقي الحكيم ص ٨٠ .

(٢) الاشتراك والترادف ـ محمد تقي الحكيم ص ٧٦ ـ ٨٠ ، والمزهر ١ / ٣٦٩ .

(٣) قال في المزهر : الأكثرون على أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع إما من واضعين . . وهذا على أن اللغات غير توقيفية ، وإما من واضع واحد لغرض الإبهام على السامع حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة . . . والأكثرون أيضاً على أنه واقع لنقل أهل اللغة (١ / ٣٦٩) .

عدة معان على سبيل الاشتراك اللفظي . وكل شبهة تثار على خلاف هذا ينقضها الواقع الذي نلمسه في جميع اللغات . فهي أقرب إلى الشبهة في مقابل البديهة[1] .

مفهوم المشترك اللفظي عند القدماء :

قال السيوطي : « وقد حده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[2] .

وعرفه الآملي بأنه « وضع اللفظ الواخد مادة وهيئة بإزاء معنيين متغايرين أو أكثر »[3] .

ومن استقراء الأمثلة التي ذكرها اللغويون للمشترك اللفظي يتبين أنه يتحقق عندما تؤدي كلمة ما أكثر من معنى من غير نظر إلى :

أ ـ ما إذا كانت هناك علاقة بين المعنيين أوْ لا . فالأول مثل كلمة « الهلال » التي سبق ذكرها . ومثل كلمة « بعصوصة » التي تعنى دويبة صغيرة لها بريق من بياضها وتطلق كذلك على الصبي الصغير لضعفه . ومثل كلمة البشرة التي تعنى في الحقيقة جلد الإنسان وتستعمل كذلك لعلاقة المشابهة بمعنى النبات . والثاني مثل كلمة الأرض التي ذكر كراع من معانيها : قوائم الدابة ـ والزكام ـ والرِّعدة . وقد روى عن ابن عباس قوله حين أصابت الناس زلزلة : « أزلزلت الأرض أم بي أرض » أي رعدة[4] .

ب ـ ما إذا كان المعنيان متضادين أو لا . فالأول مثل قولهم « البثر » للعطاء الكثير والقليل ، وفرّع في الجبل إذا صعد وانحدر ، وجلل للكبير والصغير ، وجون للأسود والأبيض[5] . .

(١) الاشتراك والترادف ـ محمد تقي الحكيم ص ٨٠ .
(٢) المزهر ١ / ٣٦٩ .
(٣) الاشتراك والترادف ـ محمد تقي الحكيم ص ٧٤ .
(٤) المنجد ص ٣٩ ، ٤٤ ، ١٠٧
(٥) المنجد ص ١٣٧ ، ٢٨٦ ، والمزهر ١ / ٣٨٨ . ومن اللغويين من أخرج هذا النوع من المشترك وخصه باسم « الأضداد » .

حـ ـ ما إذا كان المعنيان متوزعين بين لهجتين ، أو مستعملين في لهجة واحدة . فالأول مثل كلمة السرحان التي تعنى الأسد في لهجة هذيل والذئب عند عامة العرب ، والسليط التي تعنى عند أهل اليمن دهن السمسم ، والزيت عند عامة العرب[1] .

د ـ ما إذا كانت الكلمة في أحد معنييها تنتمي إلى قسم معين من أقسام الكلام ، وفي المعنى الآخر إلى قسم آخر ، أو كانت تنتمي بمعنييها إلى قسم واحد . فالأول مثل كلمة « أجم » التي تستعمل فعلاً في مثل قولهم « أجمّ الأمر » إذا اقترب ، وتستعمل وصفاً في قولهم « كبش أجم » إذا كان بغير قرون ، و « رجل أجم » إذا كان بدون رمح[2] . وروى السيوطي عن الخليل الأبيات التالية :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى	إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعتهم طرفي وقد أزمعوا	ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة	تفترّ عن مثل أقاحي الغروب

ثم قال : فالغروب الأول غروب الشمس . والثاني جمع غَرْب ، وهو الدلو العظيمة المملوءة . والثالث جمع غَرْب وهي الوهاد المنخفضة[3] .

أسباب المشترك اللفظي عند القدماء :

بتحليل كلمات المشترك اللفظي التي وردت في كتاب « المنجد » لكراع يتبين أن أسباب المشترك اللفظي كثيرة منها :

أ ـ الأسباب الداخلية .

(١) المنجد ص ٨٣ ، والمزهر ١ / ٣٨١
(٢) المنجد ص ١١٦
(٣) المزهر ١ / ٣٧٦

ب ـ الأسباب الخارجية ، وهي اختلاف البيئة .

أما النوع الأول فينقسم إلى :

١ ـ تغيير في النطق .

٢ ـ تغيير في المعنى .

ويؤدي إلى تغيير النطق شيئان : القلب المكاني ، والإبدال.

أما تغيير المعنى فهو نوعان : مقصود ، وتلقائي .

وإليكم التمثيل والشرح :

١ ـ يتحقق السبب الخارجي حينما تستعمل الكلمة بمعنيين في بيئتين مختلفتين . فإذا نحن نظرنا إلى الكلمة في بيئتها أو لهجتها لم يكن هناك مشترك لفظي ، ولكن إذا نظرنا إليها داخل المادة اللغوية كلها ـ كما فعل القدماء أو معظمهم على الأقل ـ وجد الاشتراك اللفظي .

وقد سبق التمثيل لهذا النوع .

٢ ـ وأما تغيير النطق عن طريق القلب المكاني فمن أمثلته التي ذكرها كراع :

أ ـ لدينا المادتان دام ودمى . فإذا أخذنا صيغة استفعل من دام قلنا : استدام ، ومن دمى ، قلنا : استدمى . ولكن كراعاً حكى أن الفعل استدام يستعمل أيضاً بمعنى استدمى . وبذا أصبح لدينا الفعل استدام المقلوب من استدمى والذي طابق الفعل استدام غير المقلوب عن شيء مكوناً معه اشتراكاً لفظياً .

ب ـ عندنا الفعل « خطا » من الخطو ، والفعل « خاط » من الخياطة . ولكن بقلب خطا إلى خاط صارت الكلمة الأخيرة من المشترك اللفظي .

٣ ـ وأما تغيير النطق عن طريق الإبدال فيبدو مسئولاً عن تكوين كلمات كثيرة من

المشترك اللفظي . فعن طريقه تتطابق كلمتان لهما معنيان مختلفان فتصبحان كلمة واحدة بمعنى متعدد . ومن أمثلته :

أ ـ الكلمتان حنك وحلك لهما معنيان مختلفان ولكن العرب استعملتهما بمعنى واحد هو السواد . فعن طريق إبدال اللام نونا طابقت الكلمة الثانية الكلمة الأولى في النطق ، وصار عندنا كلمة واحدة بمعنيين مختلفين .

ب ـ الكلمتان آلة وحالة حولت العرب ثانيتهما إلى صورة الكلمة الأولى فصارتا كلمة واحدة بمعنيين مختلفين .

٤ ـ وأما التغيير المقصود للمعنى فيوجد عند ما يراد إدخال كلمة ما لغة المتخصصين فتصبح مصطلحاً علمياً . ومن أمثلة ذلك قول كراع : التوجيه من وجهت الرجل في الحاجة . والتوجيه ـ في قوافي الشعر ـ الحرف الذي قبل حرف الروى في قافية المقيّد نحو قول رؤ بة :

وقاتم الأعماق خاوى المخترق .

فالراء توجيه . ولك أن تبدله بأي حرف شئت وأن تفتحه . فإن كسرته فذلك السناد . والتوجيه أيضاً الحرف الذي بين حرف الروى المطلق والتأسيس كقوله :

ألا طال هذا الليل وازورّ جانبه .

فالألف تأسيس والنون توجيه والباء حرف الروى والهاء صلة . . . والتوجيه أيضاً من عيوب الخيل التي تكون خلقة . .

٥ ـ وأما التغيير التلقائي للمعنى فيحدث حين توجد علاقة بين المعنيين . فإذا كانت العلاقة بين المعنين هي المشابهة كان المعنى الجديد استعارة وإلا كان مجازاً مرسلاً . أما أمثلة الاستعارة التي ذكرها كراع فنقتبس منها :

أ ـ الكلمة « بشرة » التي تعنى في الحقيقة جلد الإنسان ، وتستعمل كذلك ـ لعلاقة المشابهة ـ بمعنى النبات.

ب ـ الكلمة بعصوصة التي تعنى في الحقيقة دويبة صغيرة لها بريق من بياضها . وتطلق كذلك على الصبي لصغر خلقه وضعفه .

أما أمثلة المجاز المرسل فتحتها أنواع مثل :

أ ـ توسيع المعنى ، كما حدث للفعل « ساق » في التعبير القديم : ساق الرجل إلى المرأة مهرها . فقد كان ذلك حقيقة حينما كان المهر من نوع الحيوانات . ولكن بعد أن تغير العرف وصار المهر نقوداً أعطى الفعل معنى أوسع واحتفظ بحيويته .

ب ـ تضييق المعنى ، مثل لفظ « المأتم » الذي كان يستعمل في الحقيقة ويراد به اجتماع الرجال أو النساء في مناسبة حزينة أو سعيدة . ثم استعمل فيما بعد في المناسبة الحزينة فقط .

د ـ السببية ، مثل كلمة «الاثم » التي تعنى الذنب ، ثم أصبحت فيما بعد مرادفة لكلمة الخمر فأصبح لكلمة «الإثم » معنيان مختلفان أحدهما سبب في الأخر .

د ـ إطلاق اسم الجزء على الكل ، مثل كلمة اللسان التي تعنى العضو المعروف ، ثم صارت تستعمل كذلك في معنى المتحدث الرسمي أو المتكلم عن قومه .

هـ ـ إعطاء الشيء اسم مكانه ، كما حدث في كلمة الراوية التي كانت تعنى الجمل الذي يحمل قربة الماء ، ثم أصبحت تعنى القربة نفسها .

ب ـ عند المحدثين

أنواع المشترك اللفظي عند المحدثين :

من الممكن التمييز بين الأنواع الأربعة الآتية عند المحدثين :

١ ـ وجود معنى مركزي للفظ تدور حوله عدة معان فرعية أو هامشية .

٢ ـ تعدد المعنى نتيجة لاستعمال اللفظ في مواقف مختلفة .

٣ ـ دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لتطور في جانب المعنى .

٤ ـ وجود كلمتين يدل كل منهما على معنى ، وقد اتحدث صورة الكلمتين نتيجة تطور في جانب النطق .

١ ـ أما النوع الأول فقد أفاض في توضيحه Nida في كتابه المشهور

Componential Analysis of Meaning

وقد ذكر أن المعاني الفرعية أو الهامشية تتصل بالمعنى المركزي وبعضها ببعض عن طريق وجود عناصر مشتركة معينة وروابط من المكونات التشخيصية[1]. والمعنى المركزي عنده هو الذي يتصل بمعنى الكلمة إذا وردت منفردة مجردة عن السياق ، وهو الذي يربط عادة المعاني الأخرى الهامشية . ومن الأمثلة التي ضربها لهذا النوع الكلمتان الآتيتان :

أ ـ كلمة coat في التعبيرات الثلاثة الآتية :

a- Bill put on his coat.

b- The dog has a thick coat of fur.

c- The house has a fresh coat of paint.

فمعنى كلمة coat في كل عبارة ينتمي إلى مجموعة دلالية خاصة . ففي رقم (a) ينتمي إلى مجموعة : الجاكت ـ البلوفر ـ السويتر . . . وفي رقم (b) إلى مجموعة : جلد ـ ريش ـ شعر . . . وهكذا . واتصال كل معنى بمجموعة دلالية خاصة دليل على أنها تمثل ثلاثة معان دلالية متميزة .

ولكن المعاني الثلاثة تتقاسم ـ في الحقيقة ـ عنصراً مشتركاً هو « التغطية » ،

---

(١) ص ١٣٠ .

والمعنى الرئيس من بينها هو رقم (a) بدليل أنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية coat حينما ترد في أقل سياق ، أي مفردة . وهو أيضاً المعنى الذي يربط المعنيين الآخرين الفرعيين .

ب ـ كلمة paper في التعبيرات الآتية :

a- Royal Mills manufacture paper here .

b- John bought a paper from the boy.

c- Thompson read a paper to conference.

d- Bill will paper his room.

وقد توصل إلى المعنى المركزي باللجوء إلى المعيار : كون الكلمة في انعزال تؤدي معنى كذا بالإضافة إلى معيار آخر هو صلاحية المعنى المركزي لشرح امتداد الملامح المشتركة . وبهذين المعيارين قرر أن paper في العبارة (a) هي المعنى المركزي أو الأساسي لأن شرح رقم (b) و (c) . . يمكن أن يفهم عن طريق (a) ، وذلك أن تقول إن الصحيفة (الجريدة) مصنوعة من الورق ، والمحاضرة أو البحث عادة ما تكون مكتوبة على ورقة مقدماً . .[1]

٢ ـ والنوع الثاني قريب من النوع الأول ، وقد ورد في تقسيم Ullmann[2] للمشترك اللفظي ، وسماه « تغييرات في الاستعمال »[3] أو « جوانب متعددة للمعنى الواحد » . وقد ضرب مثلاً لذلك كلمة wall (حائط)[4] التي تتنوع مدلولاتها بحسب مادتها (حجر ـ طوب . .) ووظيفتها (حائط في منزل ، أو بوابة . .) وبحسب خلفية المستعمل واهتمامه (بنّاء ـ عالم آثار ـ مؤرخ فنون . .) . ولكن هذه الظلال أو الاستعمالات المختلفة ينظر إليها على أنها

---

(١) ص ١٣٠ ـ ١٣٢

(٢) في كتابه The principles of Semantics .

(٣) Shifts in application .

(٤) ومثلها كلمة « موسم » عند مدير الفندق وعند تاجر الفاكهة وعند الفلاح . . (اللغة لفندريس ص ٢٥٨) .

مظاهر متلاصقة أو متقاربة لكل متحد متلاحم . ويتحدث Sir Alan Gardiner في كتابه The theory of speech and language عن شيء قريب من هذا حين يقول : « كل كلمة ميراث من الماضي . وقد اشتقت معناها من التطبيق أو الاستعمال بين عدد لا نهائي من الناس يختلفون فيما بينهم قليلاً أو كثيراً . وحينما أنطق كلمة كهذه فأنا أصب في عقل السامع كل الرواسب والمقدرات الموروثة لاستعمالاتها السابقة . بنطق الشخص لكلمة ما فإنه يقدم للسامع المعنى العام الكلي لها ، ويبقى للسامع أن يختار المعنى أو المجال المناسب . وقد ضرب مثلاً على هذا كلمة ball التي قد تعنى كرة قدم - أو كرة سلة - أو كرة من الجليد . . .

وهذه الفكرة التي عبر عنها أولمان وغيره قد أثارت مناقشات كثيرة بين علماء الدلالة ، وربما عبر عنها كل منهم بطريقة مختلفة . فنجد « إردمان » مثلاً يفرق بين ما سماه المعنى الرئيس وما سماه بالمعنى الاستعمالي أو التطبيقي ، ونجد « هرمان بول » يفرق بين المعنى العادي والمعنى العَرَضي ، ونجد Kurylovich يرفض في مقال له نشره باللغة الروسية ما يسمى بالمعنى العام ، ويفضل عليه ما يسمى بالمعنى الأصلي . وقد أسس فكرته على أن المعنى العام والمعنى الهامشي إنما يرتبطان بالأسلوب وظلال المعاني والتصورات الشعرية ، في حين أن المعنى الأصلي لا تتوقف معرفته على السياق . وفي حالة استخلاص المعنى الأصلي ينظر إلى ما عداه من معان على أنه أشبه بالوحدات الجانبية التي تضيف انطباعات على المعنى الأصلي[1] .

٣ - أما النوع الثالث وهو دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى نتيجة لاكتسابها معنى جديداً أو معاني جديدة فقد سماه اللغويون البوليزيمي - poly semy[2] ويمكن أن يسمى كذلك : « تعدد المعنى نتيجة تطور في جانب المعنى » ، أو « كلمة واحدة - معنى متعدد » . وقد مثل أولمان لهذا النوع بكلمة

(١) انظر : من قضايا اللغة والنحو ص ٢٣ و ٢٤ .

(٢) Poly = كثير أو متعدد و semy = معنى (انظر دور الكلمة في اللغة ص ١١٥) .

operation التي تعد كلمة واحدة في عرف متكلمي اللغة الإنجليزية مع أنها حين تسمع منعزلة عن السياق لا يعرف ما إذا كان المقصود بها عملية جراحية ، أو عملية استراتيجية أو صفقة تجارية .

ويرى أولمان أن هناك طريقين رئيسيين تتبعهما الكلمات لاكتساب معانيها المتعددة :

أ ـ التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ، ثم شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكراراً ملحوظاً ، ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه . إنه ليس من الضروري مثلاً ـ بل لعله مما يوجب التندر ـ أن تنص وأنت في مستشفى على أن العملية المشار إليها في الحديث عملية جراحية وأنها ليست عملية استراتيجية أو صفقة تجارية في سوق الأوراق المالية .

ب ـ وهناك طريق أقصر من هذا يؤدي إلى نفس النتيجة وهو الاستعمال المجازي أو نقل المعنى . فكلمة crane تعنى في اللغة الانجليزية طائر الكركي ثم استعملت استعمالاً مجازياً للآلة المعروفة بالرافعة . كما يمكن التمثيل لهذا النوع بكلمة « لسان » التي صارت تطلق على اللغة . فإن إعطاء اسم العضو للنشاط الذي ينتجه لا يوجد فيه تغيير في الاستعمال ، وإنما هو نقل المعنى .

ويشترط Schoff لتحقق هذا النوع وجود علاقة مشابهة بين المعنيين . ولهذا يخرج منه كلمات الأضداد لأن كلمات الأضداد لا توجد بينها علاقة مشابهة . أما Ullmann الذي يرى أن كلمات الأضداد تشكل تطوراً في المعنى غالباً فقد أدخل الأضداد في هذا النوع[1] .

٤ ـ أما النوع الرابع الذي يشير إلى وجود أكثر من كلمة يدل كل منها على

---

(١) انظر من قضايا اللغة والنحو ص ٢٥ ، ودور الكلمة في اللغة ص ١١٧ ، ١١٨ وانظر أيضاً كتاب Introduction to Semantics: Adam Schoff في مواضع متعددة .

معنى ، وقد تصادف عن طريق التطور الصوتي أن اتحدث أصوات الكلمتين فيسميه اللغويون homonymy [1] ، ويمكن أن يسمى كذلك : « تعدد المعنى نتيجة تطور في جانب اللفظ » أو « كلمات متعددة ـ معان متعددة » . ويمكن التمثيل لهذا النوع بكلمات : sea (بحر) ، to see (يرى) ، see (أبرشية ـ مقر الأسقف) . والمهم اتحاد نطق الكلمتين دون اعتبار لتطابق هجائهما أو اختلافه . ومن أمثلته كذلك الصيغة sound التي يمثلها ـ كما يقول أولمان ـ أربع كلمات على الأقل يعود كل منها إلى أصل مختلف ثم حدث تقارب نطقي بينها حتى اتحدت وتماثلت في الصيغة . فالكلمة sound بمعنى healthy (صحيح البدن) كلمة جرمانية قديمة . أما sound بمعنى صوت فإنها ترجع إلى أصل فرنسي . . وهكذا .

ويمكن التمثيل لهذا النوع من اللغة العربية بالفعلين : قال يقيل ، وقال يقول حينما يستخدمان في الماضي أو بصيغة اسم الفاعل . وكذلك بالفعلين ضاع الشيء يضيع وضاع (المسك) يضوع . وكذلك باسم الفاعل من الفعلين سال وسأل . ومن أمثلته في العامية المصرية :

أ ـ كلمة « قلم » التي تنطق « ألم » فتطابق كلمة « ألم » التي همزتها غير مبدلة .

ب ـ كلمة « إثم » التي تنطق « إسم » فتطابق كلمة « اسم » غير المبدلة عن شيء .

حـ ـ كلمة « قمر » التي تنطق « أمر » فتطابق كلمة « أمر » غير المبدلة عن شيء .

ويرى بعض الباحثين أن اللغة الانجليزية بميلها إلى تقصير الكلمات الطويلة تخلق الكثير من كلمات المشترك اللفظي . ويمكن أن يمثل لذلك بكلمة fan بمعنى مروحة وكلمة fan في مثل قولهم : football fan التي هي اختصار لكلمة fanatic [2] . ويعترف أولمان بأن من الصعب في كثير من الأحيان الفصل بين النوعين الثاني والثالث ، خصوصاً وأن المصدر الأساسي لخلق البوليزيمي هو تغير

(١) homo = ذات أو نفس و onoma = لفظ (انظر دور الكلمة في اللغة ص ١١٥)
(٢) انظر من قضايا اللغة والنحو ص ٢٥ ، ٢٦ ، ودور الكلمة في اللغة ص ١٢٦ وما بعدها .

الاستعمال . وكثيراً ما يتطور تغير الاستعمال ليصبح « بوليزيمي » . وهو يضرب مثالاً لذلك من اللغة الإنجليزية هو كلمة line في العبارات air line — shipping line - a straight line. فهل ينظر إلى هذا على أنه من تغير الاستعمال ويعد من النوع المتطرف منه ، أو على أنه من البوليزيمي ويعد من النوع الخفيف .

كذلك يعترف أولمان بصعوبة الفصل بين النوعين الثالث والرابع ، لأن بعض الكلمات يصعب الحكم عليه ما إذا كان في الأصل كلمة واحدة أو كلمتين .

وتمثل النظرة إلى كلمات الأضداد نقطة خلاف رئيسية بين أولمان وسكوف . فأولمان يدرجها تحت البوليزيمي في حين أن سكوف يدرجها تحت الهومونيمي . ويبدو أن نظرة كل إلى الأضداد تتسق مع فهمه للمعنى المتعدد . فما دام سكوف يشترط وجود الصلة الواضحة بين المعنيين حتى يمكن عدهما من البوليزيمي فهو على حق في اعتبار الأضداد من الهومونيمي . وما دام أولمان يشترط في البوليزيمي توحد الكلمة ، ثم اكتسابها معنى جديداً بمرور الزمن ، فهو على حق في عده الأضداد من هذا النوع لأنها في الغالب تشكل تطوراً في المعنى لا تطوراً في اللفظ[1] .

معايير الفصل بين الهومونيمي والبوليزيمي[2] :

هناك من اللغويين من أخرج الأنواع الثلاثة الأولى من المشترك اللفظي وعدها طريقاً إلى المجاز ، أو نوعاً من المجاز . كما أن هناك من أدمج النوعين

(١) وعلى هذا فلا مجال للاعتراض الذي وجهه الدكتور بشر على رأي أولمان وقوله : نحن لا نوافق المؤلف على هذا الصنيع لأن التضاد عندنا نوع من المشترك اللفظي (بقصد الهومونيمي) ، وكل منهما لا يتحقق إلا في كلمتين فأكثر لا في الكلمة الواحدة (دور الكلمة في اللغة ص ١٢٠)

(٢) لهذا الفصل أهمية خاصة عند مؤلفي المعاجم الأوروبية . لأن جميع كلمات البوليزيمي توضع تحت مدخل واحد ، أما كلمات الهومونيمي فيوضع كل منها تحت مدخل مستقل . إذ ينظر إلى النوع الأول على أنه مفردة معجمية واحدة ، أما الثاني فجملة من المفردات المعجمية المختلفة . ولاستيفاء الموضوع ينصح بالرجوع بصفة خاصة إلى : Semantic Fields صفحات ٨ وما بعدها ، و Linguistics and Semantics في Current Trends in Lingusitics, vol. 12 وبخاصة صفحات ١٢٥ وما بعدها ، و Introduction to Contemporary Linguistic Semantics ص ٤ وما بعدها .

الثالث والرابع واعتبرهما نوعاً واحداً وأهم اعتراض يمكن أن يوجه إلى هذا الرأي أن هناك فرقاً بين كلمتين اثنتين بأصلين مختلفين حدث في وقت ما طبقاً لتطور صوتي أن تطابقا ، وكلمة واحدة تطور معناها ببطء أو بطريق المجاز عن المعنى الأول حتى صار لها معنيان مختلفان . ولهذا ينبغي أن يعطى كل نوع اسماً خاصاً .

لكن معظم اللغويين على الفصل بين البوليزيمي والهومونيمي ، وإن لم يحدث اتفاق على وسيلة التمييز بين النوعين . وأهم ما طرح من آراء حول هذا الموضوع يتلخص فيما يأتي :

١ ـ اذا كانت كلمات المشترك اللفظي تملك نفس النطق ولكن بهجاء مختلف (مثل hair مع heir ، و reed مع read ، و pear مع pair مع pare) فإن اختلاف الهجاء يكفي لجعل الكلمات من نوع الهومونيمي[١] .

ومع هذا وجد من اللغويين من تشكك في صدق هذا المعيار قائلا ان هناك من الكلمات ذات الهجاء المختلف ما يمكن رده إلى أصل واحد . ومثل لذلك بلفظي flower و flour اللذين يختلفان معنى وهجاء ويردان الى أصل واحد لاتيني أو فرنسي[٢] .

٢ ـ أما إذا كانت الكلمة تملك نفس النطق والهجاء وتتعدد معانيها فقد اقترحت الوسائل الآتية :

أ ـ اللجوء الى المعيار الدلالي . فإذا لم توجد علاقة دلالية بين المعنيين فلا مشكلة لأن كلا منهما كلمة مستقلة حدث بطريق الصدفة أن تملكت نفس النطق والكتابة. أما إذا وجدت العلاقة أو المشابهة فهما كلمة واحدة تطورت إما تطورا

---

(١) Componential Analysis ص ١١٧ .

(٢) New Trends ص ١٣٤ . ويعيب هذا المعيار كذلك أنه لا يتلاءم مع الدراسة التزامنية ولا يمكن استخدامه مع اللغات غير المكتوبة ، أو المفردات التي لا يعرف تاريخها (Semantic Fields ص ٨) .

بطيئا بمرور الوقت ، أو سريعا عن طريق المجاز .

والمشكلات التي تحوط هذا المعيار كثيرة :

(١) فقد يكون أحد المعنيين متفرعا في الأصل عن الآخر بطريق المجاز ثم نسي المجاز بمرور الوقت وصار من النوع المسمى بالمجاز الميت .

(٢) أن رسم الحدود بين المعاني سيدخله جزء اعتباطي أو تحكمي أو ذاتي لأنه ـ على حد تعبير بلومفيلد ـ ليس من الأمور القابلة للقياس الدقيق .

(٣) صعوبة التطبيق . ويمكن التمثيل لذلك بكلمة bill الإنجليزية . فإذا كان من الممكن الزعم بأن اثنين من معانيها (منقار الطائر ـ ورقة نقدية) لا يملكان أي مكونات تشخيصية مشتركة على المستوى القريب فمن الصعب إصدار نفس الحكم على معاني الكلمة الأخرى (فاتورة ـ إعلان ـ مشروع قانون . .)[1] .

ب ـ ويرى Lyons اتخاذ أجزاء الكلام كمعيار لفصل الهومونيمي من البوليزيمي وعلى هذا فكلمة hammer (اسم) و hammer (فعل) توضعان في المعجم كمدخلين منفصلين . في حين أن division (عملية حسابية = القسمة) ، و division (فرقة من الجيش) توضعان معا في مدخل واحد .

ويعترض lehrer على هذا المعيار قائلا : ويبدو لي أن كلمتي division أكثر بعدا من الناحية السيانتية من كلمتي hammer ، لأن ما يتعلق بالحساب يدخل تحت مجال « المقدار » ، وما يتعلق بالجيش يدخل تحت مجال « العدد » .

حـ ـ ويقترح أولمان معيارا ذا ثلاث شعب على النحو التالي :

(١) حينما يعطي كل من اللفظين مشتقات مختلفة فإن هذا يعني أنهما كلمتان مختلفتان ويجب معاملتهما على أنهما ينتميان إلى مادتين معجميتين مختلفتين .

(١) Semantic Fields ص ٨ و Semantic Theory ص ١٠ و Meaning and Style ص ٢٠ و Componential Analysis ص ١١٧ ـ ١١٩ .

وضرب مثلا لذلك بكلمة balle الفرنسية التي تملك في أحد فرعيها: المشتق : ballon (بمعنى بالون) و في الفرع الآخر :المشتق ballot (حزمة أو لفة)، مما يرجح اعتبارهما كلمتين مختلفتين (هومونيمي).

(٢) اذا وجد اسمان متطابقان أو أكثر ولكن دخلا تحت موضوعين مختلفين فان الأمريكون متعلقا بالهومونيمي وليس البوليزيمي . مثال ذلك الصيغة suit (دعوى تقام على شخص) و suit (حلة) .

(٣) كذلك يمكن إجراء اختبار رد الفعل عند المتكلمين المواطنين لتقرير ما إذا كانت الصيغة الغامضة مادة معجمية واحدة أو أكثر .

د ـ ويقترح Chapin أن ينظر الشخص الى لغات أخرى من أجل المقارنة . إذا كان هناك لغة أخرى تضع لفظين لما تضع له الإنجليزية لفظا واحدا فإننا نقرر أننا أمام هومونيمات في الإنجليزية.

ويمكن التمثيل لهذا بكلمة uncle الإنجليزية بمعنيها : « أخو الأب » و« أخو الأم » فيجب على هذا الاقتراح اعتبارها من الهومونيمي لأن هناك لغات أخرى تعبر عن هذين المعنيين بلفظين مستقلين مثل اللغة العربية التي تستعمل « عم » و« خال » .

ويعيب هذا المعيار أن وصف اللغة يقوم على أساس من شعور أبنائها . ولذا فإن استخدام لغات أخرى لا يعد ملائما . كما أن استخدام اللغات الأخرى في المقارنة لن يؤ دي إلى نتيجة حاسمة . فكلمة مثل hot تحمل معنى « ساخن » في اللغة الانجليزية . ومقابلتها في العبرية تحمل إلى جانب هذا المعنى معنى آخر هو « الغضب » و« الثورة » . ومقابلتها في الصينية والملاوية والهاوسا تحمل معاني أخرى مثل « الغضب الشديد » و« الحماسة » ، وهي معان تصنع لها لغات أخرى ثلاث كلمات .

هـ ـ ويعطى Weinreich معيارا آخر يقوم على حصر مكونات المعنى أو

ملامح التعريف . نكون أمام بـولـيزيمـي إذا كان المثالان يملكان على الأقل ملمحا دلاليا مشتركا . ونكون أمام هومونيمي إذا لم يوجد أي ملمح مشترك .

لكن المشكلة ما تزال موجودة لأنه توجد صعوبة في تحديد الملمح الملائم الذي يعول عليه. وباستخدام هذا المعيار تصنف كلمتا bank (مصرف - ضفة) على أنهما من البوليزيمي ما دام كل منهما يملك الملامح المشتركة : شيء مادي - محسوس - غير حي .

ويقترح Katz طريقة أخرى لتطبيق هذا المعيار وذلك بأن نضع مقياسا « لتحديد درجة تشابه المعنى » . ثم يمضي قائلا : إن التشابه في المعنى يمكن أن يحدد بعدّ المكونات المشتركة بين المفردتين :

ولكن عدّ المكونات لن يقدم شيئا كما ظهر في كلمة bank بمعنييها ، وكما يظهر في المثال التالي (وقد سبق اقتباسه):

mouth مصب النهر	mouth فم الشخص
١ ـ شيء مادي	١ ـ شيء مادي
٢ ـ متحيز	٢ ـ متحيز
٣ ـ جزء غير حي لشيء غير حي	٣ ـ جزء غير حي لشيء حي
٤ ـ فتحة	٤ ـ فتحة
٥ ـ حينما يصب الماء	٥ ـ من أجل الأكل والكلام

فمعظم الملامح مثل رقمي ١ ،٢ لها فائدة بسيطة في الموضوع . والملمح الملائم المشترك هو رقم ٤ ، وهو في الحقيقة الملمح الهام . وعلى هذا يبدو أن عدّ الملامح ومقارنتها ليس صالحا ، لأن بعض الملامح هام ، وبعضها لا أهمية له .

و ـ ويقترح بعضهم استخدام نظرية « الحقل الدلالي » لتمييز كلمات النوعين . الكلمات المنتمية إلى حقل دلالي واحد تعد من البوليزيمي . أما المنتمية إلى حقول دلالية متعددة فينظر إليها على أنها كلمات منفصلة (هومونيمي) . فكلمة orange (برتقالي) تخص حقل الألوان ، وكلمة orange (ثمرة الفاكهة) تخص حقل الفاكهة . ومثل هذا يقال عن الصيغة bank . فهي بمعنى مصرف تخص حقل المباني والمؤسسات (مصرف ـ بورصة ـ سوق ـ مصلحة . .) وبمعنى ضفة النهر تخص حقل المناطق القريبة من الماء (شاطىء ـ ساحل ـ كوبري ـ طريق ساحلي . .) .

ولكن تبقى مشكلة الوسيلة لتحديد الحقول الدلالية وحصر الكلمات تحت كل حقل .

ز ـ واتخذ بعضهم ما سماه بالترابط أساسا للفصل بين النوعين . فالبوليزيمي يجب أن تكون كلماته مترابطة بخلاف الهومونيمي . والترابط نوعان :

(١) ترابط تاريخي .

(٢) ترابط عقلي أو نفسي .

يكون المعنيان مترابطين تاريخيا إذا أمكن ردهما إلى نفس الأصل ، أو كان أحد المعنيين مأخوذا عن الآخر . ويكونان مترابطين عقليا إذا كان المستعملون المعاصرون للغة يشعرون أنهما مترابطان وأنهما استعمالان مختلفان لنفس الكلمة .

وليس من اللازم أن يتطابق التقسيمان . فمثلا الكلمتان : ear (أذن) وear (سنبلة) قد يكونان مترابطين في عقل أبناء اللغة ولكنهما ينتميان تاريخيا إلى أصلين اشتقاقيين مختلفين . فالأولى من الأصل الإنجليزي القديم eare (قارنها بالكلمة اللاتينية auris بمعنى أذن) والثانية من الأصل الإنجليزي القديم ear (قارنها بالكلمة اللاتينية acus أو aceris بمعنى قشرة كوز الذرة مثلا) .

ويرى Lyons عدم الاعتماد على الأصل التاريخي في مثل هاتين الكلمتين ، واعتبارهما كلمة واحدة لأنهما كذلك في استعمال المتكلم الإنجليزي الحديث[1] .

معنى واحد أو معان متعددة :

سبق أن قلنا إن من الصعب الفصل بين ما سماه أولمان « تغييرات في الاستعمال » ، وما يسميه اللغويون « بوليزيمي » . ويترتب على صعوبة الفصل صعوبة الحكم على اللفظ أهو من نوع الـ monosemy (كلمة واحدة ـ معنى واحد) أو الـ polysemy (كلمة واحدة ـ أكثر من معنى) .

والأمثلة الآتية تبين صعوبة الحكم :

١ ـ إذا استعملنا كلمة paint لتعني « يحمي عن طريق استعمال دهان » أو لتعني « يزخرف عن طريق استعمال دهان » ، قد يبدو انه استعمال الكلمة في معنى واحد . وبدلا من القول إن paint لها معنيان : يزخرف ، ويحمي نقول إنها تحمل معنى واحدا : استخدام الدهان لـ . . مع تعدد أغراض الدهان .

٢ ـ ومثل هذا يقال عن كلمة suggest إذا استعملت مع إنسان ، ومع غير إنسان فهل تظل تحمل معنى واحدا ، أو تكون ذات معنيين ؟

٣ ـ والفعل get في الاستعمالات الآتية :

a - get a book.

b - get down.

c - get fired .

d - get tired.

هل يحمل معنى واحدا أو عدة معان ؟

(١) انظر Meaning and Style ص ٢٠ ، ٢١ ، وSemantics تأليف Leech ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، و Foundations of Linguistics ص ١٨١ .

يقترح Kimball فحص هذه المواقع بالبحث عن إعادة للصياغة . وحين نفعل ذلك سيتبين أننا نملك فعلا مختلفا في كل حالة :

فرقم a) تعني receive أو obtain

ورقم b) تعني move

ورقم c) تعني to be

ورقم d) تعني to become

ويخلص Kimball إلى القول: إذا كانت الكلمة المفحوصة تستخدم في تعبيرات متعددة وكانت الكلمات التي تأتي مرادفة للكلمة المفحوصة في هذه التعبيرات ليست مترادفة فيما بينها فمعنى هذا أن الكلمة المفحوصة من المشترك اللفظي[1] .

وتتمثل صعوبة الفصل كذلك في الكلمات ذات الاستخدامات المجازية فهل تعد من النوع الأول أو الثاني ؟

وأمثلة ذلك كثيرة منها :

١ ـ كلمة hand في اللغة الإنجليزية ترد في التعبيرات الآتية :

He raised his hand (حقيقة)

We gave him a hand (مجاز)

The hands of a clock (مجاز)

٢ ـ كلمة chair ترد في التعبيرات الآتية :

He sat in a chair

He has the chair of Linguistics.

Please address the chair

(١) انظر Get ص ٢٠٥ ، وانظر كذلك Dillon في كتابه : Introduction to Contemporary Linguistic Semantics ص ٤ .

٣ ـ كلمة boil ترد في التعبيرات الآتية :

The water is boiling.

The vegetables are boiling.

She boiled the eggs.

His wife is boiling

٤ ـ كلمة run ترد في التعبيرات الآتية :

a- He ran to the house.

b- The clock is running fast.

c- The train runs every hour.

d- His nose is running.

e- Time is running on.

f- The office runs well.

g- These are the running prices.

فهل نقول إننا نملك معنى واحدا حقيقيا أو معنى مركزيا لكل كلمة تدور حوله معان أخرى أو نملك عدة معان للكلمة الواحدة[1] ؟

ومثل هذا يقال عن الأمثلة العربية الآتية :

١ ـ كلمة « يد » ترد في الاستعمالات الآتية :

كسرت يد فلان

يد الفأس (مقبضها)

يد الطائر (جناحه)

(١) انظر Componential Analysis of Meaning ص ١١ ، و٣٥ ، و١٤٠ ـ ١٤٣ .

طويل اليد (للسمح الجواد)

يد الرجل (جماعة قومه وأنصاره)

٢ ـ كلمة « كتب » ترد في التعبيرات الآتية :

كتب الكتاب (انتسخه)

كتب البغلة (جمع بين شفريها بحلقة)

كتب القربة (خرزها بسيرين)

كتب الكتيبة (جمعها)

فهل نقول إننا أمام مجاز أو مشترك لفظي ؟

وفي رأيي أننا يجب أن نميز بين نوعين من المجاز :

أ ـ النوع الحي الذي ما زال يثير الغرابة والدهشة ، وهذا لا بد من اعتباره مرتبطا بمعناه الحقيقي ، ولذا لا بد من تفسيره على ضوء المعنى الحقيقي . فهذا يعد من النوع الأول مثل رأس المسمار ورجل الكرسي وإطلاق أسد على الرجل الشجاع .

ب ـ النوع الميت أو المنسى ، وهو في هذه الحالة لا يثير لدى السامع أي غرابة أو دهشة مثل استعمال الكتابة بمعنى النسخ حيث يفسرها السامع دون ربطها بمعناها الأول وهو كتب البغلة أو القربة . . . فهذا يعد من النوع الثاني وهو البوليزيمي وإن كان في أصله قد اعتمد على المجاز .

رأي إبراهيم أنيس في المشترك اللفظي :

للدكتور إبراهيم أنيس رأي متشدد في موضوع المشترك اللفظي ، إذ يخرج النوعين الأولين منه نهائيا ، ولا يعتبر من كلمات النوع الثالث إلا ما تباين فيه المعنيان كل التباين . أما إذا اتضح أن أحد المعنيين هو الأصل ، وأن الآخر مجاز له

فلا يصح أن يعد هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره . ذلك لأن المشترك اللفظي الحقيقي إنما يكون حين لا نلمح أي ضلة بين المعنيين ، كأن يقال لنا مثلا إن الأرض هي الكرة الأرضية وهي أيضا الزكام . وكأن يقال لنا إن الخال هو أخو الأم ، وهو الشامة في الوجه ، وهو الأكمة الصغيرة . ومثل هذه الألفاظ التي اختلف فيها المعنى اختلافا بينا قليلة جدا بل نادرة ، ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدا .

أما الكلمات التي تسمى بالأضداد فيرى أن اعتبارها من المشترك نوع من الإقحام لما بينها من صلة الضدية ، وهي صلة وثيقة في الدلالات . فلسنا نذكر الأبيض إلا ذكرنا معه الأسود . ولسنا نذكر الغبي إلا ذكرنا معه الذكي . ومع هذا فحين نسلم جدلا بأن الألفاظ التي وضحت الصلة بين معانيها يمكن أن تعد من المشترك اللفظي نراها قليلة العدد . فهي لا تكاد تجاوز العشرات[1] .

أما النوع الرابع فقد قبله الدكتور أنيس بدون تحفظ حين قال : « هناك كلمات كانت تستعمل في الأصل مختلفة الصورة والمعنى ثم تطورت صورة بعض منها حتى ماثلت البعض الآخر . وهكذا رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . فاشتراك الصورة في مثل هذه الكلمات لم ينشأ عن اشتراكها في المعنى الأصلي ، وإنما نشأ عن تغير في أصوات بعضها ترتب عليه مماثلة في اللفظ ، واختلاف أصلي في المعنى »[2] . وقد مثل له بكلمات مثل :

أ ـ التغب لها معنيان غير ظاهري العلاقة ، وهما : الوسخ والدرن ، والقحط والجوع . ويظهر أن كلمة « السغب » بمعنى الجوع قد تطورت في لهجة من اللهجات (ربما بعض قبائل اليمن) حتى أصبحت « التغب » وكونت مشتركا لفظيا .

---

(١) دلالة الألفاظ ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(٢) في اللهجات العربية ص ١٩٧ .

ب ـ يقال: حَرَبه حربا سلبه ماله ، وحرِب حربا اشتد غضبه . والكلمة الأولى ترد إلى الأصل «حرم» فلما قلبت الميم باء في لهجة من اللهجات العربية (كلهجة مازن مثلا) تداخل الفعلان وصارا فعلا واحدا.

وإذا كان لنا من تعليق على رأي الدكتور أنيس فإنه يتلخص فيما يأتي :

١ ـ أنه رغم تضييقه الشديد لمفهوم المشترك اللفظي في كتابه « دلالة الألفاظ » وقصره المشترك الحقيقي على كلمات لا تجاوز أصابع اليد والمشترك بمعناه الواسع على كلمات لا تجاوز العشرات ـ نجده في كتابه « في اللهجات العربية » يصرح بأن المعاجم العربية قد امتلأت بها (ص ٢٠١) وأن ما نشأ عن التطور الصوتي يبلغ المئات (ص ٢٠٤) .

٢ ـ أنه لم يستقر على وضع واحد بالنسبة لكلمات المشترك التي نشأت عن تطور صوتي فمرة اعتبرها من المشترك ومرة عدّ من الإسراف والمغالاة مجاراة المعاجم العربية في اعتبارها من المشترك وذكر أن الأقرب إلى الصواب أنها من قبيل التطور الصوتي[1] .

٣ ـ أنه ادعى أن القدماء لم يشيروا إلى التطور الصوتي كعامل من عوامل نشوء المشترك ولم يفطنوا إلى إمكان حدوثه[2]. وقد سبق أن ضربنا أمثلة كثيرة على هذا النوع من كلام كراع نفسه.

٤ ـ أنه مزج بين المنهجين الوصفي والتاريخي في علاج هذه الظاهرة ، وكان الأولى أن يقتصر على أحدهما .

الآثار الإيجابية للمشترك اللفظي :

من الممكن أن يصل الباحث إلى مجموعة من الآثار الإيجابية لهذه الظاهرة منها :

---

(١) السابق ص ٢٠٣ . (٢) السابق ص ٢٠١ .

١ ـ أن وجود كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء التي قد نتناولها بالحديث من شأنه أن يفرض حملا ثقيلا على الذاكرة الإنسانية . وسوف يكون حالنا حينئذ أسوأ من حال الرجل البدائي الذي قد توجد لديه كلمات خاصة للدلالة على المعاني الجزئية كغسل نفسه ، وغسل رأسه ، وغسل شخص آخر ، وغسل رأس شخص آخر ، وغسل وجهه ، وغسل وجه شخص آخر . . . في حين أنه لا توجد لديه كلمة واحدة للدلالة على العملية العامة البسيطة وهي مجرد الغسل . إن اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الأفكار المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة . وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعا من المرونة والطواعية فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة[١] .

٢ ـ استغلال الغموض كخاصة من خواص الأسلوب ، وهو أمر وجد في الآداب القديمة وما يزال يوجد في الآداب الحديثة[٢] . ويدخل تحت هذا الاستغلال صور من الفنون الأدبية والبلاغية مثل التلاعب بالألفاظ والجناس والتورية وأسلوب الحكيم . وقد قام بدراستها والتمثيل لها وتحليلها في اللغة الإنجليزية William Empson في كتابه البديع Seven Types of Ambiguity . ومن الأنواع التي ذكرها : الغموض الذي يقع في الشعر بسبب التصوير ، ووضع الكلمة في سياقات غير متوقعة فتثير انتباه السامع ، والتعبير عن معنيين أو أكثر يمكن تبادلهما بشيء واحد ، وتقديم معنيين لا يبدو اتصال بينهما في وقت واحد ، وإثارة نوع من التناقض في ذهن القارىء أو السامع ممايضطره الى أن يوجد تفسيرا أو تحليلا يرفع هذا التناقض[٣] .

---

(١) أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١١٦ .

(٢) السابق ص ١٢٥ . وانظر اللغة لفندريس ص ٢٢٩ .

(٣) انظر صفحات ٢ ـ ٤ ، ٤٨ ، ١٠٢ ، ١٧٦ بوجه الخصوص

ويمكن التمثيل من اللغة العربية للاستغلال الأدبي لهذه الظاهرة بالأمثلة الآتية :

أ ـ قال تعالى : ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة

ب ـ وقال أبو تمام :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

حـ ـ وقال أبو العلاء المعري :

لم نلق غيرك إنسانا يلاذ به فلا برحت لعين الدهر إنسانا

د ـ وقال أبو نواس :

عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضلُ فضلٌ ، والربيعُ ربيعُ

فالكلمات الأولى في بيت أبي نواس أعلام ، والثانية أوصاف .

وهذه كلها أمثلة للجناس .

أما أمثلة التورية فمنها قول الشاعر :

أ ـ أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب
ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم حبيب

فالتورية في كملة « حبيب » التي تعنى المحبوب ، وهو المعنى القريب الذي يتبادر الى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة « بغيض » ، كما تعنى حبيب بن أوس ، وهو الشاعر أبو تمام . وهذا المعنى بعيد ، وقد أراده الشاعر ، ولكنه تلطف فورّى عنه .

ب ـ وقول الشاعر أبي الحسين الجزار :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ ـت حفاظا وأهجر الأدابا
وبها صارت الكلاب ترجيـ ـني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

والتورية في كلمة « الكلاب » الثانية التي أراد بها الشاعر : لئام الناس . وقد جمع الشاعر إلى التورية الجناس التام بين كلمتي « الكلاب » في البيت الثاني .

حـ ـ وقول الشاعر :

رفقا بخلٌ ناصح أبليته صدا وهجرا
وافاك سائل دمعه فرددته في الحال نهرا

(النهر : المعروف ، والنهر : مصدر نهر بمعنى زجر وهو المعنى المراد)

وأما التلاعب بالألفاظ وأسلوب الحكيم فمن أمثلته : دخل حذيفة على عمر بن الخطاب وكان أميرا للمؤمنين فسأله عمر السؤال التقليدي : كيف أصبحت ، فأجاب حذيفة : أصبحت أحب الفتنة ،وأكره الحق ،وأصلي بغير وضوء ، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء . وعندما سمع الخليفة عمر هذا الرد غضب . . ودخل علي بن أبي طالب فقال : والله لقد صدق يا أمير المؤمنين : فقد أصبح يحب الفتنة : أي يحب ماله وولده « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » . وأصبح يكره الحق : أي الموت . . ويصلي بغير وضوء : أي يقول : اللهم صلي على سيدنا محمد . وله في الأرض ما ليس لله في السماء : أي له زوجة وولد .

ومن أمثلته كذلك : لما توجه خالد بن الوليد لفتح الحيرة أتى إليه من قبل أهلها رجل ذو تجربة ، فقال له خالد : فيم أنت ؟ قال : في ثيابي .فقال :علام أنت ؟ فأجاب على الأرض.فقال :كم سنك؟ فقال : اثنتان وثلاثون (يعني عدد أسنانه).

والحوار التالي بين الحجاج وأحد خصومه مثال آخر :قال الحجاج متوعدا لخصمه : لأحملنك على الأدهم (يعني القيد) فقال الرجل : مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب (يعني الفرس) . فقال الحجاج : ويلك : إنه

لحديد . فردّ الرجل : لأن يكون حديدا خير من أن يكون بليدا[1] .

٣ ـ استخدام اللفظ في معنى مجازي يجعلـه أكثـر أدبية ، إذ يصبـح مليئـا بالحيوية والإشراق ، قادرا على التأثير في النفس،فضلا عما يثيره وبخاصة إذا كان مجازا جديدا ـ من دهشة واهتمام .

تأمل الأمثلة الآتية :

أ ـ التهم أخي ثلاثة كتب مساء أمس .

ب ـ طار الفرس في الطريق .

حـ ـ بكت الأخلاق موت فلان .

د ـ ضحكت الأشجار .

وبهذا يستطيع الأديب أن ينقلنا إلى عالمه المتخيل ، في الصورة التي يختارها .

٤ ـ كثيرا ما يأتي تعدد المعنى أو نقله لسد فجـوة معجمية ، وكثيرا ما يرد هذا النوع في حياتنا اليومية وفي لغتنا العادية .

وأفضل أمثلة على هذا استخدام أعضاء البدن ـ في كل اللغات ـ استخدامات مجـازية مع الجمادات مثـل : أنف الجبل ـ عنق الزجاجة ـ رجل الكرسي ـ عين الإبرة ـ حاجب الشمس ـ جفـن السيف ـ لسان الميزان ـ صدر النهار ـ يد القوس ـ كبد السماء . .

الآثار السلبية للمشترك اللفظي :

إن أخطر الآثار السلبية لظاهرة المشترك اللفظي[2] ما قد توجده من تشويش يعوق التفاهم ، أو يلقي ظلالا من الغموض على المعنـى . ويترتـب على ذلك

(١) وانظر أمثلة أخرى في كتب البلاغة ، وفي حاشية : دور الكلمة في اللغة ص ١٢٦ .

(٢) ينطبق هذا على البوليزيمي والهومونيمي جميعا . ويرى Robert Minner أن البوليزيمي ربما كان أخطر على المعنى من الهومونيمي نظرا لكثرة تردده في الكلام (Multiple Meaning ص ٦٠) .

صراع بين المعنيين أو المعاني يحمل نتائج لغوية هامة قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها . وتواجه اللغة هذه المشكلة الخطيرة أو الحالة الوبائية ـ كما سماها أولمان[1] ـ بجملة من الإجراءات السريعة تضع حدا لهذا الصراع ، وتفصل بين الكلمتين . ومن هذه الإجراءات :

أولا : هجر أحد المعنيين وتركه بالكلية لتصادمه[2] مع المعنى الآخر ، وكثيرا ما يهجر المعنى ويبقى المعنى الثاني ، إذا ما حدث الاحتكاك .

وعادة ما يحدث الاحتكاك إذا تحققت الشروط الآتية :

١ ـ أن تكون الكلمتان مستعملتين في نفس المجال اللغوي وفي طبقة اجتماعية واحدة . وإن كلمة يستعملها الفلاحون لا يمكن أن يحدث احتكاك بينها وبين نفس الكلمة إذا كانت مستعملة في لغة المثقفين . ومن أمثلة هذا الاحتكاك من اللغة الإنجليزية : الكلمتان : a near (كُلية) و an ear (أذن) في حالة وجود أداة التنكير فيهما ، كانتا تنطقان بصورة واحدة . ولما كان من الواضح عدم إمكانية تسمية عضوين مختلفين من أعضاء الانسان باسمين متحدين في النطق حلت الكلمة kidney محل كلمة near في معظم المناطق . أما في المناطق الأخرى حيث بقيت كلمة near فإن الكلمة ear هي التي اختفت وحل محلها كلمة أخرى هي lug[3] .

٢ ـ أن تكون الفترة الزمنية واحدة . فلا يمكن أن يعد اللفظ الذي هجر في وقت ما متأثراً بلفظ آخر لا يشترك معه في الفترة الزمنية .

٣ ـ أن تنتمي كلمتا المشترك اللفظي إلى نفس النوع الكلامي وأن يردا في نفس

---

(١) انظر : دور الكلمة في اللغة ص ١٣٠ .

(٢) من المجازفة أن ننسب اختفاء معنى قديم دائما إلى ظهور معنى جديد أو انتشاره . فقد يختفي المعنى بسبب اختفاء الشيء الذي يعبر عنه . كما قد يختفي اللفظ لصعوبة النطق به ، وذلك حين يوجد لفظ آخر أسهل منه يؤدي معناه .

(٣) دور الكلمة في اللغة ص ١٣١ ، ١٣٢ . و Meaning and Style ص ٢٢ ، ٢٣ .

التراكيب النحوية . فليس من المحتمل نشوء صراع بين اسم وفعل ، أو اسم وصفة ، أو مفرد وجمع ، كما ليس من المحتمل نشوء صراع بين لفظين يختلفان في التراكيب النحوية التي يردان فيها .

والأمثلة على عدم حدوث الاحتكاك كثيرة منها :

أ ـ كلمة fly الإنجليزية التي تستعمل اسماً وفعلاً .

ب ـ كلمة red التي لا تلتبس بكلمة read (صيغة الماضي) لاختلاف النوع الكلامي (لاحظ اتحاد النطق ، ولا يهم اختلاف الكتابة) .

حـ ـ كلمتا sow (ينثر ـ يبذر الحب) و sew (يخيط) لاختلاف التركيب النحوي الذي تقع فيه كل . والكلمات والأفكار التي تصاحب كلاً منهما عادة ما تختلف .

د ـ كلمة « دقيق » العربية التي تستعمل صفة في مثل « كلام دقيق » واسما في مثل « استيراد الدقيق » .

هـ ـ كلمة « غروب » التي تأتي مفرداً وتأتي جمعاً .

و ـ كلمة « قدح » اسم لما يشرب فيه ، مع كلمة « قدح » الفعلية (قدح في نسبة أي طعن)

ز ـ كلمة « ثعبان » بمعنى العظيم من الحيات ، مع كلمة « ثعبان » جمع « ثَعْب » ، وهو مسيل الوادي .

٤ ـ أن تتحد كتابة الكلمتين كما في light (بمعنى خفيف وبمعنى ضوء) . أما اختلاف كتابتهما فقد يعمل على الاحتفاظ بهما بعيدتين عن الاحتكاك ، لأنه عادة ما يصحب نطق المثقف للفظ تصور من نوع معين لطريقة كتابته . ولهذا نجد هذا النوع من الكلمات يتم التخلص فيه من أحد اللفظين في لغة الحديث أسرع من لغة الكتابة [1] .

---

(١) انظر من قضايا اللغة والنحو ص ٣٢ ، ودور الكلمة في اللغة ص ١٢٨ ، و Edna williams في كتابه القيم : The conflict of Homonyms in English في مواضع متعددة من الكتاب .

ومن أمثلة اختلاف الكتابة كلمتا : sow و sew السابق ذكرهما ، وكلمتا right وrite [1] .

ثانياً : بقاء اللفظين ، مع الاعتماد على السياق أو القرينة الخارجية لتحديد المعنى المراد . وإنه نفوذ السياق الذي يجعلنا نعطي كلمة ما بضعة معان مختلفة دون خشية الخلط . ونعتمد على السياق الذي يحدد المعنى المراد ويستبعد المعاني الأخرى من الذهن .

فحينما يسمع الإنجليزي الجملة wines and spirits لا يفكر إلا في معنى واحد ولا يرد بباله الملاك أو الشبح أو الروح . . وحينما يسمع قول القائل : He will write a letter لن يخطر بباله التساؤل : أهي write أم right أمrite ؟

ومن أمثلة ذلك في العربية كلمة « عين » التي تستعمل حتى الآن في أكثر من معنى دون خوف الالتباس اعتماداً على دلالة السياق . فقولنا : تفجرت عين في الصحراء غير قولنا : دمعت عين فلان . ومن ذلك العبارة المنقولة عن ابن عباس حين أصابت الناس زلزلة : أزلزلت الأرض أم بي أرض (أي رعدة)[2] .

---

(١) قد يعجل بهجر الكلمة تشابهها في النطق مع كلمة ذات انطباعات سيئة ، أو تطابقها مع كلمة مستهجنة أو ذات مغزى سيء . فكلمة undertaker بعد أن تخصصت في معنى funeral undertaker فقدت معانيها الأخرى التي ما يزال في استطاعة الكلمة الأخرى undertaking أن تؤديها . ومن الأمثلة الطريفة النادرة ما حدث لكلمتي queen (بمعنى وقحة أو سيئة السلوك أو فاجرة ، وملكة) فلم تهجر الكلمة في معناها الحسن ، ولكن هجرت في معناها السيء . وهذا نادر الحدوث . ومن أمثلة هجر الكلمة لتشابهها في النطق مع كلمة ذات انطباع سيء كلمة ass الإنجليزية التي تتشابه في النطق مع كلمة arse ذات المدلول غير المهذب .

وأمثلة هذا النوع من اللغة العربية : كلمة كنيف التي كانت تعنى الساتر أو الحظيرة من الشجر فلما استعملت بالمعنى المعروف هجرت في معناها الأول . وكلمة « قحبة » كانت تعني في العربية القديمة المرأة الكثيرة السعال ، ثم أطلقت على المرأة الفاجرة أو البغي لأنها كانت تسعل وتتنحنح لتلفت نظر طلابها . فحين استعمل اللفظ في معناه الثاني هجر في معناه الأول .

وقد يؤدي التشابه الصوتي إلى تجنب الكلمة منذ البداية . ففي مصر يقولون : عنده أمل وآمال ولكنهم يتجنبون استعمال الفعل واسم الفاعل (يؤمل - مؤمل) لأنها يتطابقان مع النطق المصري لكمتي يقملّ ومقمّل . ويستغنون عن هذا بقولهم : عنده أمل .

(٢) ومن ذلك : الخياط يقص الثوب - البدوي يقص الأثر (فندريس - اللغة ص ٢٢٨) .

وقد أدى الاعتماد على السياق إلى أن تعيش كثير من كلمات المشترك اللفظي جنباً إلى جنب عدة قرون في اللغة الواحدة دون أن يسبب ذلك غموضاً أو سوء فهم ، أو حتى صعوبة من نوع ما .

ومع هذا يحدث أحياناً أن يعجز السياق عن تحديد المعنى المراد ، أو أن يفسد اللفظ الغامض معنى بقية الجملة بدلاً من أن يكتسب الوضوح منها . وقد لاحظ يسبرسن الخلط الذي وقع بين الكلمتين son و sun حين سألت والدة طفلتها الصغيرة عما إذا كانت اللعبة التي تضمها بين ذراعيها هي her son فأسرعت الطفلة نحو الشباك وصاحت - مشيرة إلى السماء - that is my sun . كذلك فإن كلمة bore في الجملة : Our mother bore us لا يتضح معناها : أهو : حملتنا ؟ أم أطاقتنا وتحملتنا[1] ؟

ثالثاً : تغيير صيغة إحدى الكلمتين حتى تأخذ شكلاً خاصاً بها يميزها عن الكلمة الأخرى . ومن أمثلة ذلك كلمة gate (مدخل - شارع) . وقد وجدت طريقتان لعلاج مشكلة الغموض . الطريقة الأولى هي طرح gate الثانية جانباً . والطريقة الأخرى - وهي التي تهمنا هنا - التفريق في الصيغة الصوتية بينهما ، وذلك بتحويل gate بمعنى مدخل إلى yate أو yett

ومن أمثلة ذلك من اللهجة الليبية : كلمة « رقبة » التي تنطق « رگْبة » . وبهذا تلتقي في النطق مع كلمة « رُكْبة » الموجودة بالفعل . وقد كان المتوقع نطق اللفظين بالكاف المجهورة لمجاورتها الباء ، ولكن لأمن اللبس بالغ الليبيون في جهر كاف الكلمة الأولى وهمس كاف الكلمة الثانية .

ومن أمثلته من العامية المصرية كلمة : دقيق بالنطق القاهري . فهي تنطق إذا كانت بمعنى دقيق القمح « دِئِيء » بكسر الدال ، وإذا كانت في مثل العبارة « كلام دئيء » تنطق بفتح الدال[2] .

---

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١٢٩ ، ومن قضايا اللغة والنحو ص ٣٤ .

(٢) تتخلص اللهجة الكويتية من مثل هذا المشترك اللفظي عن طريق تخصيص كلمة دقيق (تنطق دجيج) للمعنى الثاني ، والتعبير عن المعنى الأول بكلمة طحين .

رابعاً : عدم استخدام بعض الكلمات التي ينبغي أن تنطق بإبدال صوتي معين (طبقاً لنظام اللهجة الصوتي) وذلك لأنها لو استخدمت بعد إبدالها الصوتي لطابقت كلمة أخرى موجودة بالفعل في اللغة ، مما يؤدي إلى نشوء المشترك اللفظي .

ومن أمثلة ذلك من العامية المصرية كلمة : « ذم » التي تقلب ذالها زاياً (زمّ) ولا تقلب دالاً (كما حدث مع ذبح ــ دبح ، وذبل ــ دبل) حتى لا تلتبس بكلمة دم المستعملة في اللهجة . ومثلها كلمة « ضرس » التي تنطق ضادها دالاً لأمن اللبس . ولكن في : « أسنانه تضرس » حوفظ على الضاد حتى لا يلتبس اللفظ بكلمة « تدرس » المستعملة في اللهجة [1] .

خامساً : وقد ينتج عن صراع المعاني بين كلمات المشترك اللفظي تحديد استعمال الكلمات . فتخصص كلمة منه بمجموعة أو مهنة أو دائرة معينة . فكلمة « جذر » لها معنى واحد عند الفلاح أو عالم البنات ، ولها معنى ثان عند اللغوي ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات . ولا تتصارع هذه الكلمات لتخصيص كل منها بمهنة معينة [2] .

أسباب المشترك اللفظي عند المحدثين :

لا تختلف أسباب المشترك اللفظي كثيراً عند المحدثين عما سبق ذكره عند القدماء . فمن أسبابه عندهم الاتساع المجازي مثل تضييق المعنى أو توسيعه ، والاستعارة ، ونقل المعنى . . كما أن من أسبابه حدوث تطور صوتي يؤدي إلى تطابق لفظين .

ومن الأمثلة التي أوردوها :

---

(١) انظر دور الكلمة في اللغة ص ١٣٢ ، ومن قضايا اللغة و النحو ص ٣٤ - ٣٦ . وانظر أيضاً The conflict of homonyms in English .

(٢) انظر Introduction to Historical Linguistics p. 174 .

أ ـ كلمة bird الإنجليزية ، كانت تعنى قديماً الطائر صغير السن أما الآن فهي تطلق على أي طائر .

ب ـ بعض أسماء الأشخاص التي صارت أسماء عامة مثل Boycott التي كانت اسماً لمالك أرض أيرلندي (١٨٣٢ ـ ١٨٩٧) أساء معاملة المستأجرين فقاطعوه . وقد أصبح اسمه يطلق فيما بعد على المقاطعة ، أو رفض القيام بعمل كنوع من الاعتراض .

حـ ـ كلمة meat كانت تعنى قديماً الطعام ثم خصصت الآن باللحم .

د ـ كلمة bead كانت تعني الخرزة أو حبة المسبحة ثم استعملت في معنى التسبيح والدعاء . ما العلاقة بين المعنيين ؟ لقد نتج عن أن بعض أعضاء الكنيسة الكاثوليكية كانوا يعدون أدعيتهم وتسابيحهم على حبات منظومة في خيط أن نشأ التعبير « يعدّ حباته » التي تعنى كلاً من حبات الخرز والدعوات . وظل اللفظ بمعنييه جنباً إلى جنب فترة من الزمن ثم غلب على الدعاء .

هـ ـ كلمة Salary تعنى الآن المرتب من أي نوع . وقد كانت في الماضي تعنى ـ في أصلها اللاتيني ـ مرتب الجندي . وإذا تتبعنا اللفظ في فترة أقدم وجدناه يعني فقط حصة الجندي من الملح .

و ـ كلمة pill كانت تستعمل قديماً لأي قرص من الدواء يستعمل لأي غرض . ثم مع شيوع استخدام وسيلة منع الحمل عن طريق الأقراص صارت كلمة pill ضيقة المعنى وتعني فقط « قرص منع الحمل » وحلّ محل الكلمة العامة كلمة أخرى هي tablet [1]

ز ـ كلمة head التي يوجد لها في معجم New England بالإضافة إلى معناها الحرفي

---

(١) من قضايا اللغة والنحو ص ٢٩ ، و Introduction to Historical Linguistics ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ . وانظر إبراهيم أنيس : في اللهجات العربية ص ١٩٣ وما بعدها . وتجد أمثلة أخرى في اللغة لفندريس ص ٢٥٦ وما بعدها .

ستة عشر معنى تشير إلى أشياء مادية ، وستة تتضمن معاني مجازية متنوعة ، وكلها متطورة عن معنى مركزي .

أما أمثلة التطور الصوتي فقد سبقت في أكثر من موضع .

ويذكر إبراهيم أنيس أسباباً أخرى مثل :

أ ـ سوء فهم المعنى وبخاصة من الأطفال .

ب ـ الاقتراض من اللغات الأجنبية ، فقد يحدث أن تطابق الكلمة المقترضة كلمة كانت موجودة في اللغة من قبل فتكون معها مشتركاً لفظياً .

حـ ـ حدوث تطور في معاني الكلمات على مستوى اللهجات[1] .

(١) انظر : في اللهجات العربية ص ١٩٦ وما بعدها .

الفصل الثاني

الأضداد

لا نعني بالأضداد ما يعنيه علماء اللغة المحدثون من وجود لفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنى ؛ كالقصير في مقابل الطويل والجميل في مقابل القبيح[1] ، وإنما نعني بها مفهومها القديم وهو اللفظ المستعمل في معنيين متضادين .

وعلى الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللفظ الواحد في معنيين متضادين في كل اللغات فإن الاهتمام الذي لاقته هذه الظاهرة من اللغويين المحدثين كان ضئيلاً ، وربما لم تشغل من اهتمامهم إلا قدراً يسيراً ، ولم تستغرق مناقشتهم لها إلاّ بضعة أسطر . ومن ذلك ما ذكره أولمان في كتابه المترجم « دور الكلمة في اللغة » أثناء حديثه عن تعدد المعنى : « من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنباً إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة . فالكلمة اللاتينية altus مثلاً قد يكون معناها « مرتفع » أو « منخفض » . وهذا مرجعه إلى الإدراك النسبي للمدى . وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم . والكلمة sacer هي الأخرى قد يكون معناها « مقدس » أو « ملعون » . وكذلك الشأن في الكلمة الفرنسية الحديثة sacré ، والكلمة الإنجليزية blessed (مقدس أو ملعون) »[2] . وأشار « فندريس » بصورة عارضة إلى بعض كلمات تعبر عن

(١) لم تلق هذه القضية اهتمام اللغويين العرب ، ولم يخصوها بتأليف مستقل . ولكن عقدت لها بعض كتب الأدب فصولاً ، مثلما فعل صاحب الألفاظ الكتابية . (انظر : الأضداد في اللغة لآل ياسين ص ٩٩) .

(٢) ص ١١٩ ، ١٢٠ . وانظر أمثلة أخرى في اللغة الفرنسية : عبد الفتاح بدوي في تعليقه على مادة الأضداد بدائرة المعارف الإسلامية .

أعنف شعور بالغضب أو البغض حين تستخدم استخدام عبارات المداعبة اللطيفة البريئة من كل احتقار أو ملام . كما أشار إلى عبارات أخرى مثل « لطيفة بإزعاج» و « خبيث بشكل جميل »[1] .

ومن أجل هذا سيكون حديثنا عن هذه الظاهرة ـ في جملته ـ متعلقاً برأي القدماء والمعاصرين من العرب والمستشرقين ، مع الاستفادة من معطيات علم اللغة الحديث في مناقشة مختلف الآراء والتعليق عليها .

التأليف في الأضداد :

ممن ألف في الأضداد تأليفاً مستقلاً :

١ ـ ابن الانباري (٣٢٨ هـ) . وقد نشر كتابه أكثر من مرة . فقد طبع في ليدن بتحقيق هو تسما عام ١٨٨١ م ، وطبع في مصر عام ١٩٠٧[2] . وأفضل طبعة له تلك التي حققها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ونشرتها دائرة المطبوعات والنشر بالكويت عام ١٩٦٠ .

٢ ـ الأصمعي (٢١٦ هـ) .

٣ ـ أبو حاتم (٢٥٥ هـ) .

٤ ـ ابن السكيت (٢٤٤ هـ) .

٥ ـ الصاغاني (٦٥٠ هـ) .

وقد حقق الكتب الأربعة أوغست هفنر وطبعت في بيروت عام ١٩١٣ .

٦ ـ قطرب (٢٠٦ هـ) . وقد حققه ونشره في مجلة Islamica هانس كوفلر مجلد رقم ٥ عام ١٩٣١ .

---

(١) اللغة ص ٢٦٧ ، ٢٧٥ . وقد سبق في حديثنا عن المشترك اللفظي عرض الخلاف بين أولمان وسكوف في اعتبار التضاد من الهومونيمي أو البوليزيمي .

(٢) الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري ص ١٢٠ .

٧ ـ أبو الطيب (٣٥١ هـ) . وقد حققه ونشره الدكتور عزة حسن وطبع في دمشق عام ١٩٦٣ . ويمتاز هذا الكتاب بأنه :

أ ـ قابل ما ورد في الكتب السابقة وأخذ عنها أصح العبارات وأوثق الروايات .

ب ـ ضم إليها ما ثبت لديه من هذا الفن .

حـ ـ أكثر من الشواهد وبالغ في ذلك .

د ـ رتبه على حروف المعجم . وهو أول كتاب في الأضداد يفعل ذلك ، وإن كان لم يلتزم بذلك التزاماً دقيقاً .

هـ ـ ميز ألفاظاً ادعى من سبقه أنها من الأضداد ، ويرى هو عكس ذلك ، وذيل كتابه بها[1] .

٨ ـ ابن الدهان (٥٦٩ هـ) . وقد نشر في النجف عام ١٩٥٢ ضمن مجموعة نفائس المخطوطات بتحقيق محمد آل ياسين ، وأعيد طبعه في بغداد عام ١٩٦٣[2] .

وهناك مؤلفات أخرى في الأضداد لم تصل إلينا منها :

١ ـ كتاب الأضداد للتوزي (٢٣٠ هـ) . ذكره المبرد في الكامل والقفطي في إنباه الرواة ، ورواه ابن خير الإشبيلي في الفهرس .

٢ ـ ولثعلب (٢٩١ هـ) جزء في الأضداد كما ذكر ابن خير الإشبيلي .

٣ ـ وألف ابن فارس (ت ٣٩٥) كتاباً في الأضداد ، ذكر فيه ما احتج به المنكرون لوجودها ، وردّ ذلك ونقضه[3] .

---

(١) انظر مقدمة المحقق ص ١٠ ، ١١ . وقد اشتمل كتاب أبي الطيب على نحو ٣٥٧ كلمة ، في حين اشتمل كتاب الأصمعي على ١٠٥ كلمة وكتاب السجستاني على ١٧٠ كلمة وكتاب ابن السكيت على ٩٤ كلمة .

(٢) انظر : من قضايا اللغة والنحو ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) ابن درستويه ص ٨٣ ، والصاحبي ص ٩٨ . وانظر : الأضداد في اللغة لحسين محمد ٩ / ١ / ١٠٤ .

الأضداد بين المثبتين والمنكرين :

اختلف العلماء في وجود هذا النوع من المشترك اللفظي . فمنهم من أنكره ومنهم من أثبته . أما المنكرون فهم قلة وعلى رأسهم :

١ ـ أحد شيوخ ابن سيده . قال ابن سيده في المخصص : « وكان أحد شيوخنا ينكر الأضداد » .

٢ ـ بقلب (٢٩١ هـ) وقد كان من رأيه أنه « ليس في كلام العرب ضد ، لأنه لو كان فيه ضدّ لكان الكلام محالاً . ولعل الجزء الذي ألفه في الأضداد إنما ألفه بقصد إبطالها .

٣ ـ ابن درستويه (٣٤٧ هـ) الذي ألف كتاباً في إبطال الأضداد كما ذكر السيوطي في المزهر . وأشار ابن درستويه إلى هذا الكتاب في موضعين من « التصحيح »[١] ونقل منه شيئاً في تعزيز ما ذهب إليه .

٤ ـ وانتصر الجواليقي لهذا الرأي ونسبه للمحققين من علماء العربية ، ثم عرض كثيراً من كلمات الأضداد وبين عدم التضاد فيها[٢] .

ولم يكشف ابن درستويه (في حدود ما وصلنا من نصوص عنه) عن العلة في إبطاله الأضداد ، ولكن يبدو أن ذلك ينسجم مع رأيه في المشترك اللفظي ككل . وقد سبق في بحثنا عن المشترك اللفظي أن ذكرنا تضييق ابن درستويه لهذه الظاهرة أشد التضييق وإخراجه منها كل ما يمكن رد معانيه إلى معنى واحد . والاقتباس التالي أورده الجبوري نقلاً عن تصحيح الفصيح . قال ابن درستويه « النَّوء : وهو الارتفاع بمشقة وثقل . ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع ، ينوء .

(١) هو تصحيح الفصيح . ومنه نسخة في مكتبة عارف حكمت ، وأخرى في المدينة المنورة (انظر : ابن درستويه ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ . وقد طبع الجزء الأول منه عام ١٩٧٥ بتحقيق عبد الله الجبوري .

(٢) انظر : من قضايا اللغة والنحو ص ٣٦ ، ٣٧ والمخصص ١٣ / ٢٥٩ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٥١ والمزهر ١ / ٣٩٦ والأضداد وموقف ابن درستويه منها ص ٤٥ .

وقد قيل للجارية الممتلئة اللحيمة إذا نهضت : قد ناءت . وللدابة قد ناء بحمله أي نهض . ومه قول الله عز وجل : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . وقد زعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضاً وأنه من الأضداد . وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد . وليس هذا موضع ذكره »[1] .

ولجأ المنكرون للأضداد إلى بعض الأدلة العقلية لتأييد رأيهم ومن ذلك :

١ ـ ما قاله تاج الدين الأرموي محمد بن الحسين (٦٥٣ هـ) في كتابه الحاصل وهو مخطوط : « إن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد لأن المشترك يجب فيه إفادة التردد بين معنييه والتردد في النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ »[2] .

٢ ـ أن وجود الأضداد يعدّ نقصاً في العرب وفي لغتهم[3] .

أما المثبتون للأضداد فهم كثر يجلون عن الحصر[4] . ومنهم من عنّى نفسه بالرد على منكري الأضداد . ومن هؤلاء ابن الأنباري الذي يقول في كتابه « الأضداد » إن « كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره . . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر »[5] . ومنهم ابن فارس الذي يقول : « وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء . وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طِرْفاً هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جرّدنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه فلذلك لم نكرره »[6] .

وقد انضم معظم علماء الأصول إلى جمهرة اللغويين في إثبات هذه الظاهرة .

(١) الأضداد وموقف ابن درستويه منها ص ٤٥

(٢) المزهر ١ / ٣٨٧ ، والأضداد وموقف ابن درستويه منها ص ٤٦ .

(٣) انظر : من قضايا اللغة والنحو ص ٣٧ .

(٤) انظر اقتباسات لهم في المزهر ١ / ٣٨٩ وما بعدها .

(٥) ص ٢ .

(٦) الصاحبي ص ٩٨ .

يقول السيوطي في المزهر : « قال أهل الأصول : مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا ، بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيض والطهر ، فإنهما مدلولا القرء ، ولا يجوز اجتماعهما لواحد في زمان واحد أو يتواصلا . . »[1] . وقال ألكيا في تعليقه : « المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين . فمما يقع على الضدين كالجون وجَلَل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين »[2] .

الأضداد بين المضيقين والموسعين :

يتفاوت المثبتون للأضداد في توسيع مفهوم اللفظ وتضييقه ، ومن الموسعين من بالغ في التوسيع ، كما أن من المضيقين من بالغ في التضييق .

أ ـ أما الموسعون فيدخلون في الأضداد ما كان من اختلاف اللهجة . ومن هؤلاء ابن السكيت الذي يقول إن لمقت الشيء بمعنى كتبته ومحوته من الأضداد مع أنه ينص على أن الأولى لغة عقيل والثانية لسائر العرب . وكذلك فعل الفارابي اللغوي في كلمات مثل الشعب بمعنى الجمع والتفريق . وكذلك فعل ابن الانباري في « لمق » وفي « سمد » التي تعنى « لها » في لغة أهل اليمن ، و « حزن » في لغة طيء . ومثل هذا ورد في كتاب أبي الطيب حيث ذكر أن السدفة من الأضداد رغم نصه على أنها في لغة تميم الظلمة ، وفي لغة قيس الضوء[3] .

ب ـ وأما المضيقون فيخرجون النوع السابق من الأضداد . ومن هؤلاء ابن دريد الذي يقول في الجمهرة : « الشعب الافتراق ، والشعب الاجتماع ، وليس من الأضداد إنما هي لغة قوم » . وعلق السيوطي على هذا بقوله : فأفاد بهذا أن شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظين في المعنيين في لغة واحدة[4] .

---

(١) ١ / ٣٨٧ .

(٢) راجع الأضداد لكل من ابن السكيت وابن الانباري وأبي الطيب في صفحات متعددة ، وديوان الأدب ٢ / ١٩١ ، ومن قضايا اللغة والنحو ص ٣٩ .

(٣) الجمهرة ١ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، والمزهر ١ / ٣٩٦ .

كما أن منهم ذلك الفريق الذي يخرج الكلمات التي يمكن أن ترد إلى معنى عام يجمعها . ومن هؤلاء أبو علي القالي الذي يقول في أماليه : « الصريم الصبح . سمى بذلك لأنه انصرم عن الليل . والصريم الليل ؛ لأنه انصرم عن النهار . وليس هو عندنا ضدا » ويقول : « النطفة الماء تقع على القليل منه والكثير ، وليس بضد »[1] .

ومن هذا الفريق أولئك الذين قالوا في لفظ « المأتم » إنه لمطلق جماعة النساء سواء كن في وليمة أو مناحة أو غيرهما ، فأخرجوه بهذا من الأضداد .

كذلك منهم الذين أخرجوا ما كان على مفتِعل ومفتعَل مما عينه منقلبة عن واو أو ياء كالمبتاع بمعنى المشترى والمبتاع بمعنى الشيء الذي تشتريه . والمجتاب بمعنى اللابس ، وبمعنى الملبوس[2] .

حـ ـ وأما المبالغون في التوسيع فكثيرون منهم أبو حاتم وقطرب وابن الأنباري . فقد اعتبر الأولان لفظ « مأتم » من الأضداد ، لأنه يطلق على النساء المجتمعات في فرح وسرور وفي غم وحزن ومناحة[3] . واعتبر ابن الأنباري وغيره من الأضداد « فعيلاً » إذا ورد بمعنى فاعل وبمعنى مفعول كالرعيب بمعنى الشجاع ، وبمعنى الجبان . فالأول فاعل والثاني مفعول[4] . وكذلك الربيب بمعنى الراب وبمعنى المربوب ، والأمين بمعنى المؤتمن والمؤتمَن . واعتبروا من الأضداد مثل مختار ومعتدّ مما يحتمل أن يكون اسم فاعل واسم مفعول . وقد اعتبروا من الأضداد مثلاً : مرتدّ للذي يرتدّ الشيء ، والذي يرتدّ منه الشيء . ومزداد يكون للفاعل الذي يريد الزيادة ، والمفعول الذي يراد منه الزيادة[5] .

(١) المزهر ١ / ٣٩٧ ـ

(٢) الأضداد لأبي الطيب ١ / ٢١ ، ٢ / ٦٩١ ، ٦٩٢ . وقد عقد أبو الطيب قسماً خاصاً لهذا النوع صدره بقوله : « وقد أدخل علماؤنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها نحن نذكرها أبواباً لئلا يظن ظان أنا غفلنا عنها »

(٣) الأضداد لأبي الطيب ١ / ١٨

(٤) السابق ١ / ٣٢٠

(٥) أضداد ابن الانباري ٤٠٩ ، ٤١٠ .

ويزيد ابن الأنباري في مبالغاته فيعتبر من الأضداد « ما » لأنها تكون نافية وموصولة . و « نحن » لاستعمالها للواحد والاثنين والجمع ، ويعتبر « غانية » من الأضداد لأن معناها التي استغنت بزوجها ، أو التي استغنت بجمالها عن الزينة وإن كانت لا زوج لها[1] .

ويحكم الدكتور إبراهيم أنيس بالتعسف على ابن الأنباري ، ويورد على تعسفه أمثلة منها : ما زعمه أن الند يستعمل بمعنى المثل والضد . وقد حاول أن يفسر أنداداً في القرآن الكريم على المعنيين . وفي هذا من التكلف ما فيه . لأن قوله تعالى : فلا تجعلوا لله أنداداً لا يحتمل إلا معنى واحداً . وكذلك ما رواه من شعر منسوب للبيد أو حسان . ومن تعسف ابن الانباري أيضاً قوله إن برّد تستعمل بمعنى سخّن مستشهداً بقول الشاعر :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا[2] بـرّديه تصـادفيه سخيناً

ورواية البيت ، وقد صيغ في شكل لغز :

بل رديه تصادفيه سخينا[3]

د - وأما المبالغون في التضييق فمعظمهم من المحدثين ، وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول بعد أن رد كثير من كلمات الأضداد : « نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الأضداد لأن ما روي عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص القوية الصريحة . وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ونستعرضها جميعا ، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها يتضح لنا أن

---

(١) السابق ١٨٢ ، ١٩٥ ، ٣٣٠

(٢) رواية أبي الطيب : شكت البرد في المياه فقلنا

(٣) في اللهجات العربية ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ . وعلق أبو الطيب على البيت : قال قطرب : معنى برّديه في هذا البيت : سخنيه . وقال أبو حاتم : هذا خطأ إنما هو : بل رديه من الورود . قال أبو الطيب وهذا الصحيح ، وبه يستقيم المعنى (ص ٨٦)

ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة . ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا ، لا سيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة ، وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن »[1] .

ويمكن أن يدخل في هذا الفريق بعض من أنكروا الأضداد ، فهم ليسوا منكرين حقيقة بل مضيقين . وينسب إلى ابن درستويه قوله : « وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني . فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر ، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية . ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل . . »[2] .

الأضداد في القرآن الكريم :

يبدو أن جزءا من اهتمام اللغويين بالتأليف في الأضداد يعود إلى ورود بعضها في القرآن الكريم . وقد كشف عن ذلك صراحة أبو حاتم السجستاني الذي يقول في صدر كتابه الأضداد : « حملنا على تأليفه أنا وجدنا من الأضداد في كلامهم والمقلوب[3] شيئا كثيرا فأوضحنا ما حضر منه ، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقينا وشكا ، والرجاء خوفا وطمعا . وهو مشهور في كلام العرب . . فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال : (إنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون . .) مدح الشاكين في لقاء ربهم . وإنما

---

(١) في اللهجات العربية ص ٢١٥ .

(٢) المزهر ١/ ٣٨٥ . ويمكن أن يضاف للمضيقين جدا weill كاتب مادة الأضداد في دائرة المعارف الإسلامية الذي يقول : « إذا استبعدنا جميع الكلمات التي ليست بأضداد حقيقة ، أو الموضوعة في غير مواضعها لا يبقى من الأضداد في اللغة العربية الا القليل » (٣/٥٠٧) .

(٣) المقلوب - وقد يسمى المزال عن جهته - تغيير تركيب العبارة عن ترتيبها المتعارف عليه كأن يقال . نؤت بالحمل وناء بي الحمل (انظر الأضداد لآل ياسين ص ٢١٢) .

المعنى : يستيقنون . وكذلك في صفة (من أوتى كتابه بيمينه) من أهل الجنة (هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت) يريد : إني أيقنت . ولو كان شاكا لم يكن مؤمنا . وأما قوله (قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا) فهؤلاء شكاك كفار »[1] .

كما يبدو أن التعرض لألفاظ الأضداد القرآنية وتفسيرها كان بدافع الرد على الشعوبيين الذين كانوا يزرون بالعرب ويرمونهم بكل نقيصة ، ويرمون لغة العرب بأنها خلت من الحكمة وافتقرت إلى الدقة والبلاغة في إطلاق الألفاظ وتحديد المعاني ، ويتهمونها بالعجز عن التعبير بشكل واضح ومحدد عما يراد منها . وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم ابن الأنباري في أضداده « أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب » . وكأن ابن الأنباري أراد أن يثبت حقيقة الأضداد والوجوه التي تنصرف إليها ليجيب عن الحجج التي أبداها أهل البدع والزيغ فذكر « أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر . . » .

فالدفاع عن ظاهرة الأضداد في اللغة العربية دفاع بالضرورة عما ورد منها في القرآن الكريم كذلك[2] .

ومن الغريب أن الذين ألفوا في « الوجوه والنظائر » في القرآن الكريم لم يعطوا كلمات الأضداد أهمية خاصة ، وقل منهم من أشار الى الضدية في المعنى . فنجد « مقاتل » مثلا لا يذكر معظم الكلمات القرآنية التي قيل بوجود التضاد فيها . وحين يذكر كلمة منها ـ وهو نادر ـ يذكر معانيها دون أن ينبه الى ما فيها من

(١) ص ٧٢ .

(٢) انظر التطور اللغوي التاريخي ص ٩١ ، وأصل نظرية الأضداد ص ١١٣ ، والأضداد لآل ياسين ص ٥٥٦ .

تضاد . ففي مادة الاشتراء ـ مثلا ـ يقول : « تفسير الاشتراء على ثلاثة وجوه : فوجه منه . . والوجه الثاني : الاشتراء يعني الابتياع فذلك قوله في براءة : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . والوجه الثالث : اشتروا يعني باعوا ، فذلك قوله في البقرة : بئسما اشتروا به أنفسهم . يعني : باعوا به أنفسهم . . »[1] وفعل الدامغاني نفس الشيء حين عالج تعدد المعنى في كلمات مثل : خفى (بمعنى أسر وأظهر) ، وظن (بمعنى علم وشك)[2] . بل الأغرب من هذا أنه حين تناوله لمادة « سرر » لم يذكر من معانيها سوى : السر : الجماع ، والسر : الإخفاء[3] ، مع أن كتب الأضداد تذكر من معانيها كذلك الإظهار ، وتستدل بقوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » ، أي أظهروها[4] .

وعلى هذا فلا معنى لما يقوله الأستاذ عبد الله الجبوري في مقالته « الأضداد وموقف ابن درستويه منها » من أن التأليف في « الأشباه والنظائر » و« الوجوه والنظائر » في القرآن الكريم يعد ثمرة من ثمرات الاهتمام بظاهرة الأضداد[5] .

وعلى عكس هذا الموقف نجد كثيرا من المفسرين ، ومعظم من ألفوا في الأضداد يعطون ألفاظ الأضداد الواردة في القرآن عناية خاصة ، وإن وجدنا منهم أناسا ينكرون ما في بعضها من تضاد .

وقد قام أحد الباحثين بجمع كل الأضداد الواردة في القرآن الكريم للنظر فيها[6] ، ولكنني مع الأسف لم أستطع الحصول على هذه الدراسة . وقمت بتتبع

---

(١) الأشباه والنظائر ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) إصلاح الوجوه والنظائر ص ١٦١ ، ٣١١ .

(٣) ص ٢٣٥ .

(٤) انظر أضداد الأصمعي والسجستاني وابن السكيت والصاغاني صفحات ٢١ ، ١١٤ ، ١٧٦ ، ٢٣٢ .

(٥) ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٦) هو دافيد كوهين كما ورد في مقال : أصل نظرية الأضداد ص ١١٤ .

سريع للكلمات القرآنية التي قيل بوجود تضاد فيها فوجدتها كثيرة تبلغ بضع عشرات ، وهو رقم كبير اذا قيس بأعلى رقم ورد في كتاب للأضداد وهو ٣٥٧ كلمة جمعها ابن الأنباري في كتابه ، وقد رمى إلى أن يكون كتابه جامعا لكتب المتقدمين[١] .

ومن الألفاظ التي قيل بتضادها في القرآن الكريم :

١ ـ قوله تعالى : « والليل إذا عسعس » . قال أبو عبيدة : يقال عسعس الليل إذا أقبل وإذا أدبر . وقد أنكر أبو حاتم وجود التضاد في هذا اللفظ وقال : « قد تقلد أبو عبيدة أمرا عظيما . ولا أظن ها هنا معنى أكثر من الاسوداد . عسعس : أظلم واسود في جميع ما ذكر . . »[٢] .

٢ ـ قوله تعالى : « نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين » . قال الأصمعي : المقوى الذي لا زاد معه ولا مال . . وفي موضع آخر (لا يقصد في القرآن . فاللفظ لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة ، وإنما يقصد في كلام العرب) المقوي: الكثير المال . والمقوى الذي له دابة قوية وظهره قوي . وقريب منه ما نجده عند أبي حاتم وابن السكيت .

٣ ـ قوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » . قال الأصمعي : يقال أسررت الحديث كتمته ، وأسررته أظهرته ، قال الشاعر [وهو الفرزدق] :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه ‏ ‏ ‏ أسر الحروري الذي كان أضمرا

وقال الله جل ثناؤه : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » ، أي أظهروها .

ويتفق أبو عبيدة مع الأصمعي في دعوى التضاد هذه . وكان يفسر الآية

(١) الأضداد للجبوري ص ٤٢ . وقد بلغت الكلمات في كتاب قطرب ٢١٣ كلمة والأصمعي ١٠٥ كلمة وأبي حاتم ١٧٠ كلمة وابن السكيت ٩٤ كلمة .
(٢) أضداد الأصمعي ص ٧ ، وأضداد السجستاني ص ٩٧ .

السابقة كتفسير الأصمعي (أسر بمعنى أظهر) . ولكن أبا حاتم السجستاني يرفض هذا الرأي قائلا : « ولا أثق بقوله في هذا . والله أعلم » . ويرفض كذلك رواية بيت الفرزدق ويقول : « لعله قال : الذي كان أظهرا » .

فعلى رأي الأصمعي وأبي عبيدة يكون القرآن الكريم قد استعمل لفظ « الإسرر » مرة بمعنى الإظهار كما في الآية السابقة ، ومرة بمعنى الإخفاء ، كما في قوله تعالى : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به » ، وقوله : « وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا »[1] .

وقد اخترت من عشرات الأمثلة القرآنية التي قيل بوجود تضاد فيها الأمثلة الثلاثة السابقة ليمثل كل منها نوعا خاصا .

فالمثال الأول استعمل فيه اللفظ بمعنيه المتضادين جميعا على سبيل الاحتمال .

والمثال الثاني استعمل اللفظ فيه بأحد معنييه فقط . وحيث كان هو اللفظ الوحيد في القرآن الكريم فإن هذا يعني أن القرآن قد استعمله في أحد معنييه المتضادين .

والمثال الثالث استعمل فيه اللفظ بأحد معنييه فقط . وحيث استعمل القرآن الكريم اللفظ نفسه في مواقع أخرى في ضد معناه الأول ، يكون القرآن الكريم قد استعمل اللفظ بمعنييه المتضادين على سبيل التوزيع .

وما تزال قضية التضاد في القرآن الكريم في حاجة الى دراسة مستقصية تقوم على الإحصاء الدقيق والتتبع لكل ما قيل حولها في كتب الأضداد والتفسير واللغة .

---

(١) انظر أضداد الأصمعي ص ٢١ وأضداد أبي حاتم ص ١١٤ .

كيف نشأت كلمات الأضداد ؟

حتى لو اعتدلنا في تفسير مفهوم التضاد ، وأسقطنا بعض الأمثلة التي لا تعد منه[1] يظل عندنا قدر كبير من ألفاظ الأضداد تتجاوز بكثير ما توقف عنده بعضهم وهو عشرون لفظا[2] .

ويتلخص أهم ما قيل من أسباب حول نشوء هذه الظاهرة فيما يأتي :

١ ـ يرى بعضهم أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين . ولكن ابن سيده يرد على هذا الرأي قائلا : أما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا (انظر رقم ١٧ في الجدول الآتي) .

٢ ـ يرى بعضهم أن من كلمات الأضداد ما يمكن تفسير نشأته على أساس من اختلاف اللهجة . فأحد المعنيين لحى من العرب ، والآخر لحي غيره . ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء . يقول ابن الأنباري : الجون الأبيض في لغة حي من العرب ، والجون الأسود في لغة حيّ آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر[3] (انظر رقم ١ في الجدول) .

٣ ـ ومن أسباب نشوء الأضداد عند Giese اقتراض العرب بعض الألفاظ من اللغات المجاورة لهم . ولما كان معناها الأصلي قد تختلف إيحاءاته فقد أدى ذلك

---

(١) وذلك مثل أمثلة المقلوب أو المزال عن جهته ، وأمثلة المجاز (كاستخدام الغانية بمعنى التي استغنت بزوجها ، أو التي استغنت بجمالها عن الزينة ولو لم تكن ذات زوج) ، والأمثلة التي أطلق عليها ابن الأنباري : « ما يشبه الأضداد » أو « ما يجري مجرى الأضداد » .

(٢) ممن توقف عند هذا الرقم المستشرق Giese الذي قال بعد دراسته للشعر الجاهلي إننا لو نخلنا الأمثلة لا يبقى إلا نحو ٢٠ كلمة من التضاد (الأضداد لآل ياسين ص ١٠٥ ، ٢٦٦) وكذلك الدكتور ابراهيم أنيس (في اللهجات العربية ص ٢١٥) .

(٣) انظر من قضايا اللغة والنحو ص ٤٣ ، والمخصص ١٣/ ٢٥٩ ، والمزهر ١/ ٤٠١ ، وأضداد ابن الأنباري ص ١٢ .

إلى التضاد في العربية . وضرب مثالا لذلك لفظ « جلل » ، فهو يرى أن العربية قد أخذته من اللغة العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج . وإذ كان الشيء المدحرج ثقيلا أحيانا ، وخفيفا أحيانا فقد اعتمدت العربية على هذين الإيحاءين المتضادين للكلمة الواحدة ، وأعطتها معنيين متضادين هما عظيم وحقير . ويقرب من قول Giese ما ذكره ربحي كمال من أن للكلمة في العبرية معنيين متضادين هما : الكتلة الصغيرة ، والحجر الكبير الثقيل .

ويمكن أن يكون اقتراض العربية لأحد معنيي اللفظ المتضادين فقط . كما قد يكون حدث مع كلمة « بَسْل » العربية التي تعني : الحرام والحلال . وهي في العبرية بمعنى الحرام غير الجائز شرعا، وفي الآرامية بمعنى :غير الصالح أو الملائم، كما يطلق على غير الكفء أو المؤهل وعلى الشيء أو الشخص المنبوذ[1] . (انظر رقم ٢ في الجدول) .

٤ ـ وقد ينشأ التضاد عن أسباب اجتماعية كالتفاؤل والتشاؤم والتهكم والتأدب . . ويمكن أن يمثل لذلك بما يأتي :

أ ـ إطلاق المفازة على الصحراء تفاؤلا بفوز من يجتازها ، وإطلاق القافلة على الجماعة المسافرة تفاؤلا برجوعهم ، والحديث عن المريض بأنه « في عافية » تفاؤلا بسرعة شفائه[2] .

ب ـ تسمية الأسود أبيض تشاؤما من النطق بلفظ الأسود[3] . والعرب تكنى الأسود بأبي البيضاء لهذا[4] ويطلقون في بعض البلاد العربية على « الفحم » البياض .

---

(١) الأضداد في اللغة لحسين محمد ٨/ ١/ ٩٩ ، والتضاد لربحي كمال ص ٣٥ ، ٦٩ .

(٢) من قضايا اللغة والنحو ص ٤٥ ، وفي اللهجات العربية ص ٢٠٩ ، والتطور اللغوي التاريخي ص ١٠٣ .

(٣) في العامية المصرية يقولون : يا نهار أبيض (ويريدون أسود) كما يحرفون كلمة أسود تجنبا لنطقها فيقولون : اسوح واحوس .

(٤) التضاد لربحي كمال ص ١١ ، ومن قضايا اللغة والنحو ص ٤٥ .

حـ ـ ومن أمثلة التهكم إطلاق لفظ « المغلب » على المغلوب ، وقد كان معناه : المحكوم له بالغلبة . ومثله إطلاق كلمة « عاقل » على المجنون ، و« فصيح » على المتعثر في نطقه . وقد أشار ابن الأنباري إلى هذا فقال : قد يكون الضد للتهكم والسخرية كقولهم للجاهل إذا استهزءوا به : يا عاقل . ومنه قوله تعالى : ذق إنك أنت العزيز الكريم[1] .

د ـ ومن أمثلة التأدب إطلاق « بصير » على الأعمى . وإطلاق « مولى » الذي هو بمعنى السيد على العبد[2] . (انظر رقم ٣ في الجدول) .

٥ ـ ويرى بعضهم أن اللفظ إذا وقع على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثم تفرع إلى معنيين على جهة الاتساع .

فمن ذلك الصارخ للمغيث والمستغيث . وسميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد .

ومنه « الطرّب » الذي قال العلماء إنه بمعنى الفرح وبمعنى الحزن . قال ابن الأنباري في تفسيره : الطرب خفة تلحق الإنسان في وقت فرحه وحزنه .

ويمكن التمثيل له بكلمات مثل « وراء » التي يرى الآمدي أنها من المواراة والاستتار فما استتر عنك فهو وراء خلفك كان أم قدامك . ومثل « ولى » بمعنى أقبل وأدبر و« الخنين » : البكاء في الأنف ، والضحك إذا خرج خفيا ، وبلق الباب بمعنى فتحه وأغلقه .

ويذكرنا المثال الأخير بما حدث ـ وما يزال يحدث ـ في مصر بالنظر إلى عملية فتح القناطر (الكبارى) وغلقها . فحين تصل السيارة مثلا إلى موضع الكوبرى وتجده مغلقا في وجهها (وهو في نفس الوقت مفتوح في وجه السفن) يقول

(١) أضداد ابن الأنباري ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ومن قضايا اللغة والنحو ص ٤٤ .
(٢) التطور اللغوي ص ١٠٢ ، وفي اللهجات العربية ٢١١ .

السائق : الكوبرى مفتوح . ومنهم من يعبر عن نفس الحالة بقوله : الكوبرى مقفول[1] . (انظر رقم ٤ في الجدول) .

٦ - ويرى Giese أن إطلاق « الناهل » على العطشان والريّان من قبيل المجاز المرسل . فالمعنى الأول هو الأصل ، أما الثاني فمجاز مرسل باعتبار ما يكون . لأن الناهل هو العطشان الذاهب إلى الشرب فهو ريان في النهاية[2] (انظر رقم ٥ في الجدول) .

٧ - ويذكر ربحى كمال من أسباب التضاد المجاز العقلي . ويمثل لذلك بكلمة أمين للمؤتمِن والمؤتمَن ، وكلمة « راضية » في قوله تعالى : « في عيشة راضية » ، التي قال المفسرون إنها بمعنى مرضيّة ، وكلمة « مستور » في قوله تعالى « جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » أي ساترا . ويقول ربحي كمال : إنه أمر مألوف في اللغات السامية إطلاق اسم الفاعل وإرادة اسم المفعول ، وإطلاق اسم المفعول وإرادة الفاعل ، وذلك على سبيل المجاز العقلي[3] . (وانظر رقم ٦ في الجدول) .

٨ - ويعد بعضهم من أسباب التضاد الإبهام في المعنى الأصلي وعدم تحدده . ثم قد يحدث في تطبيقات الاستعمال ، أو عن طريق السهو أن يظن فريق تخصصه بأحد جوانب المعنى ويظن فريق آخر تخصصه بمعناه المضاد . .

ويمكن التمثيل لذلك بالكلمات الآتية :

أ - كلمة « جون » التي تطلق في العربية على الأبيض والأسود . والكلمة في

(١) من قضايا اللغة والنحو ص ٤٣ ، والأضداد لآل ياسين ، ص ٢٥٢ ، والأضداد لحسين محمد ص ١٠٠ .
(٢) فصول في فقه العربية ص ٣١٢ .
(٣) التضاد ص ٤٢ .

معناها الأصلي في اللغتين العبرية والسريانية ، وكذلك في اللغة الفارسية تدل على مطلق اللون سواء كان أبيض أو أسود . فحين نقلت إلى العربية استعملها بعضهم بمعنى اللون الأبيض وبعضهم بمعنى اللون الأسود .

ب ـ كلمة « الصريم » التي تطلق على الليل والنهار لانصرام كل منهما عن صاحبه .

حـ ـ كلمة « وثب » التي كانت تعني الانتقال من حال إلى حال ، ثم تخصص معناها في اللهجات الشمالية وصار يعني « القفز » وفي اللهجات الجنوبية وصار يعني « الجلوس » . وقصة الملك الذي قال للأعرابي « ثب » يريد تكريمه بالجلوس ، فوثب بمفهوم اللفظ عنده أي قفز ، فدقت عنقه ـ ترويها كتب اللغة والأضداد .

د ـ ويمكن التمثيل بكلمة « القلت » التي تعني الحفرة . ثم تحددت في كلام أهل الحجاز فصارت تعني « نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء فيغرق فيها الجمل والفيل لو سقط فيها » ، وهي تعني في لغة تميم وغيرهم « نقرة صغيرة في الجبل يجتمع فيها الماء » .

هـ ـ وكذلك بما حكاه أبو حاتم من أن العرب تقول : حلّق الماء في البئر إذا غار وسفل وحلق الطائر في الجو إذا ارتفع . فنفترض أن أصل المعنى هو الابتعاد . ثم تحدد عند مجموعة بالارتفاع ، وعند أخرى بالانخفاض ، وفي كل بعد[1] . (انظر رقم ٧ في الجدول) .

٩ ـ ومن أسباب حدوث الأضداد تداعي المعاني المتضادة وتصاحبها في الذهن . فالضدية ـ عند الدكتور أنيس ـ نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما

(١) من قضايا اللغة والنحو ص ٤٥ ، ٤٦ ، وفي اللهجات العربية ص ٢١١ وما بعدها ، والتضاد لربحي كمال ص ١٠ ، وفصول في فقه العربية ص ٣٠٢ .

كانت أقرب الى الذهن من أية علاقة أخرى . فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن . فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني ، واستحضار أحد المعنيين المتضادين في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر . ونرى نفس الفكرة عند Giese الذي يرد بعض كلمات الأضداد إلى تصاحب المعاني المتضادة في الذهن . مثل كلمة « بين » التي تفيد الفراق ، كما تفيد الوصال وفقا لحالة الشخص الذي يكون إما مفترقا وحده عن جماعته أو متصلا بجماعة أخرى ، ولأن الفراق يستدعي في الذهن معنى الوصال . ومثلها كلمة « الماثل » بمعنى « الحاضر » التي تستدعي في الذهن معنى « الغائب »[1] . (انظر رقم ٨ في الجدول) .

١٠ ـ وتنشأ بعض ألفاظ الأضداد نتيجة التعبير عن الشيء باسم ضده زيادة في القوة التعبيرية ، وإثارة لاهتمام السامع . يقول محمد الأنطاكي : ألا ترانا إذا أعجبنا بشخص قلنا عنه : ابن كلب ـ شيطان ـ ملعون . . وإذا استحسنا شيئا قلنا عنه إنه فظيع . وقد حدثنا التاريخ أن أحد خلفاء العرب في الأندلس سمى أحد جواريه قبيحة لشدة حسنها وجمالها . ويضرب فندريس أمثلة أخرى من اللغة الفرنسية تستعمل فيها كلمات البغض والغضب في الملاطفة . فمن المألوف أن يدعى الطفل polisson (فاجر) أو petit coquin (الخبيث الصغير) ، ويوصف الصديق بأنه bon bougre (المعتوه الطيب) أو vieille canaille (الوغد العجوز) . وتنادي الأم الألمانية طفلها : يا صغيري المقمل . . وهكذا[2] (انظر رقم ٩ في الجدول) .

١١ ـ وقد ينتج التضاد عن اختلاف الأصل الاشتقاقي لكل من المعنيين

(١) في اللهجات العربية ص ٢٠٧ ، وفصول في فقه العربية ص ٣١٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية : الأضداد ٣/ ٥١٠ .

(٢) الوجيز في فقه اللغة ص ٣٧٨ ، واللغة لفندريس ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

المتضادين . وذلك حين يختلف الأصل الاشتقاقي للكلمة (رغم اتحاد شكلها) في أحد معنييها المتضادين عن الآخر . ويمكن أن يمثل لذلك بالفعل « ضاع » بمعنى اختفى ، وبمعنى ظهر وبدا . قال أبو الطيب : ضاع يضيع من الضياع ، إنما الألف منقلبة عن ياء . وقولهم ضاع إذا ظهر ، الألف فيه منقلبة عن واو ، يقال : ضاع يضوع[1] (انظر رقم ١٠ في الجدول) .

١٢ ـ ويعد الإبدال أحد الأسباب الهامة في إيجاد التضاد . وهو نوع من التطور الصوتي يلحق الكلمة خلال عصورها التاريخية. ومن أمثلة الإبدال الكثيرة نلتقط النماذج الآتية :

أ ـ كلمة « الجون » بمعنى الأسود انحدرت عن المادة « جن » التي تعتبر أساسية في معنى الظلمة ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل المخالفة فقلب أحد النونين إلى صوت يشابهه وهو الواو ، وبذلك التبس الجون المنحدر من مادة « جن » (بمعنى أسود) بالجون الذي يعبر أصلا عن معنى النور (الأبيض)[2] .

ب ـ كلمة « أسر » التي تأتي بمعنى أظهر وبمعنى كتم ، فيمكن أن يرد الإظهار إلى الأصل الشيني : « أشر » ثم بإبدال الشين سينا تطابقت مع كلمة « أسر » التي تأتي بمعنى كتم فكونت معها تضادا . . ومثل هذا النوع من الإبدال كثير . وقد أشار إليه الزمخشري حين قال : « أسر الشيء وأشره أظهره » . والكلمة بالشين في العبرية والسريانية بمعنى النشر والإظهار .

حـ ـ ويمكن رد « أقوى » في أحد معنييها المتضادين (إذا ذهب زاده ونفد) إلى الأصل الخائي الذي يدل على الخواء والفراغ[3] .

---

(١) من قضايا اللغة والنحو ص ٤٦ .

(٢) وانظر ما سبق تحت رقم ٨ .

(٣) في اللهجات العربية ص ٢١٣ ـ ٢١٥ ، والتضاد لربحي كمال ص ١٣ ، ٣٩ ، ٨٤ ، والتطور اللغوي ص ٩٨ .

د ـ ويمكن أن يمثل لذلك من اللهجة الكويتية بكلمة « قليل » التي تنطق (جليل) فتطابق كلمة (جليل) بمعنى عظيم التي تنطق ذات النطق [ولا تقلب الجيم فيها ياء لأنها مأخوذة من اللغة الفصحى] . وبهذا يصبح لكلمة « جليل » معنيان متضادان ، أحدهما يعود إلى الكلمة القافية والآخر يعود إلى الكلمة الجيمية .

وربما يفسر هذا مجيء كلمة « جلل » بمعنيين متضادين في لغة العرب هما : عظيم وهين . فنرد الأولى إلى الكلمة الجيمية ، والثانية إلى الكلمة القافية . ويكون ذلك قد دخل اللغة العربية أول ما دخل على أيدي تلك المجموعة العربية التي تنطق القاف جيما في بعض المواقع . (انظر رقم ١١ في الجدول) .

١٣ ـ وقد ينشأ التضاد عن تطور صوتي آخر ، هو « القلب » . ويمكن أن يمثل لذلك بكلمة « صار » بمعنى جمع وبمعنى قطع وفرق . وفي القرآن الكريم : « قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك » (بمعنى اجمعهن وصمهن) . وذكر أبو حاتم أن منهم من فسر اللفظ في الآية بالمعنيين جميعا أي : قطعهن واجمعهن .

قال الفراء : لا نعرف صار بمعنى قطع إلا أن يكون الأصل فيه « صرى » ، فقدمت اللام إلى موضع العين . . كما قالوا : عاث وعثا[1] . (انظر رقم ١٢ في الجدول)

١٤ ـ أما صاحب فكرة الأصل الثنائي فهو الأب مرمرجي الدومنيكي الذي يرد بعض الأضداد الى أصلين ثنائيين ، يطابق أحدهما أحد المعنيين المتضادين ، ويطابق الآخر المعنى الآخر .

وقد مثل لذلك بالمثالين الآتيين :

---

(١) أضداد أبي حاتم ص ٩٨ ، ومن قضايا اللغة والنحو ص ٤٤ ، ٤٥

أ ـ ذرب بمعنى
ذربت معدته = فسدت .
ذربت معدته = صلحت .

فهو يرد الأولى إلى الأصل الثنائي : ذب بمعنى هزل وذوى وجف من العطش ،ويرد الثاني إلى الأصل الثنائي : ذر البقل والنبات إذا طلع وانتشر لقوته وصحته .

ب ـ عفا بمعنى
درس ـ خفي ـ ذهب أثره .
ظهر ـ نما ـ كثر .

فهو يرد الأولى إلى الأصل الثنائي : عف الذي يدل في السريانية af على اللف والغطاء والستر .

ويرد الثاني إلى الأصل الثنائي : عف الدال على الجمع ، وإلى af السرياني المراد به اللي والطي واللف . فإن ما يطوي ويلف يجمع جمعا مضاعفا فينمو ويصبح ظاهرا[1] . (انظر رقم ١٣ في الجدول) .

١٥ ـ أما دلالة الصيغة على السلب والإيجاب فيخص بعض صيغ الأفعال مثل فعل وأفعل وتفعّل التي تستعمل في غالب أمرها للإثبات والإيجاب نحو : أكرمت زيدا ، وأحسنت إليه ، وعلمته ، وأخرته ، وقدمته ، وتقدمت ، وتأخرت . . ولكنها تستعمل كذلك في السلب والنفي نحو : أشكيت زيدا : أزلت له ما يشكوه ، وأعجمت الكتاب : أزلت استعجامه ، ومرّضت الرجل : داويته ليزول مرضه ، وقذيت عينه : أزلت عنها القذى ، وأثمت : تركت الإثم .

ويمكننا أن نفسر بهذا بعض الأفعال التي جاءت من هذا النوع بمعنيين متضادين مثل : أطلبه : أحوجه إلى الطلب ، أو أسعفه بما طلب ، والمغلب :

(١) الأضداد لآل ياسين ص ٢٩٣ .

المغلوب كثيرا ، والمحكوم له بالغلبة ، وتهجد : سار ونام ، وأهمد : أقام وأسرع ، وفزّع : أفزع ، وأزال الفزع[1] . (انظر رقم ١٤ في الجدول) .

١٦ ـ أما دلالة الصيغة على الفاعلية والمفعولية فيتعلق ببعض الصيغ التي جاءت بالمعنيين مثل :

أ ـ فعيل بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . وبه يفسر « الرعيب » الذي جاء بمعنى الشجاع ، وبمعنى الجبان . وكذلك « الربيب » بمعنى الرابّ والمربوب ، والأمين بمعنى المؤتمِن والمؤتمَن .

ب ـ فعول بمعنى فاعل وبمعنى مفعول . وعليه يحمل ما رواه أبو الطيب اللغوي في أضداده من استعمال الركوب بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول .

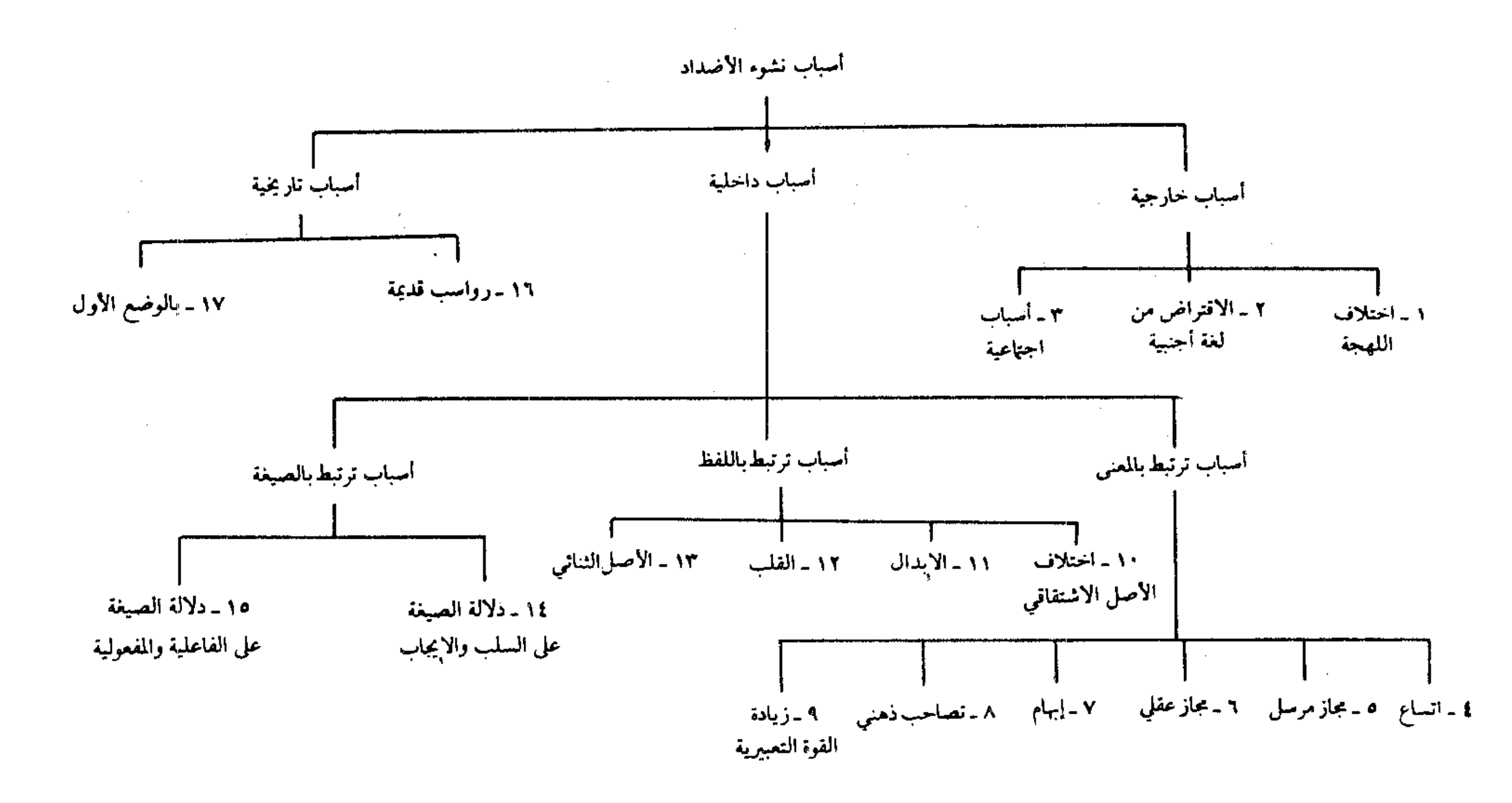
حـ ـ تداخل بعض الصيغ لعوارض تصريفية مثل : مختار ومزداد ومبتاع ، ومثل مرتد ومجتث . . وغير ذلك من الكلمات التي يلتبس فيها اسم الفاعل باسم المفعول[2] .

وقد عقد أبو الطيب قسما خاصا لهذا النوع صدره بقوله : « وقد أدخل علماؤنا المتقدمون فيها أشياء ليست منها نحن نذكرها أبوابا لئلا يظن ظانّ أنا غفلنا عنها »[3] (انظر رقم ١٥ في الجدول) .

١٧ ـ أما رد بعض كلمات الأضداد إلى العصور القديمة فقد نادى به Gordis الذي قال إن « الأضداد من جميع النواحي هي في حديث الناس ليست إلا بقايا من طرائق التفكير عند البدائيين » عندما كان العقل البشري في سذاجته[4] . (انظر رقم ١٦ في الجدول) .

والشكل الآتي يلخص الأسباب السابق ذكرها :

(١) من قضايا اللغة والنحو ص ٤٦ . وانظر : الأضداد في دائرة المعارف الاسلامية ٣/ ٥١٠ .
(٢) من قضايا اللغة والنحو ص ٤١ ، ٤٢ ، والتضاد لربحي كمال ص ١٢ ، ١٥ .
(٣) ٢/ ٦٨٨ .
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٥٠٩ ، والأضداد لحسين محمد ٨/ ١/ ٩٩ .



أسباب نشوء الأضداد
أسباب خارجية
أسباب داخلية
أسباب تاريخية
١ ـ اختلاف اللهجة
٢ ـ الاقتراض من لغة أجنبية
٣ ـ أسباب اجتماعية
١٦ ـ رواسب قديمة
١٧ ـ بالوضع الأول
أسباب ترتبط بالمعنى
أسباب ترتبط باللفظ
أسباب ترتبط بالصيغة
١٠ ـ اختلاف الأصل الاشتقاقي
١١ ـ الإبدال
١٢ ـ القلب
١٣ ـ الأصل الثنائي
١٤ ـ دلالة الصيغة على السلب والإيجاب
١٥ ـ دلالة الصيغة على الفاعلية والمفعولية
٤ ـ اتساع
٥ ـ مجاز مرسل
٦ ـ مجاز عقلي
٧ ـ إبهام
٨ ـ تصاحب ذهني
٩ ـ زيادة القوة التعبيرية

الفصل الثالث

الترادف

تعرض كثير من الدارسين لظاهرة الترادف من وجهة نظر القدماء[1]، ولكن قل منهم من تناولها من وجهة النظر اللغوية الحديثة .

وقد رأينا أن نوجز أولاً موقف القدماء من هذه الظاهرة ، ثم نتعرض بتفصيل أكبر لموقف المحدثين منها .

أولاً ـ موقف القدماء :

أشار سيبويه في الكتاب[2] إلى ظاهرة الترادف ، كما أشار إليها ابن جنى تحت اسم « تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني » ، ومثل لها بالخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة[3] . وعرّف الفخر الرازي الترادف بقوله : « هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد » ، قال « واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين ، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلا على

(١) ممن تناولوا القضية من وجهة نظر القدماء : السيوطي في المزهر ١ / ٤٠٢ وما بعدها ، وعلى الجارم في مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٣٥) في مقال بعنوان « الترادف » ، وإبراهيم أنيس في كتابه « في اللهجات العربية » ص ١٧٤ وما بعدها ، والعسكري في صدر كتابه « الفروق في اللغة » ، وكمال بشر في حواشي ترجمته لكتاب « دور الكلمة في اللغة » ص ١٠٥ وما بعدها ، وبيلكين في مقال بعنوان « حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى » (ترجمة جليل كمال الدين) مجلة المورد ـ العدد الأول (١٩٧٤) ـ ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) ١ / ٧ .

(٣) الخصائص ٢ / ١١٨ .

شيء واحد لكن باعتبارين ، أحدهما على الذات والآخر على الصفة »[1] .

ويبدو أن من أقدم الكتب العربية التي حملت اسم الترادف كان كتاب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، وعنوانه « كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى »[2] . كما يبدو أن من أقدم من أطلقوا اسم الترادف على هذه الظاهرة أبو الحسين أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي[3] .

وقد اختلف اللغويون العرب القدماء اختلافاً واسعاً في إثبات هذه الظاهرة أو إنكار وجودها في اللغة العربية :

أ ـ ففريق أثبت وجود الظاهرة ، واحتج لوجودها بأن جميع أهل اللغة « إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا : هو العقل ، أو الجرح قالوا : هو الكسب ، أو السكب قالوا : هو الصب . وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء . وكذلك الجرح والكسب ، والسكب والصب ، وما أشبه ذلك »[4] .

وقريب منه ما نقله ابن فارس عن مثبتي الترادف وهو قولهم : « لو كان لكل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته ، وذلك لأنا نقول في : لا ريب فيه : لا شك فيه . فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة خطأ »[5] .

ويروى أصحاب الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على رأيهم . فمن ذلك ما رووه من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وقعت من يده السكين ، فقال لأبي هريرة : ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، ثم قال بعد أن كرر الرسول له القول ثانية وثالثة : آلمدية تريد ؟ فقال له الرسول : نعم . ويروون أن

---

(١) المزهر ١ / ٤٠٢ .
(٢) Brockelmann ٢ / ١٨٩ .
(٣) ص ٤١ ، ٤٣ .
(٤) الفروق في اللغة ص ١٦ .
(٥) الصاحبي ص ٩٧ ، والمزهر ١ / ٤٠٤ .

ابن خالويه كان يفتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً[1]. كما أنه ألف كتاباً في أسماء الأسد وآخر في أسماء الحية، وقد جمع في الأول خمسمائة اسم، وفي الثاني مائتي اسم[2].

ومن المثبتين للترادف كذلك الرماني الذي ألف « كتاب الألفاظ المترادفة »، وقسمه إلى نحو ١٤٠ فصلاً خصص كل فصل لكلمات ذات معنى واحد. ومن أمثلته التي ذكرها: وصلته، ورفدته، وحبوته، وأعطيته.. ومنها: السرور، والحبور، والجذل، والغبطة، والفرح. ومنهم كراع في «المنتخب»، ومن أمثلته التي ذكرها: الخنج، والبنج، والجنث، والنجار، والجرتومة، والأرومة: لأصل الانسان. وزوج المرأة، وحليها، وبعلها، وعشيرها.. الخ[3]. وقد عقد كراع في كتابه «المنتخب» بابا بعنوان: «باب إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان» وذكر من ذلك قوله عز وجل: «لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا»، والأمت: العوج. ومن المثبتين له كذلك الفيروزابادي الذي ألف كتاباً بعنوان «الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف». كما ألف كتاباً في أسماء العسل[4]. ومنهم الفخر الرازي الذي يقول: «ومن الناس من أنكره، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات. إما لأن أحدهما اسم الذات، والآخر اسم الصفة، أو صفة الصفة.. والكلام معهم إما في الجواز، ولا شك فيه. أو في الوقوع إما في لغتين، وهو أيضاً معلوم بالضرورة، أو من لغة واحدة كالحنطة والبر والقمح.. وتعسفات الاشتقاقيين لا يشهد لها شبهة فضلاً عن حجة»[5].

ويبدو أن مثبتي الترادف كانوا فريقين. ففريق وسّع في مفهومه، ولم يقيد حدوثه بأي قيود. وفريق آخر كان يقيد حدوث الترادف ويضع له شروطاً تحد من كثرة وقوعه. ومن الأخيرين الرازي الذي كان يرى قصر الترادف على ما يتطابق

(١) المزهر ١ / ٤٠٥، وفي اللهجات العربية ص ١٧٦.

(٢) الصاحبي ص ٤٤، والمزهر ١ / ٤٠٥.

(٣) المنتخب ص ٢، ٥.

(٤) المزهر ١ / ٤٠٧.

(٥) المزهر ١ / ٤٠٣.

فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت . فليس من الترادف عنده السيف والصارم ، لأن في الثانية زيادة في المعنى . ومنهم الأصفهاني الذي كان يرى أن الترادف الحقيقي هو ما يوجد في اللهجة الواحدة . أما ما كان من لهجتين فليس من الترادف [1] .

ب ـ وهناك فريق آخر كان ينكر الترادف ، وعلى رأسهم ثعلب ، وأبو علي الفارسي ، وابن فارس ، وأبو هلال العسكري . يقول ابن فارس : « الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات . . . وكذلك الأفعال نحو مضي وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ، ورقد ونام وهجع . . ففي كل منها ما ليس في سواها . وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيي ثعلب »[2] .

وكان أبو علي الفارسي يقول : لا أحفظ للسيف إلا اسماً واحداً ، وهو السيف ، وحين سئل : فأين المهند والصارم وكذا . . وكذا . . قال : هذه صفات[3] .

وقد ألف أبو هلال العسكري كتابه « الفروق في اللغة » لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعى ترادفها . وقد بدأ كتابه بعنوان : « باب في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجباً لاختلاف المعاني في كل لغة » قال فيه : « الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة . وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف ، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة . وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد . فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صواباً . فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه . . . وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين

---

(١) في اللهجات العربية ص ١٧٥ .
(٢) الصاحبي ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ والمزهر ١ / ٤٠٤ .
(٣) في اللهجات العربية ص ١٧٦ .

فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد . لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه »[1] .

وهؤلاء الذين أنكروا الترادف أخذوا يلتمسون فروقاً بين الألفاظ التي تبدو مترادفة . ومن ذلك تفريق أبي هلال العسكري بين المدح والثناء بقوله : إن الثاني المدح المكرر . وبين المدح والإطراء بقوله : إن الثاني هو المدح في الوجه . وكذلك تفريقه بين القديم والعتيق ، وبين الخلود والبقاء ، وبين الحب والود ، وبين الإرادة والمشيئة ، وبين الغضب والغيظ ، وبين الغضب والسخط ، وبين السخاء والجود ، وبين الجود والكرم . .

ومن ذلك تفريق ابن فارس بين القعود والجلوس ، وبين الرقاد والنوم والهجوع ، وبين المضي والذهاب والانطلاق ، وبين المائدة والخوان ، وبين الكأس والكوب والقدح ، وبين الكوب والكوز[2] .

ويحوي كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي أمثلة كثيرة للفروق بين الألفاظ التي تبدو مترادفة . ومن ذلك الفرق بين الإثم والوزر ، وبين الذنب والمعصية والزلة ، وبين الجرم والذنب والعصيان[3] .

ويقول أصحاب هذا الرأي رداً على مخالفيهم : « نحن نقول إن في قعد معنى ليس في جلس . ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيم والمقعد ، وقعدت المرأة عن الحيض . ونقول لناس من الخوارج : قَعَد ، ثم نقول : كان مضطجعاً فجلس ؛ فيكون العقود عن قيام ، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس ، لأن الجَلْس المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجري الباب كله »[4] .

---

(١) ص ١٣ - ١٥ .
(٢) الصاحبي ص ٩٦ - ٩٨ .
(٣) الكليات ١ / ٤٢ .
(٤) الصاحبي ص ٩٧ ؛ والمزهر ١ / ٤٠٤ .

ثانياً : موقف المحدثين :

إذا انتقلنا إلى المحدثين نجد بينهم نفس الخلاف الذي حدث بين القدماء ، وإن كنا نجد هذه المرة محاولات صادقة عند من أثبتوا الترادف لتعريفه وتقسيمه وتوضيحه توضيحاً تاماً .

والقضية أكثر تشعباً عند المحدثين ، وأشد إثارة للجدل لارتباطها من ناحية بتعريف المعنى[1] ، ومن ناحية أخرى بنوع المعنى المقصود[2] . وقد سبق علاج هاتين النقطتين في البابين الأول والثاني من هذا الكتاب .

١ ـ الترادف وأشباه الترادف :

يميز كثير من المحدثين بين أنواع مختلفة من الترادف وأشباه الترادف على النحو التالي :

أ ـ **الترادف الكامل** : (perfect synonymy أو complete synonymy أو genuine synonymy أو full synonymy) ، أو التماثل (sameness) ، وذلك حين يتطابق اللفظان تمام المطابقة ، ولا يشعر أبناء اللغة بأي فرق بينهما ، ولذا يبادلون بحرّية بينهما في كل السياقات . وسنعرض فيما بعد رأي المحدثين حول وجود أو عدم وجود هذا النوع في اللغة الواحدة .

ب ـ **شبه الترادف** : (near synonymy أو quasi synonumy أو approximate synonymy أو less-than-full synonymy) ، أو التشابه (likeness) ، أو التقارب (contiguity) ، أو التداخل (overlapping) . وذلك حين يتقارب اللفظان تقارباً شديداً لدرجة يصعب معها ـ بالنسبة لغير المتخصص ـ

---

(١) من تعاريف المعنى : الصورة الذهنية للشيء أو العلاقة بين الرمز والصورة ـ الشيء المشار إليه أو العلاقة بين الرمز والشيء الخارجي ـ الموقف والاستجابة لمثير كلامي معين ـ استعمال الكلمة في اللغة والدور الذي تؤديه في صحبة غيرها ـ محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي ـ تجمع من عناصر دلالية تمييزية ذات علاقات متبادلة .

(٢) أشهر أنواع المعنى : المعنى الأساسي ـ المعنى الإضافي ـ المعنى الأسلوبي ـ المعنى النفسي ـ المعنى الإيحائي . (انظر الباب الأول ـ الفصل الرابع : أنواع المعنى) .

التفريق بينهما ، ولذا يستعملهما الكثيرون دون تحفظ ، مع إغفال هذا الفرق . ويمكن التمثيل لهذا النوع في العربية بكلمات مثل : عام ـ سنة ـ حول . . وثلاثتها قد وردت في مستوى واحد من اللغة ، وهو القرآن الكريم . ويحمل على هذا النوع كثير من الكلمات التي توصف بالترادف مثل answer مع reply ، و ill مع sick ، و own مع possess [١] .

حـ ـ التقارب الدلالي (semantic relation) : ويتحقق ذلك حين تتقارب المعاني ، لكن يختلف كل لفظ عن الآخر بملمح هام واحد على الأقل . ويمكن التمثيل لهذا النوع بكلمات كل حقل دلالي على حدة ، وبخاصة حين نضيق مجال الحقل ونقصره على أعداد محدودة من الكلمات . مثال هذا النوع من اللغة الانجليزية : crawl - skip - hop - run - walk . . التي تملك تقارباً في المعنى . فكلها تشترك في معنى الحركة من كائن حي يستعمل أرجله . ولكن عدد الأرجل ، وكيفية الحركة ، وعلاقة الأرجل بالسطح الملامس . . يختلف من لفظ إلى آخر[٢] . كما يمكن التمثيل له من العربية بكلمتي « حلم » و « رؤ يا » وهما من الكلمات القرآنية[٣] .

د ـ الاستلزام (entailment) : وهو قضية الترتب على . . ويمكن أن يعرّف كما يأتي : س١ يستلزم س٢ إذا كان في كل المواقف الممكنة التي يصدق فيها س١ يصدق كذلك س٢ . وعلى سبيل المثال : إذا قلنا : قام محمد من فراشه الساعة العاشرة فإن هذا يستلزم : كان محمد في فراشه قبل العاشرة مباشرة[٤] .

---

(١) Componential Analysis ص ١٧ .

(٢) السابق ص ١٨ .

(٣) بتتبع الاستعمالات القرآنية لهما تبين أن القرآن قد اقتصر في استعماله للأولى على معنى الأضغاث المشوشة ، والهواجس المختلطة ، وللثانية على معنى الرؤ يا الصادقة (انظر : بنت الشاطي : من أسرار العربية في السياق القرآني جزء ٨ مجلد ١ ص ٢٣) .

(٤) Introduction to Contemporary Linguistic Semantics ص ٦ .

ويختلف هذا النوع عن الاستلزام من الجانبين فهو حينئذٍ يختص باسم التماثل مثل الجملتين : انتحر على ـ قتل على نفسه ، أو الجملتين : ليس كل شخص حضر ـ بعضهم لم يحضر (انظر المرجع السابق والصفحة) .

هـ - **استخدام التعبير المماثل ، أو الجمل المترادفة** (paraphrase) : وذلك حين تملك جملتان نفس المعنى في اللغة الواحدة[1] . وقد قسم Nilsen هذا النوع أقساماً منها :

١ - التحويلي ، وذلك بتغيير مواقع الكلمات في الجملة ، وبخاصة في اللغات التي تسمح بحرّية كبيرة ، وذلك بقصد إعطاء بروز لكلمة معينة في الجملة دون أن يتغير المعنى العام لها . مثال ذلك :

دخل محمد الحجرة ببطء .
ببطء دخل محمد الحجرة .
الحجرة دخلها محمد ببطء . .

٢ - التبديلي أو العكس ، وذلك مثل قولك :

اشتريت من محمد آلة كاتبة بمبلغ ١٠٠ دينار .
باع محمد لي آلة كاتبة بمبلغ ١٠٠ دينار .

فعلى الرغم من أنهما مختلفتان من الناحية الظاهرية فإنهما تشيران إلى نفس الحادث في عالم الحقيقة ، ولذا يقال إنهما جملتان مترادفتان ، وإن كلاً منهما « بارا فريز » للأخرى .

٣ - الاندماج المعجمي ، وذلك مثل التعبير عن التجمع : covered with cement بكلمة واحدة هي cemented ، أو عن التجمع to touch with the lips بكلمة واحدة هي : to kiss [2] .

و - **الترجمة** : (translation) وذلك حين يتطابق التعبيران أو الجملتان في اللغتين ، أو في داخل اللغة الواحدة حين يختلف مستوى الخطاب ؛ كأن يترجم

---

(١) سمى بعض القدماء هذا النوع بالترادف ومثل له بأصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق . . وأطلق على ما سميناه بالترادف اسم التوارد (المزهر ١ / ٤٠٧) .
(٢) SemanticTheory ص ١٤١ - ١٥٧ . وانظر كذلك ص ٢١ - ٢٢ .

نص علمي إلى اللغة الشائعة ، أو يترجم نص شعري إلى نثري .

ز ـ التفسير : (interpretation) . يكون (س) تفسيراً لـ (ص) إذا كان (س) ترجمة لـ (ص) ، وكانت التعبيرات المكونة لـ (س) أقرب إلى الفهم من تلك الموجودة في (ص) . وعلى هذا فكل تفسير ترجمة ، ولا عكس . وحيث إن درجة الفهم للغة تختلف من شخص لآخر ، فإن ما يعد تفسيراً لشخص قد لا يكون تفسيراً لشخص آخر[1] .

٢ ـ مفهوم الترادف الكامل :

يختلف مفهوم الترادف الكامل من لغوي إلى آخر حسب المنهج الذي اتبعه في تعريف المعنى . ونوع المعنى الذي يتحدث عنه . ومن التعريفات الكثيرة للترادف نقتبس ما يأتي :

١ ـ التعبيران يكونان مترادفين في لغة ما إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة[2] .

٢ ـ الكلمات المترادفة هي الكلمات التي تنتمي إلى نفس النوع الكلامي (أسماء ـ أفعال) ويمكن أن تتبادل في الموقع دون تغيير المعنى أو التركيب النحوي للجملة[3] .

٣ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية التصورية إذا كان التعبيران يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة[4] .

٤ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية الإشارية إذا كان التعبيران يستعملان مع نفس الشيء بنفس الكيفية[5] .

---

(١) Synonymity ص ١١٣ .

(٢) السابق ١١٩ .

(٣) Meaning in Linguistics ص ١١ .

(٤) On Likeness of Meaning ص ٦٧ .

(٥) السابق ٦٩ .

٥ ـ يتحقق الترادف عند أصحاب النظرية السلوكية إذا كان التعبيران متماثلين عن طريق اتصال كل منهما بنفس المثير والاستجابة .

٦ ـ الترادف عند أصحاب النظرية التحليلية يتحقق إذا كانت الشجرة التفريعية لإحدى الكلمتين تملك نفس التركيب التفريعي للأخرى ، أو إذا اشترك اللفظان في مجموع الصفات الأساسية التمييزية[١] .

٧ ـ الترادف تضمن من جانبين . (أ) و (ب) يكونان مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) ، و (ب) يتضمن (أ)[٢] .

٣ ـ الترادف بين الاثبات والانكار :

لا خلاف بين اللغويين المعاصرين في وجود الأنواع الستة (من رقم ٢ ـ ٧) السابق ذكرها تحت « أنواع الترادف وأشباه الترادف » . أما الخلاف في الحقيقة فيتعلق بالترادف الكامل أو التماثل :

أ ـ فأغلبية اللغويين على إنكار هذا النوع كما يتبين من النصوص الآتية :

١ ـ يقول Bloomfield : إننا ندعي أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتاً مختلفاً عن الأخرى . وما دامت الكلمات مختلفة صوتياً فلا بدّ أن تكون معانيها مختلفة كذلك . وعلى هذا فنحن ـ في اختصار ـ نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي[٣] . ويقول Harris موضحاً رأي بلومفيلد : « إنه في إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف . فالاختلاف الصوتي لا بدّ أن يصحبه اختلاف في المعنى . فكل كلمة من الكلمات الآتية تختلف عن الأخرى في بعض ملامح المعنى الأساسية أو الإضافية : quick - fast - swift - rapid - speedy[٤] .

(١) Synonymy ص ٤ .
(٢) Semantic Fields ص ٢٣ .
(٣) Language ص ١٤٥ .
(٤) Synonymy ص ٦ ، ٧ .

٢ ـ ويقول F.H. George : « إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النواحي ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معاً »[١] .

٣ ـ ويقول مؤلفاً Foundations of Linguistics : « يقول اللغويون المحدثون إنه لا يوجد مترادف كامل في اللغة . فإذا اختلف لفظان صوتياً فلا بد أن يختلفا دلالياً . فاللفظان buy و purchase متقاربان دلالياً ولكنهما ليسا متطابقين . ولذا لا يمكن تبادلهما بصورة كاملة[٢] » .

٤ ـ ويقول Lehrer : « إذا اشترطنا التماثل التام بين المفردتين فلن يكون هناك مترادفات ، ولكن قد يكون هناك عدد من المفردات المتشابهة إلى حد كبير في المعنى ، ويمكن تبادلهما بصورة جزئية »[٣] .

٥ ـ ويقول Goodman : « لا يوجد لفظان يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تغيير الدلالة الحقيقية . وعلى هذا فلو ادعينا ترادف كلمتين فإن عدم إمكانية تبادلهما interreplaceability في بعض السياقات يمكن أن يقدم الدليل على أن الكلمتين لا تحملان نفس المعنى »[٤] .

وينقل عنه Lappin قوله : « إذا اشترطنا في الترادف أن أي تعبيرين مترادفين يكونان قابلين للتبادل في كل السياقات . . . فمن السهل إثبات أنه لا يوجد تعبيران في أي لغة يمكن أن يكونا مترادفين»[٥] .

٦ ـ ويقول stork : « كل الكلمات تملك تأثيراً عاطفياً ، كما تملك تأثيراً إشارياً . ولهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة »[٦] .

ب ـ ولكن هناك قلة قليلة منهم تسمح بوجوده ، إما مع تضييق شديد ، أو

(١) Semantics ص ١١٠ .
(٢) ص ١٨١ .
(٣) Semantic Fields ص ٢٣ .
(٤) On Likeness ص ٧٣ .
(٥) Goodman and Katz ص ٢٧٩ .
(٦) Learning about Linguistics ص ١١٨ .

مع شيء من التجوز ، أو بشروط خاصة .

١ ـ فمن النوع الأول Ullmann الذي يقول : « إنه يكاد يكون بديهياً أن الترادف الكامل غير موجود ، أو نادر الحدوث جداً . إنه ترف لا يمكن للغة أن تقدمه بسهولة . وفقط تلك الكلمات التي يمكن أن تحل إحداهـا محل الأخرى في أي سياق من غير فرق على الإطلاق ـ تلك الكلمات فقط هي التي يمكن أن تعد مترادفة »[١] . ويقول : « إذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة . حيث إن الغموض الذي يعترى المدلول ، والألوان أو الظـلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلـول لا تلبـث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه . وكذلك سرعان ما تظهـر بالتـدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد »[٢] .

٢ ـ ومن النوع الثاني الفريق الذي قال عنه Lehrer : « هناك فريق يقول بوجود الترادف لأنه يكتفي بصحة تبـادل اللفظـين في معظـم السياقـات مثـل : mother و mama . والخلاف الأسلوبي بينهما لا يمنع ترادفهما »[٣] .

٣ ـ ومن النوع الثالث إبراهيم أنيس الذي اشترط لتحقق الترادف :

أ ـ اتحاد العصر . ولذا فهو لا يوافق من نظروا إلى كل عصور اللغة نظرة واحدة . ويرى أن مرور الزمن قد يخلق فروقاً بـين الألفـاظ ، كما قد يؤدي إلى تناسي هذه الفروق . فمن النوع الأول : الـكرسّي والعـرش اللـذان استعمـلا مترادفين في القرآن الكريم ، وقد اختلف معناهما الآن . ومـن الثانـي : المهنّـد والمشرفيّ واليمانيّ . فقد كان يلحظ في كل منها معنى لا يلحظ في الأخرى . فالمهند مصنوع في الهند ، وهو صلب رقيق ذو شكل معين . والمشرفيّ صنع في دمشق ،

---

(١) The Principles ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٢) دور الكلمة في اللغة ص ٩٨ .
(٣) Meaning in Linguistics ص ١٥ .

ومن نوع سميك ومستقيم . واليماني . . . وبمرور الزمن استعمل الثلاثة بمعنى السيف الجيد وكفى .

ب ـ اتحاد البيئة اللغوية، أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات . ولا يصح أن نلتمس الترادف ـ كما فعل الأقدمون ـ من لهجات العرب المتباينة حين عدوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة .

حـ ـ الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً ، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة . وبيس الحكم في ذلك الأدباء ذوي الخيال الخصب ، وإنما جمهور الناس ومتوسطوهم .

د ـ اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى . فليس من الترادف أزّ وهزّ ، ولا أصر وهصر ، ولا كمح وكبح . ومن أمثلة الترادف التي حققت الشروط عنده : آثر وفضل ـ حضر وجاء ـ بعث وأرسل . . والاستعمال القرآني يشهد بذلك :

فقد قال تعالى : تالله لقد آثرك الله علينا ، وقال : وأني فضلتكم على العالمين . كما قال تعالى : حتى إذا حضر أحدهم الموت ، وقال : حتى إذا جاء أحدكم الموت . كما قال تعالى : بعث فيهم رسولاً ، وقال : فأرسلنا فيهم رسولاً[1] .

رأينا :

يتبين مما سبق أننا إذا أردنا بالترادف التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات ، دون أن يوجد فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي) ، ونظرنا إلى اللفظين في

---

(١) في اللهجات العربية ص ١٧٨ وما بعدها .

داخل اللغة الواحدة ، وفي مستوى لغوي واحد ، وخلال فترة زمنية واحدة ، وبين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة - فالترادف غير موجود على الإطلاق .

وعلى هذا فلا ترادف بين المجموعات الآتية :

أ - حامل ، وحبلى : فالأولى راقية مؤدبة ، والثانية مبتذلة (لاحظ أن القرآن الكريم اقتصر على استعمال الأولى) .

ب - كنيف ، ومرحاض ، ودورة المياه ، والتواليت ، والحمّام . . فلكل منها بيئته الخاصة ، إلى جانب تفاوتها في درجة التلطف واللامساس [1] .

حـ - عقيلته ، وحرمه ، وزوجته ، وامرأته . . . فالأولى رسمية لا تستخدم إلا مع كبار الشخصيات ، والثانية أقل رسمية ، والثالثة عربية فصيحة ، والرابعة عامية . . بالإضافة إلى ما يحمله كل لفظ من دلالات اجتماعية وثقافية بالنسبة للمتكلم .

ولخص Collinson الفروق التي تقع بين اللفظين اللذين يدعى ترادفهما فيما يأتي :

أ - أن يكون أحد اللفظين أكثر عمومية أو شمولاً من الآخر (بكى - انتحب)[2] .

ب - أن يكون أحد اللفظين أكثر حدة وقوة من الآخر (أنهك - أتعب) .

حـ - أن يكون أحد اللفظين مرتبطاً بالانفعال أو الإثارة أكثر من الآخر (أتون - موقد) .

د - أن يكون أحد اللفظين متميزاً باستحسان أدبي أو استهجان ، في حين يكون الآخر محايداً (تواليت - مرحاض - دورة المياه) .

---

(١) توجد في كل اللغات حساسية نحو ألفاظ معينة ربما ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة . ولذا تتجنبها وتستعمل بدلها ألفاظاً أخرى أقل صراحة . ويوصف اللفظ المتروك أو المقيد الاستعمال بأنه من ألفاظ « اللامساس taboo» ، ويوصف اللفظ المفضل بأنه من باب التلطف في التعبير euphemism .

(٢) قمت باستبدال أمثلة عربية بأمثلة المؤلف الإنجليزية .

هـ ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر تخصصية من الآخر (حكم ذاتي ـ استقلال) .

و ـ أن يكون أحد اللفظين مرتبطاً باللغة المكتوبة وأدبياً أكثر من الآخر (تِلْو ـ بعد) .

ز ـ أن يكون أحد اللفظين أكثر عامية أو محلية أو لهجية من الآخر (لحّام ـ جزار) .

ح ـ أن يكون أحد اللفظين منتمياً إلى لغة الأطفال ، أو من يتحدث إلى الأطفال بخلاف الآخر (مَمّ ـ كُلْ) .

بل أكثر من هذا ، هناك من قدم قائمة بالفروق بلغت خمسة وعشرين فرقاً ، وعرض الفروق أمام ندوة السيمانتيك التي أقيمت في Mainz في ديسمبر ١٩٦٦[1] .

وفي الحق لقد تنبه بعض اللغويين الأقدمين إلى نفس الفكرة ، وإن كانوا قد أشاروا إليها في إجمال حين فرّقوا بين المترادف والمتكافىء ، وخصوا الثاني بالكلمات التي تدل على ذات واحدة ، ويختص كل منها بمزيد معنى . قالوا : فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات[2] .

ونحن ـ على سبيل المثال ـ لو استعرضنا الأسماء التي تلحق بالأسد لوجدنا كثيراً منها من قبيل الصفات التي يشير كل منها إلى معنى محدد :

فالضيغم : مأخوذ من الضغْم وهو العضّ الشديد .

والضرغام : الضاري الشديد المقدام من الأسود.

والغضنفر : الغليظ الخلق الكثير الشعر .

والعميثل : الضخم الشديد العريض ، أو الثقيل الخطو كأن فيه بطئاً من عظمة .

---

(١) Synonymy ص ١٤ ـ ١٥ ؛ و Meaning and Style ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) المزهر ١ / ٤٠٥ .

والقسورة : من القسر ، وهو القهر والغلبة والعزة .

والهصور : من الهَصْر ، وهو جذب الشيء وكسره .

والميّاس : من الميس ، وهو التبختر والاختيال .

وهكذا .

٢ ـ أما إذا أردنا بالترادف التطابق في المعنى الأساسي دون سائر المعاني ، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات ، أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين أو في أكثر من فترة زمنية واحدة ، أو أكثر من بيئة لغوية واحدة ـ فالترادف موجود لا محالة .

ويمكن التمثيل لذلك بكلمتي : وصل وجاء اللتين تنتظمان مع كلمات مثل : القطار ـ محمد ـ الخطاب ، ولكنهما تستقلان في سياقات أخرى . فنحن نقول : وصل من سفره (ولا نقول جاء) ونقول : جاء الربيع (ولا نقول وصل) . كما يمكن التمثيل بكلمتي strong و powerful اللتين تردان مع كلمة argument ، ولكن الأولى تأتي مع كلمة tea مثلاً والثانية مع كلمة car مثلاً[1] .

وأمثلة الترادف بين اللغات كثيرة ، ولعلها النقطة الوحيدة التي يقع فيها التطابق التام أو الترادف الكامل . ومع هذا فهناك مزالق كثيرة للحكم بالترادف بين اللفظين في لغتين كما نبهنا على ذلك في فصل « مشكلة الدلالة في الترجمة »[2] .

٣ ـ كما أن الترادف يمكن أن يتحقق بالنسبة للكلمات التي تبدو متقاربة جداً ويعجز الشخص عن تحديد الفروق بينها . ويكثر هذا حين لا يكون أحد اللفظين ضمن الكلمات المستخدمة في مفردات الشخص . وأمثلة ذلك من اللغة العربية : يثب مع يقفز ، يجري مع يعدو ، مضيء مع منير ، عال مع مرتفع[3] . كما يمكن أن

(١) انظر : Componential Analysis ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
(٢) انظر الباب الرابع .
(٣) وانظر أمثلة من اللغة الانجليزية في : Componentilal Analysis ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

يمثل له بالكلمات الأربعة : عام ـ سنة ـ حول ـ حجة ، وكلها وردت في القرآن الكريم بمعنى واحد ، وتخبط اللغويون والمفسرون في التماس الفروق بينها دون جدوى .

٤ ـ ويمكن أن يتحقق الترادف كذلك عند أصحاب النظرية التحليلية الذين يعرفونه بأنه اشتراك اللفظين في مجموع الصفات التمييزية الأساسية . لأن ما عدا مكونات المعنى الأساسي لا تعد من الصفات التمييزية الأساسية ، ولذا تستبعد عند التحليل . فالمكونات الأساسية لكلمة « أب » هي هي مكونات « والد » و « داد » وغيرهما .

٥ ـ ولا ننسى أخيراً أن كثيراً من الكلمات لا شفافية فيها ، وهي ذات طبيعة معتمة ـ على حد تعبير أولمان ـ ولذا فهي تخلو ـ أو تكاد تخلو ـ من أي معان إضافية أو إيحائية . ومثل هذه يسهل التبادل بينها في الموقع الواحد دون حرج ، وذلك مثل كلمات : وراء وخلف ـ قدام وأمام ـ غرفة وحجرة ـ ساحة وفناء . . .



الباب الرابع

من الدرس التاريخي والتقابلي



الفصل الأول

من الدرس التاريخي
(تغير المعنى)

لاقى السيانتيك التاريخي (يسمى أحياناً Semasiology) عناية اللغويين في وقت مبكر جداً لا يتجاوز أوائل القرن التاسع عشر . وقد بدأ في المانيا أولاً ، ثم انتقل إلى فرنسا على يد علماء اللغة الاجتماعيين ، من تلامذة Meillet [1] . وفي هذا القرن حاول العلماء كذلك تقعيد التغيرات التي تحدث للمعنى ، وتصنيفها على أسس منطقية . وكان من أهم ما شغل علماء اللغة موضوع تغير المعنى ، وصور هذا التغير ، وأسباب حدوثه ، والعوامل التي تتدخل في حياة الألفاظ أو موتها. ولقد تساءل Cohen في صدر كتابه The Diversity of Meaning قائلاً : هل يتغير المعنى ؟ ثم أجاب قائلاً : إن نفس الكلمات ـ بسبب تطور اللغة خلال الزمن ـ تكتسب معنى آخر ، وتشرح فكرة أخرى ، وعلى هذا فإن ما نعنيه بتغير المعنى هو تغيير الكلمات لمعانيها[2] . ويقول أولمان : لقد سبق أن عرفنا المعنى بأنه علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول . . وعلى هذا يقع التغير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية[3] .

---

(١) Introduction to Historical Linguistics ص ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ Sense ص ١١٤ .
(٢) ص ٢ .
(٣) دور الكلمة في اللغة ص ١٥٥ .

ومعنى هذا أن تغير المعنى يمس جانب اللفظ بصورة أساسية ، وأننا حينما نعالج موضوع تغير المعنى لا نعالجه منعزلاً ، وإنما في ضوء الألفاظ التي ترتبط بالمعاني المتغيرة وتعبر عنها .

ويشبه بعض اللغويين تغير المعنى عن طريق اكتساب الكلمة لمعان جديدة بالشجرة تنبت فروعاً جديدة . وهذه الفروع بدورها تنبت فروعاً أصغر . الفروع الجديدة قد تخفى القديمة ، وتقضى عليها ، ولكن لا يحدث ذلك دائماً . وهناك كثير من المعاني السابقة ازدهرت وانتشرت لقرون على الرغم من نمو المعاني الجديدة اللاحقة [1] .

وسنقصر أنفسنا من بين مشكلات تغير المعنى على مشكلتين اثنتين هما :

١ ـ أسباب تغير المعنى .

٢ ـ أشكال تغير المعنى .

---

(١) Studies in words ص ٩ .

أولاً : أسباب تغير المعنى

في أوائل هذا القرن رأي اللغوي الفرنسي انطوان مييهAntoine Meillet أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية لتغير المعنى هي : اللغوية والتاريخية والاجتماعية . ويعقب أولمان على هذا بقوله : « هذه الأنواع الثلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضح حالات كثيرة من تغير المعنى ، ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال »[1] .

ولعل أهم الأسباب التي تؤدي إلى تغير المعنى ما يأتي :

١ ـ ظهور الحاجة .

حينما يملك المجتمع اللغوي فكرة أو شيئاً يريد أن يتحدث عنه فإنه يمثله بمجموعة من الأصوات في مفردات أو معجم اللغة .

وقد يكون هذا التمثيل عن طريق الاقتراض (حينما يؤخذ الشيء من مصدر خارجي) ، وقد يكون عن طريق صك لفظ جديد coining على طريقة كلمات هذه اللغة . ويحدث الأخير كثيراً بالنسبة للمسميات التجارية التي توضع عادة دون نظر لأصلها أو اشتقاقها ، وإنما باعتبار سهولة تذكرها وحسن جاذبيتها[2] .

ولا يعد النوعان السابقان من تغير المعنى . ولكن هناك وسيلة ثالثة تعد من

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١٥٧ ـ ١٦٠ .
(٢) انظر Introduction: Arlotto ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

هذا الباب وهي أن يلجأ أبناء اللغة إلى الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة فيحيون بعضها ويطلقونه على مستحدثاتهم ملتمسين في هذا أدنى ملابسة . يقول Waldron : « في المخترعات والاكتشافات ، الحديثة نحن نستعمل ألفاظاً قديمة لمعان حديثة ولذا يتغير المعنى » ، ويقول أيضاً : « مصطلحات العلوم والرياضة والتخصصات المختلفة قد تنتقل إلى لغة الناس كذلك »[1] . ويقول إبراهيم أنيس : « وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ذلك الموج الزاخر من الألفاظ القديمة الصورة الجديدة الدلالة » . ويمثل لذلك بكلمات مثل : المدفع والدبابة والسيارة والقاطرة والثلاجة والسخان والمذياع والذبذبات والتسجيل والجرائد والصحف . . . ثم يمضي قائلاً : « وغير ذلك من آلاف الألفاظ التي أحياها الناس أو اشتقوها وخلعوا عليها دلالات جديدة تطلبتها حياتهم الجديدة . وتتم هذه العملية عن طريق الهيئات والمجامع اللغوية ، أو قد يقوم بها بعض الأفراد من الموهوبين في صناعة الكلام كالأدباء والكتاب والشعراء ، ثم تفرض تلك الألفاظ في وضعها الجديد على أفراد المجتمع للتداول والتعامل بها . . »[2] .

٢ ـ التطور الاجتماعي والثقافي :

قد يدخل هذا السبب في السبب السابق ، ولكنه لأهميته أفرده الكثيرون بالذكر . ويظهر هذا السبب في عدة صور :

أ ـ فقد يكون في شكل الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية نتيجة لتطور العقل الانساني ورقيه . وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية ، ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة ، وقد تندثر ، وقد تظل مستعملة جنباً إلى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر[3] .

---

(١) Sense and Sense Development ص ١١٧ .

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٦١ ، ١٦٢ .

ب ـ وقد يكون في شكل اتفاق مجموعة فرعية ذات ثقافة مختلفة على استخدام ألفاظ معينة في دلالات تحددها تماشى مع الأشياء والتجارب والمفاهيم الملائمة لمهنها أو ثقافتها ، وقد يؤدي هذا إلى نشوء لغة خاصة jargon . ولا شك أن شدة الاتصال بين أفراد هذه الجماعة ، وبينها وبين أفراد أخرى من المجتمع الكبير سيقضي على صعوبة إفهام الآخرين وتعاملهم مع المدلول الجديد . وقد حدث مثل هذا بالنسبة للكلمات الدينية كالصلاة والحج والزكاة والوضوء والتيمم . . . ويمكن القول على وجه العموم إن الاتجاه في مثل هذه الحالات يميل نحو التضييق في معنى الكلمة حين تنتقل من الاستعمال العام إلى المجالات المتخصصة[1] .

حـ ـ وقد يكون في شكل استمرار استخدام اللفظ ذي المدلول القديم وإطلاقه على مدلول حديث للإحساس باستمرار الوظيفة رغم الاختلاف في الشكل .

ومن أمثلة ذلك كلمة ship (سفينة) التي لم تتغير صيغتها بشكل يكاد يذكر منذ العهد الأنجلو سكسوني . ومع ذلك فإن السفن الحالية تختلف عن السفن التي كان يبحر عليها قراصنة الشمال من عدة وجوه كالحجم والتركيب والشكل والخواص الفنية . . . ومثل هذا يقال عن كلمة house التي ما تزال تطلق على الشكل الحديث رغم تغيره عن القديم . وكلمة book المأخوذة من الإنجليزية القديمة bōc . ولا شك أن الطباعة قد غيرت من مفهوم الكلمة إلى حد كبير[2] .

٣ ـ المشاعر العاطفية والنفسية :

تحظر اللغات استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات مكروهة ، أو لدلالتها الصريحة على ما يستقبح ذكره ، وهو ما يعرف باللامساس أو الـ taboo[3] .

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١٥٩ ، ١٦٠ ؛ و Arlotto ص ١٧٥ .
(٢) دور الكلمة في اللغة ص ١٥٨ ؛ و Arlotto ص ١٨١ ، ١٨٢ ؛ و Sense ص ١٨٠ .
(٣) انظر : دور الكلمة في اللغة ص ١٧٧ .

ولا يؤدي اللامساس إلى تغيير المعنى . ولكن يحدث كثيراً أن المصطلح البديل يكون له معنى قديم ، مما يؤدي إلى تغيير دلالة اللفظ . فكأن اللامساس يؤدي إلى التحايل في التعبير أو ما يسمى بالتلطف ، وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولاً ، وهذا التلطف هو السبب في تغير المعنى(١) .

٤ ـ الانحراف اللغوي :

قد ينحرف مستعمل الكلمة بالكلمة عن معناها إلى معنى قريب أو مشابه له فيعد من باب المجاز ، ويلقى قبولاً من أبناء اللغة بسهولة . وسنتناول المجاز في عنوان مستقل . وقد يكون الانحراف نتيجة سوء الفهم أو الالتباس أو الغموض ، وحينئذٍ يتصدى له اللغويون بالتقويم والتصويب ، وغالباً ما يكون محل رفض منهم ، حتى لو قبلته الجماعة اللغوية وجرى على ألسنتهم .

ويحدث سوء الفهم حين يصادف المرء اللفظ لأول مرة فيخمن معناه ، وقد ينتهي به التخمين إلى دلالة غريبة لا تكاد تمت إلى ما في ذهن المتكلم بأي صلة . وحين يتكرر هذا الانحراف من أكثر من شخص قد يؤدي هذا إلى تطور اللفظ تطوراً مفاجئاً يرثه الجيل الناشيء ويركن إليه .

ويتم مثل هذا التغير الفجائي عادة في البيئات البدائية حيث الانعزال بين أفراد الجيل الناشيء وجيل الكبار ، ثم تسود تلك الدلالة الجديدة . ويمثل الدكتور أنيس لهذا التغير الفجائي أو الانحراف اللغوي بكلمات مثل الأرض التي تحمل دلالات عدة متباينة . فهي الكوكب المعروف ، وهي الزكام (وهي الرعدة كذلك) ، ومثل الليث الذي يعني الأسد ويعني أيضاً العنكبوت(٢) .

ويعد الأطفال كذلك أحد الأمثلة البارزة للانحراف اللغوي خصوصاً وأنهم

---

(١) انظر أمثلة كثيرة للتلطف واللامساس : دلالة الألفاظ ص ١٣٩ ـ ١٤٥ . وانظر في دور اللامساس في تغيير المعنى : Sense ص ١١٨ ، ١١٩ ؛ ودور الكلمة في اللغة ص ١٧٧ .

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

يغلبون جانب الشكل على جانب الوظيفة . فقد يطلق الطفل على الفأس والمطرقة لفظ « قدوم » . وقد استعمل طفل في الثالثة كلمة paint بدلاً من ورنيش الحذاء الذي تستعمل معه الفرشاة[1] . ويقول الدكتور أنيس : « فالكنبة عند بعضهم سرير ، والمكتبة عند آخرين دولاب ، والمكتب ترابيزة . . ويخلط الطفل كذلك بين أنواع الطيور فالحمامة عصفور والحدأة غراب »[2] . وهناك أمور كثيرة يخلط الطفل بينها مثل ألفاظ الألوان ، والألفاظ ذات الدلالات المتضادة ، والألفاظ ذات النطق المتشابه ، وغيرها[3] .

٥ ـ الانتقال المجازي :

وعادة ما يتم بدون قصد ، وبهدف سد فجوة معجمية . ويميز الاستعمال المجازي من الحقيقي للكلمة عنصر النفي الموجود في كل مجاز حي . وذلك كقولنا : رجل الكرسي ليست رجلا ، وعين الإبرة ليست عينا . وعنصر النفي هذا هو الذي يمكّن من توجيه أسئلة ملغزة نحو :

ما الذي له لسان ولا يمكن أن يتكلم ؟
ما الذي له عين ولا يمكن أن يرى ؟
ما الذي له أسنان ولكنه لا يعض ؟

وقد يحدث بمرور الوقت أن يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للفظ معنيان ، وقد يشيع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي ويقضي عليه .

وميز بعضهم بين الأنواع الثلاثة الآتية للمجاز :

أ ـ المجاز الحي (living) الذي يظل في عتبة الوعي ، ويثير الغرابة والدهشة عند السامع .

---

(١) Introduction: Dillon ص ٢١ .
(٢) دلالة الألفاظ ص ٩٢ . وانظر أمثلة أخرى كثيرة في الصفحات التالية .
(٣) وقد اعتبر أولمان المشابهة بين اللفظين من الأسباب التي تؤدي إلى عقد صلة زائفة بينهما ، وربما يؤثر في معنى إحدى الكلمتين (دور الكلمة في اللغة ص ١٧٥) .

ب ـ المجاز الميت (dead) أو الحفري (fossil) وهو النوع الذي يفقد مجازيته ويكتسب الحقيقية من الألفة وكثرة التردد .

حـ ـ المجاز النائم (sleeping) أو الذاوي (faded) ويحتل مكانا وسطا بين النوعين السابقين .

والفرق بين المجاز الميت والمجاز النائم هو جزئيا سؤال عن درجة الوعي اللغوي[1] .

وسيأتي مزيد حديث عن المجاز في العنوان التالي : « أشكال تغير المعنى » .

٦ ـ الابتداع :

ويعد الابتداع innovation أو الخلق creativity من الأسباب الواعية لتغير المعنى . وكثيرا ما يقوم به أحد صنفين من الناس :

أ ـ الموهوبون من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء والأدباء . وحاجة الأديب إلى توضيح الدلالة أو تقوية أثرها في الذهن هي التي تحمله على الالتجاء إلى الابتداع .

ب ـ المجامع اللغوية والهيئات العلمية حين تحتاج إلى استخدام لفظ ما للتعبير عن فكرة أو مفهوم معين، وبهذا تعطى الكلمة معنى جديدا يبدأ أول الأمر اصطلاحيا ، ثم قد يخرج إلى دائرة المجتمع فيغزو اللغة المشتركة كذلك . ومثال ذلك كلمة root التي يختلف معناها بحسب مهنة المتكلم أهو مزارع أم عالم رياضيات أم لغوي[2] .

---

(١) Sense ص ١٦٢ ـ ١٧٩

(٢) Introduction : Arlotto ص ١٧٤ ، ١٧٥ ؛ ودلالة الألفاظ ص ١٤٥. وقد ذكر Stern أسبابا أخرى لتغير المعنى مثل القياس والاستبدال والتقصير وتعديل الرتبة . . (انظر Sense ص ١٣٠ ـ ١٣٣) .

ثانيا : أشكال تغير المعنى

حاول رجال القواعد وعلماء البلاغة جاهدين منذ أرسطو أن يخضعوا تغيرات المعنى لشيء من التنظيم والتقعيد . غير أنهم حصروا جهودهم لقرون طويلة في تصنيف المجازات لأسباب جمالية أو أسلوبية . وحين انتقل الأمر إلى علماء اللغة حاولوا تنظيم البحث من عمليات انتقال المعنى دون اعتبار لمضموناتها الأدبية .

وقد قدم اللغويون خطتين للتقسيم إحداهما الخطة المنطقية ، والأخرى الخطة النفسية[1] ، وبمزج الخطتين ودمج تقسيماتهما نخرج بالأشكال الآتية لتغير المعنى :

١ ـ توسيع المعنى

يقع توسيع المعنى (widening) أو امتداده (extension) [2] عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام. ويعد هذا الشكل على قدم المساواة في الأهمية مع الشكل الآتي (تضييق المعنى) ، وإن كان الدكتور ابراهيم أنيس يرى أن « تعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها »[3] .

ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق ، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل .

---

(١) انظر : دور الكلمة في اللغة ص ١٦٤ .

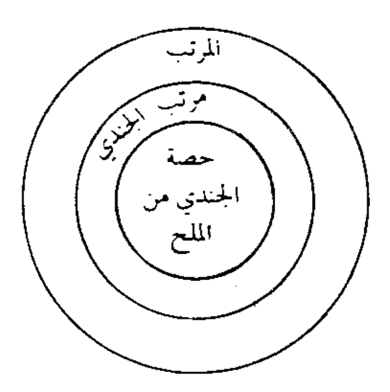
(٢) أطلق عليه إبراهيم أنيس : تعميم الدلالة (دلالة الألفاظ ص ١٥٤) .

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٥٤ .

والأمثلة على ذلك كثيرة في لغة الصغار والكبار ، وفي كل اللغات :

أ ـ فالطفل قد يطلق كلمة تفاحة على كل الأشياء المستديرة التي تشبهها في الشكل مثل البرتقالة وكرة التنس وأكرة الباب وثقالة الورق .

ب ـ وكلمة salary التي تعني المرتب من أي نوع كانت في أصلها اللاتيني تعني فقط مرتب الجندي . بل إذا تتبعنا اللفظ في تاريخه القديم نجده كان يعني فقط حصة الجندي من الملح . وبهذا تكون الكلمة قد تعرضت لنوعين من التوسيع هكذا[1] :



حـ ـ وكلمة picture كانت تطلق على اللوحة المرسومة ، والآن امتدت لتشمل الصور الفوتوغرافية[2] .

د ـ كلمة drinking - straw تطلق الآن حتى على تلك المصنوعة من الورق أو من البلاستيك[3] .

هـ ـ في السلافية الجنوبية صار اسم الوردة يطلق على الزهرة عموما[4] .

و ـ كثير من أسماء الأعلام قد تدخل اللغة ككلمات عادية فيتسع مدلولها مثل

---

(١) Arlotto ص ١٧٧ .
(٢) Sense ص ١١٥ .
(٣) السابق ص ١١٦ .
(٤) اللغة لفندريس ص ٢٥٨ .

كلمة Baycott ، وهي فعل أخذ من اسم مالك الأرض الأيرلندي المستبد Charles c. Boycott (١٨٣٢ ـ ١٨٩٧) . وقد أصبح اسم هذا الرجل يطلق في اللغة الإنجليزية على المقاطعة أو رفض التعامل[1] . وشبيه بهذا إطلاق كلمة « سندوتش » على الشطيرة المعروفة تسمية باسم صاحبها ، وتسمية كل المكانس الكهربائية « هوفر » وأخذ فعل منها ، وقد كانت في الأصل اسما لنوع معين منها . وقد سمعت بعض المثقفين العرب يطلق كلمة « كوداك » على مطلق « كاميرا » .

ويمكن تفسير توسيع المعنى على أنه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ :

أ ـ فالطفل الذي يستخدم كلمة « عم » مع كل رجل قد أسقط الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بملمحي الذكورة والبلوغ .

ب ـ والذي يستخدم العبارة « صحيفة الهواء » قد راعى فقط ملامح مثل نقل الأخبار ـ والدورية . . وأسقط ملح الطبع على ورق . ومثل هذا يقال عن « مسرح الهواء » الذي لاحظ فقط ملمح التمثيل وأسقط « بناء المسرح »[2] . . .

٢ ـ تضييق المعنى :

ويعد تضييق المعنى (narrowing) ـ وسماه إبراهيم أنيس تخصيص[3] المعنى ـ اتجاها عكس السابق . ويعني ذلك تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها . وعرفه بعضهم بأنه تحديد معاني الكلمات وتقليلها .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ ـ في أمريكا منذ عشر سنوات مثلا كانت المرأة تقول إنها أخذت a pill

(١) Arlotto ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢) انظر Introduction : Dillon ص ١٩ ؛ و Semantics : Rapoport ص ١٣٨ .

(٣) منهم من سماه تقليص المعنى (restriction) . انظر Sense ص ١١٥ .

وكان السامع الفضولي يتساءل : لأي غرض ؟ لمنع الحمل ؟ لعـلاج الصـداع ؟ لعلاج المعدة ؟ ثم مع شيوع استخدام وسيلة منع الحمل عن طريق الأقراص birth control pill - صارت كلمة pill ضيقة المعنى وأصبحت تعني فقط « قرص منـع الحمل » . وعلى هذا فإن الكتاب صاروا يتحرجون من استعمال هذه الكلمة في معناها العام وفضلوا عليها كلمة tablet [١] .

٢ ـ كلمة poison الإنجليزية كانت تعني « الجرعة من أي سائل » ولكن الذي حدث هو أن الجرعـات السامـة دون غيرهـا هي التـي استرعـت الانتبـاه واستأثرت به لسبب أو لآخر . وبهذا تحدد مدلول الكلمة وأصبح مقصـورا على أشياء تقل في عددها عما كانت تدل عليه الكلمة في الأصل إلى حد ملحوظ[٢] .

٣ ـ كلمة « حرامي » هي في الحقيقة نسبة إلى الحرام. ثم تخصصت دلالتها واستعملت بمعنى اللص في القرن السابع الهجري في بعض النصوص المروية .

٤ ـ في لهجات الخطـاب تخصصـت كلمـة « الطهـارة » وأصبحـت تعنـي الختان ، وتخصصت كلمة « الحريم » فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس أصبحت الآن تطلق على النساء . وكذلك كلمة العيش تخصصت في مصر بالخبز[٣] وفي بعض البلاد العربية بالأرز .

ويمكن تفسير التخصيص أو التضييق بعكس ما فسر به توسيع المعنى . فقد كان التوسع نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ ، أما التخصيص فنتيجة إضـافـة بعض الملامـح التمييزية للفـظ ، فكلما زادت الملامـح لشيء ما قل عدد أفراده[٤] .

---

(١) Arlotto ص ١٧٩ .
(٢) دور الكلمة في اللغة ص ١٦٥ .
(٣) دلالة الألفاظ ص ١٢٥ ، ١٥٢ . وانظر اللغة لفندريس ص ٢٥٦ وما بعدها .
(٤) Semantics : Rapoport ص ١٣٧ .

٣ ـ نقل المعنى :

يقول فندريس في تحديد المراد بنقل المعنى : « يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كان لا يختلفان من جهة العموم والخصوص (كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه . . الخ أو العكس) . . . وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى (. . الاستعارة ـ إطلاق البعض على الكل ـ المجاز المرسل بوجه عام . .) »[1] .
وعلى هذا يكون الفرق بين هذا النوع والنوعين السابقين كون المعنى القديم أوسع أو أضيق من المعنى الجديد في النوعين السابقين وكونه مساويا له في النوع الحالي .
ومعنى هذا أن جميع أنواع المجاز التي يتساوى فيها الطرفان تدخل تحت هذا النوع المسمى بنقل المعنى ، أو تغيير مجال الاستعمال . ولكن ذهب Arlotto إلى أن الفرق يتمثل في أن الأولين يتمان عادة بصورة غير شعورية أما الثالث فيتم بصورة قصدية لغرض أدبي غالبا[2] .

وأمثلة نقل المعنى كثيرة منها التعبير عن أحد أعضاء البدن باسم عضو آخر مثل استخدام كلمة صدر أو نحر (وفي بعض اللغات : معدة) بدلا من ثدي .
ومنها تبادل الأسماء الدالة على عمليات الحواس . فكثيرا ما تستعمل الألفاظ الدالة على اللمس والسمع والإحساس والذوق بعضها مكان بعض . وبعض اللغات تعبر عن الأصم « بأعمى الأذنين »[3] .

ومن أمثلة نقل المعنى كذلك الكلمة الانجليزية bead . فالمعاجم الحديثة تعرفها بأنها : قطعة صغيرة تشبه الكرة من الزجاج أو الخشب أو المعدن أو أي مادة أخرى مثقوبة لادخال الخيط فيها . وإذا تتبعنا اللفظ في الإنجليزية القديمة ربما وجدنا الكلمة gebet التي لا تعني bead وإنما التضرع أو الصلاة . ما العلاقة بين

---

(١) اللغة ص ٢٥٦ . وانظر دور الكلمة في اللغة ص ١٦٥ .
(٢) ص ١٨٠ .
(٣) اللغة لفندريس ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

المعنيين ؟ كان بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية (وما زالوا) يعدون أدعيتهم وتسابيحهم على حبات منظومة في خيط . ومن هنا نشأ التعبير : يعدّ حبّاته التي تعني كلا من الحبّات والدعوات . وفي الإنجليزية الوسيطة أعطى لفظ bead (أو bede) المعنيين : دعاء ـ حبّات عدّ الأدعية . وهذا هو الذي أدى الى التحول الدلالي[1] .

ومن الكلمات التي تغيرت دلالاتها بطريق النقل كلمة « الشنب » التي كانت تعني في القديم جمال الثغر وصفاء الأسنان وهي في الاستعمال الحديث بمعنى الشارب . وكلمة « السفرة » التي كانت تعني الطعام الذي يصنع للمسافر وهي في الاستعمال الحديث : المائدة وما عليها من الطعام . وكان « طول اليد » كناية عن السخاء فأصبح يوصف به السارق[2] .

ومن أشكال انتقال المعنى ما يعرف باسم « انحطاط المعنى » او ابتذاله ، وعكسه « رقي المعنى » . وقد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سلم الاستعمال الاجتماعي ، بلْ قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة ، وتهبط إلى الحضيض في وقت واحد[3] . وأمثلة هذا وذاك ما يأتي :

١ ـ كلمة luck قد تكون بمعنى الحظ الطيب أو السيء ، ولكنها تميل إلى أن تتخصص في المعنى الأول ، ويدل على ذلك الصفة lucky .

٢ ـ الكلمة الفرنسية maréchal التي ترجع إلى أصل جرماني معناه خادم الإصطبل أو السايس ، تحمل كذلك معنى ، المشير أو البيطار .

٣ ـ الكلمة constable كانت تعني « كونت الإصطبلات » ، وهي شخصية سامية كانت توجد في البلاط الملكي في أوربا في العصور الوسطى . هذه الكلمة ما تزال تحتفظ بمكانتها الراقية في مثل Chief constable (رئيس الشرطة) ولكنها

---

(١) Arlotto ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) المعجم الوسيط ، المواد السابقة ، ودلالة الألفاظ ص ١٢٦ .

(٣) دور الكلمة في اللغة ص ١٨٦ .

فقدت هذه المكانة في police constable (كونستابل شرطة)[1] .

٤ ـ اللقب « أفندي » المأخوذ عن التركية كان له خلال القرن التاسع عشر مركز هام ومكان مرموق ، ثم انحط قدره على توالي الأيام ، وصار الآن ذا قدر تافه . ومثل هذا حدث لكلمة « حاجب » التي كانت تعني في الدولة الأندلسية « رئيس الوزراء » ، ثم آلت إلى المعنى التافه الذي تدل عليه الآن[2] .

٥ـ كلمة « رسول » كان لها معنى الشخص الذي يرسل في مهمة ما ، ثم صار لها هذه الدلالة السامية التي تألفها الآن . وقريب منها كلمة Knight التي كانت تعبر في فروسية القرون الوسطى عن مركز مرموق ، وقد انحدرت إلى اللغات الأوربية من معنى أصلي هو « ولد خادم »[3] .

وهكذا يتبين أن نقل المعنى يعد أهم أشكال تغير المعنى أولا لتنوعه ، وثانيا لاشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيلات . وقد تحدث الكثيرون عن أهمية التخيلات « وبخاصة في مجالات الكناية والمجاز والتشبيه . وقد أعلن أرسطو أن أعظم شيء هو أن تسيطر على المجاز . . . ويعتقد Proust أن المجاز وحده يمكن أن يعطي نوعا من الخلود للأسلوب . . . » . كذلك يضع المجاز حرية الاختيار في الأسلوب أمام الكاتب . يقول Ullmann : « ففي مجال النحو القواعد محددة ، ولا يختار الكاتب إلا في حدود ضيقة . وفي حدود المفردات قد نملك مرادفات لنختار منها ، ومع ذلك فمجال الاختيار محدود جدا . والمجال الوحيد الذي يمكننا أن نختار فيه بدون تقييد حريتنا هو التخيل »[4]

٤ ـ المبالغة :

اعتبر Ullmann المبالغة من أشكال تغير المعنى وعدها مسؤولة عن تلك

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١٨٦ .

(٢) دلالة الألفاظ ص ١٤٠ وانظر ص ١٥٦ وما بعدها .

(٣) السابق ص ١٥٨ .

(٤) Meaning and Style ص ٤٤ ـ ٤٦ .

الشعارات المذهبية والاصطلاحات الخادعة التي تستغلها أجهزة الدعاية أسوأ استغلال حتى إنها لا تلبث أن تؤدي إلى عكس المقصود منها ، كما في نحو قولك : هو سعيد بشكل مخيف ، ورائع بكل بساطة . ومثل هذه التعبيرات الصارخة سرعان ما تفقد جدتها وقوة التعبير فيها ، حتى تصبح مبتذلة بالية ، ثم تخلفها وتحل محلها تعبيرات أخرى[1] . .

(١) دور الكلمة في اللغة ص ١٧٠ ، ١٧١ .

الفصل الثاني

من الدرس التقابلي
(مشكلات الدلالة في الترجمة)[1]

المشكلة الأساسية في عملية الترجمة بين لغتين هي محاولة إيجاد لفظ ما في لغة ما مطابق للفظ آخر في لغة أخرى . وهذا يفترض من البداية تطابق اللغتين في التصنيف ، وفي الخلفيات الثقافية والاجتماعية ، وفي مجازاتها واستخداماتها اللغوية ، وفي أخيلتها وتصوراتها . . وهو مالا يتحقق ولا يمكن أن يتحقق مطلقا . ويختلف اللغويون المحدثون في هذا مع أرسطو الذي كان يرى أن المعاني تتقابل تماما من لغة إلى لغة ، بمعنى أن أي كلمة في لغة يمكن أن نجد لها مرادفا مطابقا في اللغة الأخرى[2] . فإذا كان الاختلاف موجودا بين الفرد والفرد من أبناء اللغة ، بل بين الفرد ونفسه من موقف إلى موقف ، ومن حالة إلى حالة ، فإنه موجود ـ ولا شك ـ بين اللهجة واللهجة ، وبين اللغة واللغة .

ويتفرع عن هذه المشكلة الأساسية مشكلات جزئية أو تطبيقية كثيرة نرى أن من أهمها ما يأتي :

١ ـ اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين في اللغتين .

---

(١) يعتمد هذا الفصل على بحث بعنوان « مشكلات الدلالة في المعجم الثنائي اللغة » ألقيته في الدورة التدريبية لصناعة المعجم العربي للناطقين باللغات الأخرى ـ الرباط ١ ـ ٨ ابريل

(٢) Sense and Sense Development ص ١٦ .

٢ ـ اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين في اللغتين .
٣ ـ الاستخدامات المجازية .
٤ ـ اختلاف التصنيفات الجزئية .
٥ ـ التلطف في التعبير واللامساس .
٦ ـ الإيحاء والجرس الصوتي .
٧ ـ اختلاف المألوفات الثقافية والاجتماعية .

واليكم التفصيل والشرح :

أولا : اختلاف المجال الدلالي للفظين يبدوان مترادفين :

يشمل اختلاف المجال الدلالي Semantic range ما يأتي :

أ ـ اتساع مدلول الكلمة في لغة ما وضيقه في اللغة الأخرى .

ب ـ استخدام الكلمة في أكثر من معنى في لغة وفي معنى واحد في اللغة الأخرى .

وأكثر ما يتضح النوع الأول في مجال الألوان ، حيث تمتد رقعة الألوان دون فاصل طبيعي ، ولا حدود متدرجة من الأحمر حتى البنفسجي . وأي فصل لا بد أن يتسم بالتحكم . وتتبع كل لغة طريقة خاصة في التقسيم . ونتيجة لهذا نجد أن بعض اللغات تعبر عن لونين بلفظ واحد ، وبعضها يضع أكثر من لفظ لدرجات من اللون الواحد . فمن الأول لفظ الأزرق الذي كان يطلقه العرب القدماء على ما نسميه الآن بالأخضر والأزرق . ومن الثاني تعبير العرب عن درجات الحمرة بألفاظ مثل « أرجوان » للشديد الحمرة ، وبهرمان لما دونه بشيء من الحمرة . وإطلاقهم لفظ « المفدم » على المشبع حمرة ، والمضرج دونه ، والمورد بعده . وكذلك احتواء بعض اللغات على لفظين للأخضر ، أحدهما للنبات ، والآخر للملابس ، أو على لفظين للأزرق أحدهما لحبات الخرز وعقود الزينة ، والآخر للأزهار ، أو على ثلاثة ألفاظ للبنى . . وهكذا[1] .

---

(١) انظر اللغة واللون للمؤلف .

ومن أمثلة ذلك أيضا الكلمات :

١ ـ « طويل » التي يقابلها في الإنجليزية tall و long ، ولكل منهما استخدامه الخاص . وكثيرا ما يحدث الخلط بين مستخدمي اللفظين الإنجليزيين من العرب فيضعون أحدهما مكان الآخر .

٢ ـ « مشغول » في العربية التي يقابلها في الإنجليزية busy و engaged . وكثيرا ما يخلط بينهما العرب فيصفون التليفون مثلا بأنه busy .

٣ ـ « قريب » في العربية التي يقابلها في الإنجليزية : relative و near . والفرق بينهما واضح .

وقد يتسع مجال استخدام اللفظ في إحدى اللغتين حتى ينقل إلى باب المشترك اللفظي أو تعدد المعنى ، كما يبدو من المثالين التاليين :

١ ـ كلمة «مكتبة » في اللغة العربية يقابلها في اللغة الإنجليزية أكثر من كلمة يستخدم كل منها في حالة خاصة :

أ ـ فكلمة library تعني المكتبة العامة التي يرتادها الجمهور للاطلاع .
ب ـ وكلمة book - store أو bookshop تعني المكتبة التي تقوم ببيع الكتب .
حـ ـ وكلمة book- collection تعنى المكتبة ذات الملكية الخاصة .

وكثيرا ما نرى أحد محلات بيع الكتب يضع لافتة بالعربية والإنجليزية تجمع بين كلمتي مكتبة و library . والعذر في الخلط اضح ؛ لأن المعاجم الثنائية اللغة لا تنبه إلى الفرق في الاستعمال بين هذه الألفاظ . فمعجم Hans Wehr مثلا يترجم مكتبة إلى library و book store و desk (؟) دون أن يحدد الفرق في الاستخدام بينها .

٢ ـ كلمة « أدرك » في اللغة العربية تأتي في سياقات متعددة مثل :

أ ـ أدرك الصبيُّ
ب ـ أدرك القطار
د ـ أدرك حاجته .
د ـ أدرك ما تقول .

ويقابلها في الإنجليزية أفعال متعددة لا فعل واحد .

فالأول يعني : reach sexual maturity .
والثاني يعني : catch .
والثالث يعني : get أو overtake .
والرابع يعني : realize أو understand أو be aware .

ثانيا : اختلاف التوزيع السياقي لكلمتين تبدوان مترادفتين :

يختلف هذا عن السابق في أن اللفظين يعدان مترادفين في اللغتين في معناهما العام ولكنهما يختلفان في تطبيقات الاستعمال ، أو في السياقات اللغوية التي يردان فيها . مثال ذلك ما يأتي :

١ ـ كلمة poor الإنجليزية تأتي في سياقات متنوعة مثل :

poor man = محتاج (ماديا) ـ فقير .
poor boy = عند استحقاق الشفقة .
poor box = صندوق الصدقات (تجمع فيه التبرعات لتوزيعها على الفقراء) .

poor opinion = فكرة تافهة أو متواضعة .

poor health = صحة منحرفة ـ مريضة .

ولا يمكن لمقابلتها العربية أن تأتي في سياقات متطابقة ، فلا يقال : يا له من ولد فقير (في موقف الشفقة) ولكن يقال : يا له من ولد مسكين . ولا يقال : الصحة فقيرة ، ولكن يقال : عليلة أو ليست على ما يرام . ولا يقال : منزل فقير ، ولكن يقال : منزل متواضع ، وكذلك فكرة متواضعة .

ومما يدل على عدم تطابق الكلمتين في اللغتين أن كلمة poor تقابل good في مثل : poor work : good work . وتقابل rich في مثل : poor man : rich man

مع أن كلمة فقير العربية تقابل الثاني دون الأول .

٢ ـ كلمة stone الإنجليزية تأتي في سياقات مختلفة عن تلك التي ترد فيها مقابلتها العربية .

فالكلمة الإنجليزية تأتي في سياقات مثل :

precious stone
plum stone
date stone
kidney stone

ولكن مقابلها العربي « حجر » لا يأتي إلا في التركيب الأول . فنحن نقول : حجر كريم ـ بذرة البرقوق ـ نواة البلحة ـ حصوة الكلي .

٣ ـ كلمة cut الإنجليزية تأتي في مصاحبة كلمات مثل : - finger - speech cheese - hair - flowers . ولكن مقابلها العربي « يقطع » لا يأتي في كل هذه التوزيعات . فنحن نقول : جرح إصبعه ـ قطف الأزهار ـ قص شعره ـ قطع الجبن ـ قطع حديثه .

ويعدّ أصحاب المنهج السياقي في دراسة المعنى ـ يعدون أي تفريط في بيان توزيع الاستخدام تفريطا في أداء الوظيفة كلها ، لأن بعض الألفاظ قد يبدو مترادفا فإذا تتبعنا « وقوعه مع » بدا مختلفا . ولله در الجاحظ إذ يقول : إن اللغة قد تختار مصاحبة كلمات لأخرى دون غيرها مما قد لا يحجب استعماله نحو أو معنى . وقد يستخف الناس ألفاظا يستعملونها وغيرها أحق بذلك منها . ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة .

ثالثا : الاستخدامات المجازية :

لما كانت اللغات لا تتطابق في الاستخدامات المجازية للألفاظ والتعبيرات فإن الترجمة لأي استخدام مجازي لا يصح أن تكون حرفية ، وإلا بعد المعجم عن روح اللغة . ومن أمثلة ذلك :

١ ـ يعبر الإنجليزي عن تقدم السن بـ evening of life فلا يصح أن تقابله في العربية بعبارة « مساء العمر » لأن العرب يستخدمون مقابلا مجازيا هو خريف العمر .

٢ ـ كلمة soup الإنجليزية يقابلها كلمة « حساء » العربية . ولكننا نجد الكلمة في الإنجليزية تستخدم استخداما مجازيا في تعبير يدل على الوقوع في مأزق أو مشكلة ، كأن يقال عن شخص مثلا إنه in the soup مستوحية في ذلك صورة الرجل الأبيض حين كان يقع في أيدي آكلي لحوم البشر ويضعونه في الماء على النار

لطهيه .

٣ - ويبدو الاختلاف في الاستخدامات المجازية في استعارة أعضاء البدن للجمادات . فالإنجليزية مثلا تقول : the hands of the clock ولكن العربية تقول : عقارب الساعة . والإنجليزية تستخدم كلمة foot للدلالة على أسفل الجبل ، ولا يوجد هذا التعبير في العربية .

وحين يشيع المجاز يتحول إلى استخدام تعبيري أو مثل . وفي كلتا الحالتين لا يصح للمترجم أن يضع مقابله في شكل ترجمة حرفية :

فنحن نقول بالعربية : ركب رأسه - فاته قطار الزواج - تركته تحت رحمته - يد خضراء - حرية حمراء - يشرب سيجارة - الخيط الأبيض (ضوء الفجر) - قلبه أبيض - كذبة بيضاء - رفع الراية البيضاء - ضحكة صفراء - الملازم الصفراء . . .

ويقول الانجليزي :

white flag - pull his leg - black mail - white lie - white elephent - black hearted - black sheep - a red letter day - yellow press ...

ومن التعبيرات المجازية التي يمكن أن تثير الغرابة أو ترمي بالانحراف أول استعمالها ، ثم بكثرة الاستخدام تصبح عبارات عادية مألوفة تعبيرات مثل : التهم محمد ثلاثة كتب مساء أمس - يقرأ أفكاره - يذبح الأشجار - الحَوَل الفكري - تبتسم الأزهار - يطير الفرس - يبكي الوفاء فقد فلان . . . وكثير من هذه التعبيرات لا يمكن ترجمته ترجمة حرفية وإلا كان مضحكا ، مثل ترجمة : pull his leg إلى : جذب رجله وترجمة white elephent إلى فيل أبيض . وكذلك الترجمة الحرفية لعبارات عربية مثل : يشرب سيجارة - الملازم الصفراء . . .

ولكن من الممكن القيام بالترجمة الحرفية في بعضها حين تلتقي اللغتان في الخلفية ، أو تشتهر ترجمة أحد التعبيرين في اللغة الأخرى . ومثال ذلك : الكذبة

البيضاء . الراية البيضاء . . . وغيرهما .

وكثير من التعبيرات المجازية تعكس خبرة اجتماعية أو ثقافية معينة ، ولذا لا تكاد تفهم إذا ترجمت في اللغة الأخرى . ومن أمثلة ذلك التعبير الإنجليزي : a red letter day للدلالة على اليوم المليء بالبهجة والسرور .فقد نشأ التعبير أولا من عادة التقويم الإنجليزي كتابة أيام الأعياد الرسمية والإجازات الدينية بحروف حمراء . ومن ذلك أيضا التعبير العربي : الملازم الصفراء الذي يعني الكتب التراثية حتى لو طبعت على ورق أبيض ، وجلدت في شكل كتاب . وهو يشير بخاصة إلى كتب الأزهريين في القديم التي كانت تطبع في شكل ملازم ، وعلى ورق أصفر رخيص الثمن .

رابعا : اختلاف التصنيفات الجزئية :

يتصور كثير من اللغويين اللغات على أنها مجموعة من الأبعاد أو الامتدادات التي توجد أو يوجد معظمها بصورة مشتركة في اللغات . ومن اللغويين من سار خطوة إلى الامام فحاول حصر هذه الأبعاد أو الامتدادات ، أو ما سماه بالمجالات أو الحقول الدلالية عن طريق تصنيفات عامة قام بها .

وقد قدم هؤلاء تصنيفهم العام للموجودات في العالم من حولنا ، وأقاموه على أساس من الوظيفة ، أو الحجم ، أو الشكل ، أو اللون . . . .

وهم بعد مناداتهم بوجود أطر من المفاهيم العالمية المشتركة بين كل لغات البشر يعترفون بأن اللغات تختلف في الاختيار من بين هذه المجموعات وفي التصنيف الجزئي داخل كل مجموعة .

واختلاف التصنيف الجزئي أمر طبيعي في كل اللغات حتى في الظواهر العامة المشتركة . فكل اللغات تستخدم الجهاز النطقي بصورة متشابهة ، ولكنها تختلف في عملية انتقاء الأصوات التي توظفها نتيجة لاختلافها في تحديد أماكن إنتاجها ، وكل اللغات تركب كلمات ومقاطع من الأصوات، ولكنها تختلف في اختياراتها ،

وفي طرق تركيبها تبعا لانتقاءاتها . ولا توجد لغة في العالم تستوعب كل إمكانيات الجهاز النطقي ، أو كل إمكانيات تشكيل الكلمات ، وإلا لناء بحمل هذا وذاك البشر . ولذا تقوم كل لغة بعملية انتقاء على مسافات متباعدة حتى يسهل على اللغة أداء وظيفتها ، ويمكن للمتكلمين أن يتفاهموا بحد أدنى من الجهد . ومثل هذا يمكن أن يقال عن اختلاف اللغات في التصنيفات الجزئية داخل الحقل الدلالي الواحد . فكل اللغات تنتقي ، ولكن الانتقاء قد يتطابق في نقطة وقد يتخالف في نقطة أخرى . فإذا حدث التطابق كانت الترجمة أو النقل من اللغة إلى اللغة الأخرى أمرا سهلا ، وإذا لم يحدث ظهرت المشكلة .

ومن أوضح الأمثلة على اختلاف اللغات في تصنيفاتها الجزئية الحقلان الآتيان :

1 ـ حقل الحرارة والبرودة .
2 ـ حقل الألوان .

أما بالنسبة لألفاظ الحرارة والبرودة فإن اللغة الانجليزية تشتمل على كلمات كثيرة مثل :

- 1	freezing	التجمد
- 2	icy	
-3	frigid	
-4	chilly	البرودة
-5	cool	
-6	cold	
-7	fresh	الاعتدال
-8	lukewarm	
-9	mild	
-10	moderate	

-11	warm	الحرارة
-12	brisk	
-13	hot	
-14	sweltering	شدة الحرارة
-15	scorching	
-16	burning	
-17	boiling	

وتتضارب المعاجم الإنجليزية العربية في تحديد مدلولات هذه الألفاظ . ولا تكاد تظفر منها بشيء إذا أردت أن ترتبها ـ مع غيرها من الكلمات ـ ترتيبا تنازليا حسب درجة الحرارة أو البرودة . وخير مثال على الاضطراب ما ذكره صاحب المورد أمام لفظ frigid أنه : القارس ـ والفاتر . وأمام cool أنه الفاتر ـ والبارد باعتدال . فهل معنى هذا أن frigid و cool مترادفان في الإنجليزية ؟ وهل معنى هذا أن القارس والفاتر مترادفان في العربية ؟

وأما بالنسبة لألفاظ الألوان فإننا يجب أن نتخيل أولا رقعة الألوان أو مجموعة الطيف في شكل شريط متصل متدرج يبدأ بالألوان ذات الموجات العالية (الأحمر) وينتهي بالألوان ذات الموجات المنخفضه (البنفسجي) ، وأنه لا توجد محطات أو مواقف أو مناطق طبيعية لرسم الحدود على هذا الامتداد . ولذا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن كل محاولة للقيام بذلك تعد نوعا من التحكم ، أو نوعا من الرغبة في تبني منهج دقيق يكثر من الوقفات وتخطيط الحدود فتكثر الألفاظ تبعا لذلك ، أو منهج متسع يباعد بين الوقفات حتى تقدر العين العادية على الإحساس بها فتقل الألفاظ تبعا لذلك . وقد وجد برلين وكي بإحصاء مبني على عشرين لغة مختلفة أن الألفاظ الأساسية للألوان تبلغ ١١ لفظا تختارها أو تختار من بينها اللغات . هذه الألفاظ هي :

الأبيض ـ الأسود ـ الأحمر ـ الأخضر ـ الأصفر ـ الأزرق ـ البني ـ الأرجواني ـ الرمادي ـ الوردي ـ البرتقالي . وتختلف اللغات في اختيارها كما يدل

الجدول التالي :[1] .

النموذج	عدد الألوان	الأبيض	الأسود	الأحمر	الأخضر	الأصفر	الأزرق	الأدكن (البني)	الوردي	الأرجواني	البرتقالي	الأربد (الرمادي)
١	٢	+	+									
٢	٣	+	+	+								
٣	٤	+	+	+	+							
٤	٤	+	+	+		+						
٥	٥	+	+	+	+	+						
٦	٦	+	+	+	+	+	+					
٧	٧	+	+	+	+	+	+	+				
٨	٨	+	+	+	+	+	+	+	+			
٩	٨	+	+	+	+	+	+	+		+		
١٠	٨	+	+	+	+	+	+	+			+	
١١	٨	+	+	+	+	+	+	+				+
١٢	٩	+	+	+	+	+	+	+	+	+		
١٣	٩	+	+	+	+	+	+	+	+		+	
١٤	٩	+	+	+	+	+	+	+	+			+
١٥	٩	+	+	+	+	+	+	+		+	+	
١٦	٩	+	+	+	+	+	+	+		+		+
١٧	٩	+	+	+	+	+	+	+			+	+
١٨	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	
١٩	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+		+
٢٠	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+		+	+
٢١	١٠	+	+	+	+	+	+	+		+	+	+
٢٢	١١	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+

(١) Basic Color Terms ص ١١ .

وتبدو الصعوبة أمام المترجم أكبر إذا كان يعالج لغتين ذواتي مستويين متفاوتين جدا مثل لغة تميز بين الأحد عشر لونا الأساسية ، وأخرى لا تميز إلا بين الألوان المضيئة (مجموعة الأبيض) والألوان المظلمة (مجموعة الأسود) ، أولا تميز إلا بين أربعة ألوان هي : الأحمر ـ الأصفر ـ الأخضر ـ الأزرق ، وذلك لتميز هذه الألوان و إمكانية الفصل بينها بسهولة .

وإذا كانت المشكلة معقدة بالنسبة لألفاظ الألوان الأساسية فهي أكثر تعقداً بالنسبة لألفاظ الألوان الثانوية . فإذا كانت الأولى قليلة العدد لا تتجاوز الأحد عشر لفظاً ، فإن الثانية لا تكاد تقع تحت حصر . وقد أوصل بعضهم عدد الألوان الممكنة إلى بضعة ملايين . ولكن تبين أن العين العادية يمكنها أن تميز حوالي ١٨٠ درجة من اللون . ومعنى هذا أن أي معجم ثنائي اللغة لا بدّ أن يحوي قرابة هذا العدد من ألفاظ الألوان .

وإذا كانت اللغات في تاريخها الطويل قد سارت في طريق التيسير ، واتجهت إلى جمع المتشابهات ، وتقليل التمييزات ، فان الوضع قد اختلف الآن ، ومنذ أن عرف الإنسان الصبغات الصناعية ، وقام بتركيب الألوان كيميائياً ، ولم يقتصر على الألوان الطبيعية الموجودة في البيئة من حوله . وقد تبع ذلك تولد آلاف الآلاف من الألوان التي حاول الاختصاصيون إيجاد ألفاظ تلبي احتياجاتها .

وخير مثال لذلك اللغة الإنجليزيةالتي صارت لغة خصبة في مجال الألوان ، وأصبحت ألفاظ الألوان تمثل مشكلة لمن يريد أن ينقل هذه الألفاظ إلى لغة أخرى كالعربية . يقول مؤلفاً : Methuen Handbook of Colour « يوجد الآن حوالي ثمانية آلاف اسم لون مستعملة في بريطانيا وحدها . واحتمالات تكوين أسماء جديدة غير محدودة » .

وحدد المؤلفان شروط المعجم الحديث للألوان بما يأتي :

١ ـ يجب أن يقرن كل اسم يدل على لون بنموذج لوني توضيحي .

٢ ـ منع التداخل بين الألوان أو مناطق الألوان .

٣ ـ تقسيم الألوان إلى مناطق عامة مثل الأزرق والبني والرمادي والأحمر . . . ثم معالجة كل مجموعة تتعلق باللون العام في مكان واحد .

٤ ـ يجب أن يقدم المعجم الوسيلة للانتقال من الاسم إلى اللون ، ومن اللون إلى الاسم .

وقد حاول المؤلفان أن يقدما نموذجاً عملياً لمعجم الألوان الحديث فاختارا حوالي ٦٠٠ اسم لون تعد أكثر الأسماء شيوعاً ، أو ذات أهمية تقنية أو تاريخية أو لغوية أو فنية . وقاما بعرض هذه الألوان بصور مختلفة . فمرة في شكل مناطق عامة تمثلها دائرة . ومرة في شكل تصنيفات داخل كل منطقة . وقد خصصا لكل منطقة صفحتين متقابلتين مقسمتين إلى ثمانية وأربعين قسماً بحسب درجات اللون . ووضعا أسماء لهذه الأقسام في صفحات أخرى مستقلة على شكل رسوم تخطيطية . وأخيراً قدماً هذه الألفاظ الستمائة في ترتيب ألفبائي ، مع تعريف موجز بكل لفظ .

ولم يكتف المؤلفان بذلك ، بل قدما قوائم بأسماء الألوان المستعملة في صناعة الأحبار ، وقوائم أخرى بأسماء الألوان التي يستخدمها مصنعوالطلاء البريطانيون[1] .

وما تزال اللغة العربية في حاجة إلى معجم أحادي اللغة للألوان ، وآخر ثنائي اللغة يسير على نفس المنوال .

وينتج عن اختلاف التصنيفات الجزئية ظاهرتان هما :

١ ـ التزيد والحشو .

٢ ـ الفجوة المعجمية .

(١) بلغ عددها حوالي ٩٠ لفظاً ومرادفاتها في مصطلحات ١٧ شركة مصنعة للألوان .

وهما ظاهرتان متضادتان . فالأولى تشير إلى وجود ألفاظ لا توجد حاجة إلى وجودها لاشتمال اللغة على ما يغني عنها . وتكون أمثال هذه الألفاظ صعبة الترجمة إلى لغة أخرى نظراً لاستحالة تطابق لفظين في لغة ما ، بل لا بدّ من تصور فرق بينهما أدى إلى تعايشهما جنباً إلى جنب .

والثانية تشير إلى نقص في التعبير عن فكرة أو جزئية تعبر إحدى اللغتين عنها بلفظ وتخلو اللغة الأخرى من مقابله . وقد يحدث هذا بصورة اعتباطية كما في لفظ uncle الذي يعبرّ عن أخي الأب وأخي الأم في حين أن اللغة العربية تعبر عنهما بلفظين هما العم والخال . ولذا فإذا أريد التمييز في اللغة الإنجليزية قيل : paternal uncle (عم) و maternal uncle (خال) . وعكسه في اللغة العربية الكلمتان الإنجليزيتان finger و toe حيث يترجمان إلى « إصبع » دون تمييز بين إصبع اليد وإصبع القدم ، وكذلك مقابل الكلمات الإنجليزية cousin و niece و nephew حيث لا يوجد لها مقابل في العربية . وتستعين اللغة العربية الحديثة في التعبير عن هذه المعاني بتركيبات إضافية مثل: ابن (أو بنت) العم أو الخال أو العمة أو الخالة ، وابنة الأخ أو الأخت ، وابن الأخ أو الأخت . ومن الفجوات المعجمية كذلك خلو اللغة الإنجليزية من كلمة تشير إلى جثة النبات الميت مع اشتمالها على كلمة تعبر عن جثة الإنسان الميت وهي corpse وكلمة تعبر عن جثة الحيوان الميت وهي carcass [1] .

وقد تحدث الفجوة المعجمية نتيجة عدم وجود الشيء المعبرّ عنه عند أصحاب اللغة الثانية . فقد لا توجد كلمة مرادفة لكلمة snow في لغات المناطق الاستوائية والحارة ، كما قد لا توجد في اللغة الإنجليزية كلمات مرادفة لأسماء السيف الثمانين عند العرب . ونظرة في كتاب الفيروز أبادي « الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف » تبين صعوبة وجود مقابلات إنجليزية لكثير من الألفاظ الواردة فيه .

---

(٢) Semantics: lyons ١ / ٣٠٢ .

خامساً : التلطف في التعبير واللامساس :

توجد في بعض اللغات حساسية نحو ألفاظ معينة ربما ارتبطت ببعض المعاني التي لا يحسن التعبير عنها بصراحة . ولذا تتجنبها وتستعمل بدلها ألفاظاً أخرى أقل صراحة . ويوصف اللفظ المتروك أو المقيد الاستخدام بأنه من ألفاظ « اللامساس »taboo ، ويوصف اللفظ المفضل بأنه من باب « التلطف في التعبير euphemism .

وكثيراً ما لا يتنبه أصحاب المعاجم والمترجمون إلى هذه النقطة فيضعون اللفظ في مقابل اللفظ الآخر دون أن يساووا بينهما في درجة التلطف أو اللامساس مما قد يوقع من يعتمد على المعجم في روطة .

ولعلّ من أطرف الأمثلة على هذا ما ذكره المرحوم الأستاذ أحمد أمين عن رسالة تلقاها من أحد المستشرقين يمدحه فيها بغزارة علمه ، وثقوب فهمه فكتب إليه قائلاً « وقد استفدت كثيراً من خرارة فطنتكم » فاستعمل لفظاً دون أن يتنبه إلى أنه من كلمات « اللامساس » في العربية المعاصرة نظراً لارتباطه بمعنى لا يحسن التصريح به . وإن كانت المعاجم العربية تصف العين الخرّارة بأنها الجارية ، وقد سميت بذلك لخرير مائها .

ومن أمثلة ذلك أيضاً كلمة قرص(دواء)حيث تضع المعاجم في مقابلها كلمة pill دون أن تنبه إلى الحساسية في استخدام اللفظ الإنجليزي الآن . فبعد أن شاع استعمال pill في أقراص منع الحمل صار محررو الصحف يخشون عبارة مثل :

The pill is safe, says Dr. x..

ويفضلون عليها كلمة tablet .

ومن أمثلة التلطف واللامساس في اللغتين العربية والإنجليزية :

١ ـ التعبير عن المرأة الحامل في الإنجليزية بكلمة pregnant لا تكاد تسمعه في

اللغة المؤدبة . وإنما استعاضوا عنها بكلمات أخرى مثل : expectant mother أو mother-to-be ، ونظيره في العربية كلمة « حبلى » التي لا تكاد تسمعها في اللغة المؤدبة التي استعاضت عنها بكلمة « حامل » . ولذا فإن من يضع كلمة عربية في مقابل الكلمة الإنجليزية pregnant لا يصح أن يضع كلمة « حامل » وإنما يضع كلمة « حبلى » لتحمل نفس إيحاءات الكلمة المقابلة لها . ومن المؤسف أن نجد المعاجم الثنائية لا تتنبه إلى هذا الفرق . فنجد مثلاً معجم Hans Wehr يترجم كلا من حبلى وحامل إلى pregnant ونجد معجم « المورد » يترجم pregnant إلى حامل ـ حبلى . .

٢ ـ وتكثر كلمات التلطف واللامساس في التعبير عن العلاقة الجنسية حتى تكاد تحظى هذه العلاقة بنصيب الأسد في مفردات اللغات .

٣ ـ كما تكثر في التعبير عن أماكن قضاء الحاجة . فهي في الانجليزية :

restroom, toilet, W.C., lavatory, powder room, bathroom, cloakroom, ... comfort station, water-closet, privy...

وهي في العربية :

الكنيف ـ المرحاض ـ دورة المياه ـ التواليت ـ الحمام ـ الميضة ـ (ريفية) ـ الكابينيه (كلمة أوروبية) ـ بيت الراحة ـ بيت الأدب . . .

٤ ـ ومن التلطف إطلاقهم على الشعوب المتخلفة ـ في أول الأمر ـ اسم backward أو underdeveloped ثم العدول عن ذلك ـ على سبيل التلطف ـ إلى : developing أو less developed

سادساً : الإيحاء والجرس الصوتي :

وهذه المشكلة لا يمكن للمعاجم التقليدية أن تعالجها بحال من الأحوال ، وذلك لسببين :

الأول : لأن حلها يعتمد على السياق الذي ترد فيه الكلمة ، وعلى الشحنة الإيحائية التي تحملها ، وعلى الجرس الموسيقى الذي تؤديه ، وعلى توافقها الصوتي مع ما يجاورها من كلمات . وهي أمور أدخل في باب الأسلوب منها في باب المعجم ويفطن إليها الأدباء والشعراء أكثر من غيرهم[١] .

والثاني : لأن المعاجم التقليدية تركز على ما يسمى بالمعنى الرئيسي أو الأساسي (يسمى كذلك بالمعنى الأولى أو المركزي أو التصوري) الذي يعد العامل الرئيسي للاتصال اللغوي ، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة ، وتغفل جوانب أخرى من المعنى مثل :

أ ـ المعنى الاضافي أو العَرَضي .

ب ـ المعنى الايحائي .

حـ ـ المعنى الأسلوبي .

د ـ المعنى النفس .

وقد سبق في الباب الأول (الفصل الرابع) ضرب الأمثلة على ذلك .

سادساً : اختلاف المألوفات الثقافية والاجتماعية لكلتا اللغتين :

هناك من المعاني ما يعكس عادات أو مألوفات اجتماعية في بيئة ما فتعبر عنها تلك البيئة بكلمات في اللغة ، في حين أن إيجاد مقابل لها في اللغة الأخرى قد يكون مستحيلاً ، أو غير مطابق .

بل إن من اللغويين من يعمم هذا الحكم ويرى أن المعنى يتضمن مجتمع

---

(١) هناك ألفاظ تملك خاصة إيحائية في نفسها وهي ما أطلق عليه اسم الكلمات الإيحائية onomatopoetic أو echoic . ومن أمثلة ذلك في اللغة الإنجليزية : splash ، و clang و tinkle ، و crash ، و crack .. ومثاله في اللغة العربية : صليل (السيوف) ، وقرع (الطبول) ، وأزيز (الطائرة) وصهيل (الفرس) . . .

اللغة ، وأنه نمط اجتماعي يجب أن يوصف فقط باعتبار وظيفة اللغة في المجتمع .

ويحس بمدى الارتباط الثقافي والاجتماعي للكلمات من يشتغل بالترجمة من لغة إلى لغة ؛ إذ تتوقف دقة ترجمته على قدرة اللغتين على أن تعكسا الحياة الثقافية والاجتماعية المعينة . وكلما تقاربت الثقافتان أو تطابقتا دقت الترجمة ، وكلما تباعدتا أو انفصلتا صعبت الترجمة أو استحالت .

فكلمة مثل wife لا يمكن أن تترجم بكلمة واحدة في اللغة العربية المعاصرة لأن مقابلها العربي قد يكون : المدام - الجماعة - الست - مراتي - زوجتي - المرة . . . حين حديث المتكلم عن نفسه . وقد تكون : عقيلته - حرمه - زوجته - الست - المدام . . حين التحدث عن الغير أو إلى الغير .

فهذه الكلمات تعكس تفاوتاً في الطبقة الاجتماعية والمستوى الثقافي ، بالإضافة إلى أنها قد تختلف في كيفية ملاءمتها في الجملة . فكلمة « مدام » مثلاً تستخدمها الطبقة المثقفة أو الاجتماعية الراقية في مصر . وهي مع هذا قد تختلف عن كلمة « زوجتي » التي قد تتبادل معها في نفس الموقف ، في أن الأولى لا تستخدم مضافة إلى الضمير وإنما تستخدم بالألف واللام فقط . فلا تسمع أحداً يقدم زوجته قائلاً : مدامي ، وإنما المدام . وكلمة « الست » لا تستخدم في المصرية مضافة ؛ فلا تسمع أحداً يقدم زوجته قائلاً « ستي » أو يتحدث عن زوجة صديقه قائلاً « سته » ، وإنما تستخدم فقط بالألف واللام . وهذه كلها فروق لا بدّ أن يعكسها المعجم الثنائي اللغة .

ويبدو أثر العامل الثقافي والاجتماعي في تفاوت اللغات في اهتمامها بمجال دلالي دون آخر تبعاً لارتباطها بهذا المجال أو ذاك ، وتبعاً لإحساسها بأهمية أحد الحقول اللغوية في البيئة المعينة أو عدم أهميته .

ويمكن التمثيل لذلك بحالات دلالية مثل :

١ - ألفاظ مقاعد الجلوس في الإنجليزية .

٢ ـ ألفاظ الطهي في الفرنسية .

٣ ـ ألفاظ السيف أو الجمل في اللغة العربية القديمة .

٤ ـ ألفاظ الثلج في لغة الإسكيمو .

ونختار من بين هذه المجالات المجال الأول لمزيد من التفصيل وضرب الأمثلة من اللغتين العربية والإنجليزية :

تحوي اللغة الإنجليزية كلمات للدلالة على مقاعد الجلوس مثل :

chair : مكان جلوس لشخص ـ بمسند ـ بأرجل .

bench : مكان جلوس لأكثر من شخص ـ بمسند أو بدون مسند ـ بأرجل .

stool : مكان جلوس لشخص ـ بدون مسند ـ بأرجل .

kassock : مكان جلوس لشخص ـ بدون مسند ـ بدون أرجل .

sofa / love seat / daven port : مثل bench ولكنها تختلف في أنها منجدة ولها مسند وعادة ما يكون لها أذرع . وعادة ما يكون الـ love seat لشخصين . أما اللفظان الأخران فلشخصين أو اكثر . ويختلف الأول والثالث في أن الثالث عادة أطول وربما استخدم في النوم .

Pew : تقاسم ال bench في التصميم لأكثر من شخص ، ولكنها عادة تكون ذات مسند ، ونادراً ما تكون منجدة ، وإن كانت ربما تملك وسائد .

فلو أننا أردنا أن نضع مقابلات عربية لهذه الألفاظ لاصطدمنا بعدم وجود المقابل اللفظي لبعضها نظراً لعدم وجوده في البيئة .

أما ألفاظ الطهي فقد سبق عرضها في الباب الثاني من هذا الكتاب (الفصل الخامس : النظرية التحليلية)[1] .

---

(١) نظراً لعدم التزامنا ذكر المصادر في الحواشي بالنسبة لهذا الفصل فإننا نقدم قائمة بأهم المصادر والمراجع الخاصة به ، وهي :

1- Basic Color Terms,
B. Berlin and P. Kay, U.S.A. 1969
2- Componential Analysis of Meaning,
Augene A. Nida, Mouton, 1975.
3- A Dictionary of Color,
A. Moerz and M. Rea Paul, Second ed., 1950.
4- English Idioms,
W.Mc Mordie, 1976.
5- An Introduction to Descriptive Linguistics,
H.A. Gleason, G.B., 1969.
6- Learning about Linguistics,
F.C. Stork and J.D. Widdoson, 1974.
7- Linguistics and Semantics,
E. Coseriu and H. Greckeler,
in: Current Trends in Linguistics, Vol. 12.
8- Meaning and Style,
S. Ullmann, Oxford, 1973.
9- The Meaning of Meaning,
C.K. Ogden and I.A. Richards, G.B., 1972.
10- Methuen Handhook of Colour,
A. Kornerup and J.H.: Wanscher, 1978.
11- Semantic Fields and Lexical Structures,
A. Lehrer, Amsterdam-London, 1974.
12- Semantics,
G. Leech, Penguin Books, 1974
13- Semantics,
John Lyons, Vol. 1, 1977.
14- The Semantics of Metaphor,
Samuel P. Levin, 1977.

15- Semantics, Theories of Meaning in Generative Grammar,
Janet D. Fodor, Englands, 1977.

16- Sense and Sense Development,
R.A. Waldron, London, 1967.

17- Theory of Meaning.
ed. by A and K. Lehrer, U.S.A, 1970.

معجم المصطلحات الانجليزية

A

abstract	تجريدي - مجرد ٥٥ ، ٨٧
acceptability	التقبلية ٧٧
action	حدث ٥٥
antipodal opposites	تضادات تقابلية (امتدادية) ١٠٤
antonymy	تضاد ٩٨
approximate synonymy	شبه الترادف ٢٢٠
archlexeme	اللكسيم الرئيسي ١٠٠

B

Behavioral Theory	النظرية السلوكية ٥٩

C

classeme	كلاسيم (محدد دلالي) ١١٦
classifier	المصنِّف ١٠٠
cognitive meaning	المعنى الإدراكي (وانظر conceptual) ٣٦
coining	صك اللفظ ٢٣٧
collocability	الرصفية - الوقوعية ٧٥
collocational theory	نظرية الرصف ٧٤

D

مراجع الكتاب

١ ـ المراجع العربية

١ ـ ابن درستويه
عبد الله الجبوري ـ بغداد ـ أولى ١٩٧٤ .
٢ ـ الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى
أبو عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق على عرشي الرامفوري ـ بومباي ١٩٣٨.
٣ ـ أسس علم اللغة
ماريوباي ـ ترجمة أحمد مختار عمر ـ جامعة طرابلس ـ أولى ١٩٧٣.
٤ ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم
مقاتل بن سليمان البلخي ـ تحقيق عبد الله شحاتة ـ القاهرة ١٩٧٥ .
٥ ـ الاشتراك والترادف
محمد تقي الحكيم ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٥ ـ العدد ١٢.
٦ ـ أصل نظرية الأضداد في اللغة العربية
ر . بلاشير ـ ترجمة حامد طاهر ـ مجلة اللسان العربي بالرباط مجلد ١٥ ـ الجزء الأول .
٧ ـ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم .
الحسين بن محمد الدامغاني ـ تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٠ .
٨ ـ الأضداد

ابن الأنباري - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - الكويت ١٩٦٠ .
٩ - الأضداد
ابن السكيت - تحقيق أوغست هفنر - بيروت ١٩١٣ .
١٠ - الأضداد
أبو حاتم - تحقيق أوغست هفنر - بيروت ١٩١٣ .
١١ - الأضداد
أبو الطيب اللغوي - تحقيق عزة حسن - دمشق ١٩٦٣ .
١٢ - الأضداد
الأصمعي - تحقيق أوغست هفنر - بيروت ١٩١٣ .
١٣ - الأضداد
فايل - تعليق عبد الفتاح بدوي - دائرة المعارف الاسلامية - الشعب بمصر - الجزء الثالث .
١٤ - الأضداد في اللغة
حسين محمد - مجلة اللسان العربي بالرباط - مجلد ٨ - الجزء الأول ، ومجلد ٩ - الجزء الأول .
١٥ - الأضداد في اللغة .
محمد حسين آل ياسين - بغداد - أولى ١٩٧٤ .
١٦ - الأضداد وموقف ابن درستويه منها
عبد الله الجبوري - المورد - مجلد ٢ - عدد ٣ - ١٩٧٣ .
١٧ - الإفصاح في فقه اللغة
حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي - دار الفكر العربي - القاهرة - ط ثانية .
١٨ - البحث اللغوي عند الهنود
أحمد مختار عمر - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢ .
١٩ - التضاد في ضوء اللغات السامية

ربحي كمال ـ بيروت ١٩٧٥ .
٢٠ ـ التطور اللغوي التاريخي
إبراهيم السامرائي ـ القاهرة ١٩٦٦
٢١ ـ الجمهرة
ابن دريد ـ مؤسسة الحلبي وشركاه بالقاهرة عن طبعة حيدر آباد ١٣٥١ هـ .
٢٢ ـ الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري
عفيف عبد الرحمن ـ بغداد ١٩٨١ .
٢٣ ـ الخصائص
ابن جنى ـ تحقيق محمد على النجار ـ بيروت عن طبعة دار الكتب المصرية ـ ط ثانية بدون تاريخ .
٢٤ ـ دلالة الألفاظ .
إبراهيم أنيس ـ ط ثالثة ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٢ .
٢٥ ـ دور الكلمة في اللغة
استيفن أولمان ـ ترجمة كمال بشر ـ القاهرة ـ أولى بدون تاريخ .
٢٦ ـ ديوان الأدب
الفارابي ـ تحقيق أحمد مختار عمر ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩ .
٢٧ ـ الصاحبي في فقه اللغة
ابن فارس ـ تحقيق مصطفى الشويمي ـ بيروت ١٩٦٣ .
٢٨ ـ علم النفس اللغوي
نوال عطيه ـ الأنجلو المصرية ـ أولى ١٩٧٥ .
٢٩ ـ الفروق في اللغة
أبو هلال العسكري ـ دار الآفاق ـ بيروت ـ أولى ١٩٧٣ .
٣٠ ـ فصول في فقه العربية
رمضان عبد التواب ـ أولى ١٩٧٣ .

٣١ ـ في اللهجات العربية

إبراهيم أنيس ـ الأنجلو المصرية ـ ثالثة ١٩٦٥ .

٣٢ ـ الكتاب

سيبويه ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣١٦ هـ .

٣٣ ـ كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه

أبو العميثل الأعرابي ـ تحقيق ف . كرنكو ـ بيروت ١٩٢٥ .

٣٤ ـ الكليات

أبو البقاء الكفوي ـ تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ـ دمشق ١٩٧٤

٣٥ ـ لسان العرب

ابن منظور ـ دار لسان العرب ـ بيروت .

٣٦ ـ اللغة

ج . فندريس ـ ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ـ الأنجلو المصرية ١٩٥٠ .

٣٧ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد

محمد بن يزيد المبرد ـ تحقيق محمد الميمنى ـ القاهرة ١٣٥٠ .

٣٨ ـ المخصص

ابن سيده ـ بولاق ـ القاهرة ـ ط أولى .

٣٩ ـ المزهر في علوم اللغة

جلال الدين السيوطي ـ تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ـ الحلبي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

٤٠ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن

جلال الدين السيوطي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦٩ .

٤١ ـ المعجم العربي

حسين نصار ـ مكتبة مصر ـ الفجالة ـ ثانية ١٩٦٨ .

٤٢ ـ المعجم الوسيط

مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ ط ثانية ١٩٧٢ .

٤٣ ـ المقاييس

ابن فارس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ أولى ١٣٦٦ .

٤٤ ـ من أسرار العربية في السياق القرآني

بنت الشاطىء ـ مجلة اللسان العربي بالرباط ـ مجلد ٨ جزء ١ ـ ١٩٧١ .

٤٥ ـ من قضايا اللغة والنحو

أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب بالقاهرة ـ أولى ١٩٧٤ .

٤٦ ـ المنجد في اللغة

علي بن الحسن الهنائي (كراع) تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ـ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ .

٤٧ ـ المنطق الصوري

عبد الرحمن بدوي ـ الكويت ١٩٧٧ .

٤٨ ـ نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية

أحمد مختار عمر ـ مجلة كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ العدد ١٣ ـ يونيو ١٩٧٨ .

٤٩ ـ الوجيز في فقه اللغة

محمد الأنطاكي ـ دمشق ـ بدون تاريخ .

٢ ـ المراجع الأجنبية

1- The Atomization of Meaning,
D. Bolinger, in Language, Vol. 41, No. 4, 1965.

2- Basic Color Terms,
B. Berlin and P. Kay, U.S.A., 1969.

3- Componential Analysis of Meaning,
E.A. Nida, Mouton 1975.

4- The Conflict of Homonyms in English, Edna Williams.

5- The Conflict of Homonyms in English, Robert Menner.

6- A Dictionary of Color,
A. Moerz and M. Rea Paul, 2nd ed. 1950.

7- Dictionary of Language and Linguistics, R.R.K. Hartmann and F.C. Stork, England, 1972.

8- The Diversity of Meaning,
L.J. Cohen, 2nd ed., G.B., 1966.

9- Elements of Semiology,
R. Barthes, 1st ed., London, 1976.

10- Exact Methods in Linguistic Research,
O.S. Akhmanova et al., U.S.A., 1963

11- Firth's theory of Meaning,

J. Lyons, in In Memory of J.R. Firth, ed.
C.E. Bazell et al., Longmans, 1966.

12- Foundations of Linguistics,
F.C. Southworth and C.J. Daswani, New York, 1974.

13- Geschichtc der arabischen litteratur,
C. Brockelmann, Leiden, 1937-1949.

14- Get,
J. Kimball, in Syntax and Semantics, Vol. 2, ed. John Kimball,
U.S.A., 1973.

15- Glossary of Linguistic Terminology,
M. Pei, 1966.

16- Goodman and Katz on Synonymy,
S. Lappin, in Philosophical Studies, Vol. 29, No. 4, April 1976.

17- Greek Elements in Arabic Linguistic thinking,
C.H.M. Werstee gh, Leiden, 1977.

18- Inglish Idioms,
W. Mc. Mordie, 1976.

19- Introduction to contemporary Linguistic Semantics, G.L. Dillon,
U.S.A., 1977.

20- An Introduction to Descriptive Linguistics,
H.A. Gleason, G.B., 1969.

21- Introduction to Historical Linguistics,
A. Arlotto, U.S.A., 1972.

22- Introduction to Scmantics,
Adam Schoff.

23- Language,
L. Bloomfield, London, 1962.

24- Learning about Linguistics,
F.C. Stork and J.D. Widdowson, Hutchinson, 1974.

25- Linguistics and Semantics,
E. Coseriu and H. Geckeler, in Current Trends in Linguistics, Vol. 12.

26- Meaning and Speech Acts,
J.R. Searle.

27- Meaning and Style,
S. Ullmann, Oxford, 1973.

28- Meaning in Linguistics,
A. Lehrer, in Theoryof Meaning, ed. A and k. Lehrer,U.S.A.,1970

29- The Meaning of Meaning,
C.K. Ogden and I.A. Richards, 10th ed., G.B., 1972.

30- The Measurement of Meaning,
Charles E. Osgood et al., U.S A. 1957.

31- Multiple Meaning and Change of Meaning in English, Language, 1945.

32- New Trends in Linguistics,
B. Malmberg, Stockholm, 1964.

33- A Note on Some Uses of the Term Meaning in Descriptive Linguistics,
R. Fowler, in Word, No. 21.

34. On Likeness of Meaning,
N. Goodman, in Semantics and the Philosophy of Language, ed.

L. Linskey, U.S.A., 1952.

35- Portraits of Linguists,
ed. Thomas A. Sebeok, U.S.A., 1966.

36- The Principles of Semantics,
S. Ullmann, G.B., 1967.

37- The Scope of Semantics,
G. Berry Rogghe, in Linguistics, 1973.

38- Semantic Fields and Lexical Structure,
A. Lehrer, Amsterdam-London, 1974.

39- Semantic Theory,
Den L.F. Nilsen and A.P. Nilsen, U.S.A., 1975.

40- Semantics,
F.H. George, Teach Yourself Books, 1964.

41- Semantics,
J. Lyons, Vol. 1, Cambridge University Press, 1977.

42- Semantics,
G. Leech, Penguin Books, 1974.

43- Semantics,
A. Rapoport, U.S.A., 1975.

44- The Semantics of Metaphor,
Samwel R. Levin, U.S.A., 1977.

45- Semantics: Theories of Meaning in Generative Grammar
J.D. Fodor, England, 1977.

46- Sense and Sense Development,
R.A. Waldron, London, 1967.

47- Seven Types of Ambiguity,

W. Empson, London, 1947.

48- A Short History of Linguistics,

R.H. Robins, London, 1967.

49- The Structure of Semantic Theory,

J. Katz and J. Fodor, Language, Vol. 39, No. 2, 1963.

50- Studies in Words,
C.S. Lewis, 2nd ed., Cambridge, 1967.

51- Synonymity,

B. Mates, in Semantics and Philosophy of Language, ed. L. Linskey, U.S.A., 1952.

52- Synonyms and Homonyms,

A.J, Arberry, in the Islamic Quarterly, Vol. 13, No. 3, 1969.

53- Synonymy and Linguistic Analysis,

R. Harris, Oxford, 1973.

54- Terms in Systemic Linguistics,

Alex de Joia and Adrian Stenton, 1980.

55- Theories of Meaning,

William Alston, in Theory of Meaning, U.S.A., 1970

56- The Theory of Semantic Fields,

L.M. Vassilyev, in Linguistics, No. 137, 1974.

57- The Theory of Speech and Language,

Sir Alan Gardiner.

58- Thesaurus of English words and Phrases, Roget, Penguin Books, 1979.

59- Two Suggestions for Using Features to Represent Meaning,

Alan L. Tharp, in Linguistics, 185, 1977.

المحتوى

الباب الأول
مدخـــل وتمهيـــد

الباب الثاني
مناهج دراسة المعنى

الباب الثالث
تعدد المعنى ومشكلاته

الباب الرابع
من الدرس التاريخي والتقابلي

كتب أخرى للمؤلف

* تاريخ اللغة العربية فى مصر - الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ .

* النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الإسلامى حتى بداية العصر التركى - منشورات الجامعة الليبية ١٩٧١ .

* البحث اللغوى عند العرب - مع دراسة لقضية التأثير والتأثر - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٨ .

* البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب - دار الثقافة ببيروت ١٩٧٢.

* أسس علم اللغة - ترجمة عن الإنجليزية - طبعتان ١٩٧٣ ، ١٩٨٣ - عالم الكتب بالقاهرة .

* من قضايا اللغة والنحو - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤ .

* ديوان الأدب للفارابى - تحقيق ودراسة - مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة - خمسة أجزاء ١٩٧٤ - ١٩٧٩ .

* المنجد فى اللغة لكراع - تحقيق بالاشتراك - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ ، ١٩٨٨.

* العربية الصحيحة - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨١ .

* اللغة واللون - دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٨٢ .

* علم الدلالة - دار العروبة بالكويت ١٩٨٢ ، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨ .

* معجم القراءات القرآنية - ثمانية أجزاء - تأليف بالاشتراك - جامعة الكويت ١٩٨٥ ، ١٩٨٨ .

*- النحو الأساسى - تأليف بالاشتراك - ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤ ، ودار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٨ .

* المعجم العربى الأساسى - تأليف بالاشتراك - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩ .

رقم ايـــــداع ٢١٩٢ / ٨٨

الترقيم الدولى ٥ / ٠٨٧ / ٣٧٣ / ٩٧٧

